كِنَانَةُ السِّهامِ

فِي

الخُطَبِ العَصْرِيَّةِ لِلإمامِ

المجوعة الأولى: (1 – 50)

جمع وترتيب وإعداد

أحمد بن محمد بن حلمي بن عبده (آل الحتَّةِ)

دكتوراه ـ الدعوة والثقافة الإسلامية

إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف المصرية

اللـهم اجعلـها في سماء الإسلام:

سِراجا وقمرا مُنيرا

وعلى المنابر نُورا

واجعل اللـهمَّ فيـها:

الـهدايـةَ والرشادْ

والـعصمـةَ والبركـةَ والسدادْ

والـحِكمـةَ والنورَ والضيـاءْ

(اللـهم آمين)

خاطبتُ بها فِطرَةً

وحاجَجْتُ بها عقلاً؛

فلعلَّها تُحركُ قلباً فيخشعْ،

أو فِطرةً فتعودُ إلى مَهْدِها الأوَّل،

أو عقلاً فيرعوي وينزجر.

مُقدِّمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمَّدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾

وبعدُ: فإنَّ أصدقَ الحديث كتابُ الله تعالى، وأحسنَ الهدي هديُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

ثم أمَّا بعد.

فالدعوة إلى الله تعالى من أعظم الأعمال منزلةً عند الله تعالى، وكيف لا تكون كذلك؟! فصاحبُها يسير على سَنَن المُرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ؛ يُعَرِّفُ الخلقَ بخالقهم ويدُلُّهم عليْه، ويُحبِّبُهم فيه ويُرغِّبُهم في عبادته، ويعِظُ ويُذكِّر من نَسيَ منهم حقَّه تعالى عليه، ويُرشِدُ ضالَّهم، ويهدي تائِهَهُم وحيْرانَهم، ويُعلِّمُ جاهلهم، ويَنصحُ من استنصحه، ويُفرِّج بقوله كُروبَ المكروبينَ وأثقالَ المُخطئين؛ فيفتحُ أمامَهم أبوابا من الرجاء قد ظنُّوها مُغلقةً. فهو يسير في دروب الحياة مُتعلِّما ومُعلِّما، ومُربيا، ومُرشِدا، وناصحاً، ومُذكِّرا، ومُفتياً، وداعياً، وواعِظاً، وآمراً بالمعروف وناهيا عن المنكر، وقدوةً وأُنْمُوذجاً يُقتدى به ويُحتذى حذوه .. ولِم لا يكون بهذه المثابة وقد قال الله تعالى في حقِّه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ وقد قال الطاهر بن عاشور في

تفسيره: «و(مَن) اسْتِفْهامٌ مُسْتَعْمَلٌ في النَّفْيِ، أيْ لا أحَدَ أحْسَنُ قَوْلًا مِن هَذا الفَرِيقِ؛ كَقَوْلِهِ ﴿ومَن أحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أسْلَمَ وجْهَهُ لِلَّهِ﴾». فليس هناك قولٌ هو أحسن من قولهم.

ولمَّا كان الداعي إلى الله تعالى وريثَ الأنبياء والمرسلين، وسالكَ طريقَهم، وكان كلامُه أحسنَ الكلام؛ ناسَب أن أذكِّرَه بقول الله تعالى لنبيه محمدٍ صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ فلا يجوز من النبي صلى الله عليه وسلم وقد أعطاه الله تعالى هذا العطاء العظيم (الذي هو: السبع المثاني والقرآن العظيم = سورة الفاتحة كما في حديث أبي سعيد بن المُعلَّى في صحيح البخاري)؛ لا يجوز معه أن يَمُدَّ عينيه إلى ما متَّع الله تعالى به الكافرين «لِأنَّ مَن أعْطاهُ رَبُّهُ ـ جَلَّ وعَلا ـ النَّصِيبَ الأكْبَرَ والحَظَّ الأوْفَرَ، لا يَنْبَغِي لَهُ أنْ يَنْظُرَ إلى النَّصِيبِ الأحْقَرِ الأخَسِّ» ـ كما قاله الشنقيطي في أضواء البيان ـ. فحالُكَ أيُّها الداعي كذلك؛ فإيَّاك ثمَّ إيَّاك أن تمُدَّ عينيك إلى مُتَعٍ زائلةٍ وقد عظَّم الله تعالى أجرَك، ورفع قدرَك وذِكْرك، وجعل قولَك أحسنَ الأقوال.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعليِّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: (فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بكَ رَجُلٌ واحِدٌ خَيْرٌ لكَ مِن حُمْرِ النَّعَمِ) [أخرجه البخاري]، **فانظر**: رجلٌ واحد .. تكون سببا في هدايته خير لك من هذا المال الذي هو أثمنُ أموال العربي. وقد يكون سبب الهداية في حياتك أو بعد مماتك؛ بكلمةٍ كتبتَها، أو تكلَّمتَ بها في درس أو خطبة أو لقاء أو محاضرة خرجت منك؛ في حال رضا من الله تعالى بغلتْ بك مبلغاً يغبطك عليه الأولون والآخرون في عرصات يوم القيامة!!. فلا تمدنَّ عيْنيك إلى مُتَعٍ زائلة؛ وقد آتاك الله تعالى هذا الفضل العظيم.

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (مَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ له مِثْلُ أَجْرِ مَن عَمِلَ بهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِن أُجُورِهِمْ شيءٌ، وَمَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عليه مِثْلُ وِزْرِ مَن عَمِلَ بهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِن أَوْزَارِهِمْ شيءٌ) [أخرجه مُسلم]؛ فكم هي الأجور التي تنتظرُ الداعيَ إلى الله تعالى والتي كان سببا في إحيائها!!. وكم هي الأحكام التي

علَّمها وبثَّها في الخلق وعُمِل بها؟ وكم هي الشعائر التي ظهرتْ بعد انطماسها وكان ظهورها على يديْه. ولا أريد أن أضربَ أمثلةً لعلماءَ أجلّاء سطروا بدمائهم صفحات من التاريخ المنشود على أراضٍ قد ماتت فيها الشرائع وانطمستْ؛ فجاؤوا هم وبثوا فيها حياة الإيمان والذِّكْر الحكيم؛ إذْ إن قائمتَهم تطول، كثَّر الله تعالى سوادهم. وجعلني وإياك منهم.

فِكرة هذه الكِنانة[1]:

في غالب الخُطب التي أقف فيها بين يدي الجمهور؛ يكون اعتنائي كبيراً بتحضيرها، ولا أملُّ من هذا التحضير حتى وإن تكرر الوقوفُ بين أيديهم عن نفس الموضوع مرَّات ومرَّات؛ ففي تكرار المذاكرة والبحث يظهر أمامي من الأدلة والأفكار ما لم يكن قد ظهر في المرات السابقة ـ فهذه طبيعة العمل البشري الذي يعتريه النقص ـ؛ وأقوم بتدوين تلك الخطب ـ مع تكرر بعضها ـ في دفاتر عندي.

وبعد فترة من الفترات؛ انقدح في ذهني أن أجمع من هذه الدفاتر خُطباً ولقاءاتٍ وأفكاراً أرى مسيسَ الحاجة إليها مع قلَّة الكلام عنها!. لا سيما ونحن في عصر كهذا الذي نعيشُه؛ فالأفكار المنحرفة ليس لها حاجزٌ يحجزُها أو حاجبٌ يحجبها، وإنما هي كالنار التي تبدأ في الهشيم فلا يَمُرُّ عليه إلا زمنٌ قليل فيُقضى عليه. فكان من هذه المواضيع ما تكلمتُ فيه عن الضروريات الخمس: (الدين والنفس والعقل والنسل والمال)، وكان منها ما تكلمت فيه عن أساسيات الفهم عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم؛ كـ: (الوحي، والقرآن، والسنة، والصحابة، ..) وكان منها ما يَمُسُّ الواقع الذي نعيشه؛ كـ: (الرأي العام، والأسرة وما يُهددها من أخطار، والرجولة والشباب، ..) وكان فيها كذلك صفاتُ وارثي جنان الخلد؛ كـ: (الصالحون، والطيبون، والشهداء، والمؤمنون، والمسلمون، ..) وكان منها ما يَمَسُّ الجانبَ الأهمَّ في حياة المُسلمين وهو العقيدة؛ كـ: (التوحيد ونواقض الإيمان ..)، وكذلك فيها مواضع تخصُّ أركان الإسلام، وأخرى لبيان حقوق المسلمين مع بعضهم.

---

(1) **الكنانة:** هي ذاك الوِعاء الذي يُصنع من الجلد ونحوه؛ كي تُوضَع فيه السهام والنِّبال التي تُستخدم في الحروب أو في الصيد.

وكنت قد عزمتُ في أول شروعي لإعداد هذه الكنانة على استخراج مائةٍ منها؛ ولكنْ تقاصرتْ أنفاسي واستعجلت الخيرَ بإخراج تلك الخمسين، سائلاً الله تعالى أنْ يمُنَّ عليَّ بإخراج باقيها إنه جواد كريم سبحانه وتعالى.

وكان لي في إعدادِها مَنهجا سِرْتُ عليه:

ــ الاهتمامُ بتحديد العناصر الرئيسة في الموضوع.

ــ مُراعاةُ الأسلوب الوعظي البعيد عن التكلُّف والتطويل في إيصال المُراد.

ــ جعلتُها مجموعاتٍ (فُصُولاً) يربطها رِباطٌ عامٌ بينها.

ــ ليس شرطاً أن يكون الموضوع عندي في لقاءٍ واحد؛ فقد ألقيت كثيرا منها في لقاءاتٍ.

ــ جعلتُ تخريجَ الحديثِ النّبوي بجواره مقتصراً على مصدر واحد فقط في الأعم الأغلب؛ ولم أستشهد بالضعيف منها إلا إذ نبَّهتُ عليه.

ــ اعتمدتُّ فيها على ذِكر الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية ولم أستطرد فيها كلاما نثْرياً بين النصوص إلا فيما يوضِّح المُراد من ذِكرها.

ـ ليس لي فيها إلا الجمعُ والترتيبُ فحسب؛ وإن يكن ثمَّ جُهد غير ذلك فهو لإيضاح معنى أو استنابط آخر أو تقوية فِكرةٍ .. وهذا قليل جدا؛ إن لم يكن نادراً.

ـ ليس هناك موضوع في هذه الكِنانة إلا وقد كُتِبتْ فيه أبحاثٌ أو رسائلٌ عِلمية أو مؤلفاتٌ؛ ورُبَّما كانت فِكرةُ أحدها تلخيصَ كتابٍ أو كلمةً سمعتُها لداعية أو مُحاضِر أو غير ذلك .. ولم أقيِّد تلك المصادر أو تلك المراجع التي كانت سببا فيها؛ مُراعاةً لطبيعة إعداد الخُطب الوعظية أثناء تحضيرها. والله تعالى يتولى مُجازاة من كان سببا في واحد منها فجزاؤه هو أحسن الجزاء وأفضله.

ـ وذاك مَسردٌ عامٌّ لتلك المواضيع التي في هذه الكِنانة:

مسردُ الخطب

عن هذا المَسْرِدِ .. أقول:

أولاً: جعلتُ ترتيبه لا على حروف المُعجَم؛ بل على ترتيب إيرادها في أماكنها.

ثانياً: لم أذكُرْ الفصولَ العامة للمواضيع؛ وإن كانت مذكورةً في داخلها، وهذه الفصول هي: (في الفهم عن الله تعالى وعن ورسوله صلى الله عليه وسلم)، (الضروريات الخمس)، (الوارثون جنان الخلد)، (في الفضاء المجتمعي)، (مُلَحٌ ومُختارات).

ثالثاً: وضعتُه بين يدي تلك المواضيع؛ إغناءً لك عن تصفُّحِها جميعاً، فإذا ما رأيت منها موضوعاً قد أعجبك ذهبت إليه مباشرة.

الموضوع	الصفحة	**الموضوع**	الصفحة
1 ـ بين الوحي والهوى	**12**	**26 ـ مُراعاة العهود**	**174**
2 ـ القرآن الكريم	**22**	**27 ـ الحافظون فروجهم**	**179**
3 ـ السنة النبوية	**28**	**28 ـ النفس المُسلمة.**	**184**
4 ـ الصحابة رضي الله عنهم	**34**	**29 ـ المحسنون.**	**193**
5 ـ التزكية	**40**	**30 ـ الصادقون.**	**200**
6 ـ علاقات للمسلم.	**46**	**31 ـ الشهداء**	**206**
7 ـ الاستجابة والتسليم	**53**	**32 ـ أهمية الرأي العام**	**213**
8 ـ العبادة.	**59**	**33 ـ في ترك الفضول**	**218**
9 ـ مُحبطات الأعمال.	**66**	**34 ـ خطورة الشائعات**	**226**
10 ـ التوحيد.	**71**	**35 ـ الرجولة والشباب**	**234**
11 ـ الدِّين	**78**	**36 ـ بين الدنيا والآخرة**	**242**

12 ـ النَّفس	86	37 ـ الدعاء.	247
13 ـ النسل (العِرض)	93	38 ـ بر الوالدين	252
14 ـ المال.	99	39 ـ الطهارة والنظافة	258
15 ـ العقل.	106	40 ـ الإدمان والتدخين	264
16 ـ الإرث الأخروي.	113	41 ـ ضوابط الأسواق	270
17 ـ الصالحون.	119	42 ـ خير أمَّة.	275
18 ـ الطيبون.	124	43 ـ المسئولية.	281
19 ـ المتقون.	129	44 ـ حق المسلم على المسلم	287
20 ـ المؤمنون.	135	45 ـ ما تصلح به الدنيا.	296
21 ـ المُعرضون عن اللغو	142	46 ـ الأسرة (بيوتنا).	305
22 ـ المحافظون على الصلاة	147	47 ـ من نواقض الإيمان	315
23 ـ الخاشعون في الصلاة	154	48 ـ الشهود على العبيد	328
24 ـ المؤدون الزكاة	161	49 ـ ذِكر الله تعالى	334
25 ـ رِعاية الأمانة	167	50 ـ فرائض الإسلام (مقاصدها)	342

وفي خِتام هذه المُقدِّمة؛ أقول:

إن كان من توفيق فيما هو مُدوَّنٌ بين يديك؛ فمِن الله تعالى وحده وأسأله الإخلاص والقبول؛ وإن كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان والله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم منه بّراء. **وحسبي في ذلك أنّي قد وضعتُ بين يديك رؤوسَ أقلامٍ لمواضيع أو لأفكارٍ؛ لعلَّها أن تكون على مِنبرك أو على مكتبك أو في مجلسك أو في بيتك مع أسْرتك في يوم من الأيام بِعرضٍ وأسلوبٍ أرقى وأوفى من هذا.**

وأعوذ بالله تعالى أنْ أكون ممَّن شغل وقت إخوانه بما لا ينفع، أو أكون ممَّن جعل عمل الآخرة للدنيا.

سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدُّك ولا إله غيرك

كتبه:

أحمد بن محمد بن حلمي بن عبده (آل الحتة)

دكتوراه ـ الدعوة والثقافة الإسلامية ـ جامعة الأزهر

إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف المصرية

قرقيرة ـ السنبلاوين ـ دقهلية ـ مصر.

(يوم السبت: 11/ جمادى الآخرة/ 1445هـ ـ 23/ 12/ 2023م).

وبعدُ .. فهاك سِهامُ هذه الكنانة؛ الواحد يتلوه الآخر

والله المُستعان

في

(الفَهْم عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم)

«آمَنْتُ بِاللهِ وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللهِ، عَلَى مُرَادِ اللهِ،

وَآمَنْتُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبِما جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

عَلَى مُرَادِ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»

"الشافعي رحمه الله تعالى"

أولاً: بين الوَحْي والـهوى[1]

عناصر الموضوع:

أولاً: المقدمة.

ثانياً: قيادة الوحي (معالم وآثار).

ثالثاً: قيادة الهوى (معالم وآثار).

(الموضوع)

أولاً: المقدِّمة.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿والنجم إِذَا هوى ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ {النجم}؛ وقال: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾{القصص} فليس ثمَّة نطقٌ إلا بأمرين؛ إما بوحي وإما بهوى.

وكما هو معلوم فإن مصدر الوحي هو الله سبحانه وتعالى؛ فكذلك معلومٌ أن مصدر الهوى هو العقل الإنساني، ونجاة المرء ـ في أي زمان ومكان ـ إنما هي في اتباع الأول ومخالفة الثاني.

وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ] وقال سبحانه عن الذين يتبعون أهواءهم؛ بل ويؤلِّهُونَها: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ

---

(1) قد يكون في ثنايا هذا الموضوع ما يُخالف المنهج الذي بينته في المقدِّمة؛ وما ذاك إلا: لأن لها سببا؛ حيث إنني قد اشتركت في برنامج من البرامج المهتمة بمناقشة القضايا الإلحادية والأفكار المنحرفة (صناعة المحاور)، وقد طلب مني القائمون عليه إعداد خطبة من خُطب الجمعة؛ فكانت هذه مع بعض التعديلات التي أجريتها عليها بعدُ.

بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ {الفرقان}؛ وقال عنهم كذلك: ﴿فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ﴾ {الجاثية}. وعليه فليس من عجب أن يكون شرط كمال الإنسان في إنسانيته بل وفي إيمانه اتباعَه للنبي صلى الله عليه وسلم. (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) (أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ـ وذكره النووي في الأربعين).

فالهدايةُ والتوفيق والرشاد إنما هو بما يُوحيه الله تعالى إلى عباده عن طريق رُسله صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً. وكذلك الضِّدُّ بالضدِّ؛ فإنَّ الضلال والهلاك والفساد بكلِّ أنواعها وصورها وفروعها؛ بل وصيرورة الإنسان إلى حالة هي من أحطِّ الدركات في إنسانيته كالأنعام بل أضل؛ إنما هو: باعتمادِه على عقله وهواه ونُفرتِه عن خالقه ومولاه.

وفي هذه الكلمات القليلة أوضِّحُ إن شاء الله تعالى؛ معالمَ وآثار كلٍّ من القيادَتَيْن (الوحي والهوى) في قيادتهما للبشرية تعزيزا لإيمان المؤمنين وتثبيتا لقلوبهم بأن ما هم عليه إنما هو الحق الذي لا مِرية فيه؛ بل ولا يُقبل فيه خلاف.

ثانياً: قيادة الوحي (معالم وآثار)

بداية لابد وأن يُعلم أن المقصود بالوحي هنا إنما هو ما أوحى الله تعالى به إلى كلِّ أنبيائه ورسله؛ وليس المقصود هنا؛ القرآن فقط ـ وإن كان هو خاتمَها والمهيمنَ عليها، بل والناسخَ لها ـ وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قال بعد أن ذكر جملة من الأنبياء: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ {الأنبياء}. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الأنبياء إخوة لعلّات أبوهم واحد وأمهاتهم شتى ..) (أخرجه البخاري) فوحدةُ المصدرِ دليلٌ على اتفاق الغاية وإن اختلفت الطرق الموصلة إليها وهي الشرائع.

ومما لا شك فيه أن هذه القيادة انطلقت في أوائل انطلاقها من مُسلَّمةٍ يُبنى عليها ما يتفرع عنها من توجيهات وتشريعات؛ وهي مُسلَّمةُ الوجود الإلهي فقد قالجلَّ ذِكرُه: ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ {إبراهيم} وقوله تعالى عن كثير منهم في آيات شتى ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم

مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ فكان خطابهم خطاباً تذكيرياً لما هو مركوز في نفوسهم وليس خطاباً تأسيسياً لأمر لم يعرفوه.

أ ـ معالم هذه القيادة.

أبرز هذه المعالم تتركز في:

- **ربط المدعوِّين بخالقهم ورازقهم (المصدر الإلـهي).**

هذا المَعْلم هو من المعالم المُهمة في دعوات الأنبياء والمرسلين؛ فما من رسول ولا نبي إلا ويُعلِّق دعوتَه بمصدرها الأعلى ألا وهو الله تعالى؛ فعندما انحرفت البشرية عن طريقها المستقيم الذي ظلت عليه قرونا عدَّة ـ عشْرَة قرون ـ من لدُن آدم إلى نوحٍ عليهما السلام؛ كانت دعوة نوحٍ صلى الله عليه وسلم فيها ما فيها من ترسيخٍ لهذا المعلم؛ فقد قال الله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ {سورة نوح}؛ ثم كانت الرسل من بعده ـ إذ هو الرسول الأول .﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ **مِنۢ بَعْدِهِۦ**﴾ ـ تسيرُ على مِنواله وهديه؛ بل ويأتي مِن بعده أبو الأنبياء إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه. مُستدلاً على عباد الكواكب بقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ {سورة الأنعام} وعلى عُبَّاد الأصنام بهذا المنهج فيقول: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝٧٣ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۝٧٤ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ {الشعراء} وكذلك كل الأنبياء والمرسلين صلوات عليهم جميعا. فهو معلمٌ لا يغيب في هذه القيادة الإلهية.

- **الحفاظ على تكريم الإنسان في المركز الذي وضعه الله تعالى فيه بلا إفراط ولا تفريط.**

فالإنسان في الخطاب الالهي له منزلة تُناسبه؛ بحيث تتناسب وما حباه الله تعالى به من القدرات والإمكانيات. ففي هذا الخطاب نجد التكريم الإلهي لهذا الإنسان لا يطغى به ليكون إلهاً يُعبد؛ وكذلك لم ينحط به ليكون في منزلة هي كالبهائم أو كالدواب التي لا تعقل؛ بل جعله إنسانا يكون في حاجة إلى من يُذكِّره إذا نسي، ويَشفيَ أمراضه إذا مرِض، ويُطعمه إذا جاع؛ ويكسوه إذا عري، وكذلك هو إنسان في حاجة إلى من يهديه في حيرته ويُرشده إذا ما ضلَّ السبيل، وهذا ظاهرٌ جداً في قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي﴾ فضمِن لي أسباب البقاء وأسباب الحياة؛ بضرورياتها وحاجياتها بل وتحسينياتها ﴿فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ من حيرتي وضلالي.

فتكريمه إنما هو تكريمٌ بالعدل والقسط وليس تكريما بالهوى والشهوة؛ فمن العدل أن يُوضع في موضعه الذي وضعه الله تعالى فيه؛ فتكريمه إذا في كونه عبداً مربوباً مخلوقاً؛ جاء إلى هذه الحياة لغاية وهدف وليس عبثاً؛ وعليه فإذا ما حقق هذا الهدف كان كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ {الحجرات}؛ وإذا ما انحرف عن هذه الغاية انحط بتكريمه الآدمي إلى أن أصبح: ﴿كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وسنرى أثر ذلك في قيادة الهوى.

- **تسخير الكون بكلِّ ما فيه؛ تيسيراً للإنسان في تحقيق مهمته الوجودية (العبادة).**

من معالم القيادة الإلهية؛ أنها تلفت نظر المدعوين إلى هذا الكون المُسخَّر لفتاً يتفكرون به في خالقه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ {الدخان} وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ {البقرة} ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ

ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾ {البقرة} فهو كونٌ مهيىءٌ لهذا الإنسان من أجل وظيفته تلك وقد قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١٦ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنًا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقًا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ {العنكبوت}

- **معالجة ما تفشى في مجتمعاتهم من الأمراض.**

وهذا مَعْلَمٌ أساسي في هذه القيادة الإلهية؛ إذ أنه تُعالَج من خلالها ما تفشى من أمراض في مجتمعها؛ فلم تغضَّ الطرف عنها؛ ولم تقل هذه القيادة: (أعطوا ما لقيصر لقيصر؛ وما لله لله)[1] بل كانت تلك القيادة فيها أوامر متعلقة بالمال والحياة: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ۝٨٧﴾ {هود} قيادة متمثلة بقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢﴾{الأنعام} وانظر كذلك إلى معالجة لوط عليه السلام لفاحشة تفشتْ في مجتمعه نكراء تنكرها العقول؛ وكذلك معالجة شعيب لتطفيف الموازين .. وغير ذلك، وقبل كل هذا معالجتهم ما ظهر في أقوامهم من عبادتهم لغير الله والتي هي أكبر الفواحش والكبائر.

- **الموازنة بين متطلبات الروح وحاجات الجسد.**

ومن معالم تلك القيادة؛ موازنتُها بين حاجات الإنسان روحا وجسداً؛ فلم تُهْمِل جانبا على حساب الآخر، بل هي كما اهتمت بالعقائد والعبادات التي تربط العبد بربه وخالقه؛ كذلك اهتمت بالإنسان في حياته ومعيشته، فنجد فيها تشريعات في المعاملات بشتى أنواعها ما يحلُّ منها وما يحرم، وكذلك الجوانب الاجتماعية وعلاقة الرجل بالمرأة وبناء الأسرة وما صاحب ذلك من السَّياجات الواقية لهذه العلاقة العظيمة، وكذلك التشريعات التي تنظم حياة الحاكم بالمحكوم، وعلاقة الدُّول بعضها مع

---

(1) مرجع انجيل مرقس: (12: 16-17)؛ يُنسب هذا القول إلى عيسى عليه السلام؛ وله قصة في المكان المُشار إليه؛ فقد قال ذلك إجابة على سؤال وُجِّه إليه لم تُدفع الجزية؟ فأجاب بذلك؟ فهل هو من تحريف الكتبة؟ أم من المنسوخ؟ أم ماذا؟ وعلى كلّ ففي شرعنا ما هو في آية الأنعام المذكرة أعلاه.

بعض وغير ذلك في شتى صور الحياة وأحوالها؛ في صورة من صور الإعجاز التشريعي الذي يشهد لمُشرِّعه بأنه كما قال عن نفسه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ {الملك}.

فلم تجعل تلك القيادة أتباعَها في صَوْمَعات ولا في أديرة معزولين عن دنيا الناس، وكذلك لم يجعلهم عُبَّاداً للمادة يربحون منها ويكنزون؛ وإن كان على حساب إخوانهم من بني البشر.

هذه بعض المعالم لدعوة الوحي الإلهي؛ وأمَّا عن آثارها فهاك بعضها:

ب ــ آثار هذه القيادة.

وأمَّا آثار هذه القيادة الإلهية فأمر لا يُنكره عاقل؛ فما تقدَّمت البشرية نحو إنسانيتها وما أخذت سبيلاً من سُبل الرقي والتحضر إلا عن طريق تلك القيادة النبوية:

فهل هناك قيادة كرَّمت الإنسان جنيناً؛ ثم رضيعا ثم طفلاً ثم فتىً ثم شابًّا وهكذا إلى أن يُردَّ إلى أرذل العمر؛ هل هناك من كرمه في هذه الأحوال إلا هي؟!

فهل هناك قيادة كرَّمت الإنسان حيا وميتا إلا هي؟

وهل هناك قيادة كرمت مخالفيها؛ حتى أَلْزَمَتْ نَفْسَها بالمحافظة عليهم والدفاع عنهم مع اختلاف عقيدتهم؛ وهذا إذا ما انضموا تحت سلطانها ولوائها؛ إلا هي؟!

وهل هناك قيادة كرَّمت المرأة ـ حفيدة، وبنتاً، وأختاً؛ ثم زوجة؛ وأمَّاً إلى أن تكون جدَّة وهكذا؛ **فليستْ كما يُقال نصف المجتمع إذْ هي تلدُ النصف الآخر؛ فهي المجتمع كلُّه!** فهل من قيادة كرَّمت المرأة بهذا التكريم؟! هل هناك قيادة أفرزت للبشرية مجتمعا من المجتمعات مثل ما أفرزته تلك القيادة في بلاد الإسلام من أمثال: (عمر بن عبد العزيز؛ وهارون الرشيد ..) وما أندلس

المسلمين ـ لا إسبانيا الغرب ـ عنا ببعيد[1]؛ والتي جعلت مُفكراً من مفكري الغرب يتحسَّر على توقف الفتح الإسلامي عند بلاط الشهداء؟. أظن أن ذلك لم يكن ولن يكون إلا في ظلال القيادة الإلهية.

إن الحديث عن آثار تلك القيادة حديث ذو شجون؛ وخلاصته: أنه ما من خير نالتْه البشرية في حياتها وتاريخها الطويل إلا وهو أثر من آثار وحي السماء.

ثالثاً: قيادة الهوى (معالم وآثار).

ما ظنُّك بقيادة ليس لها رابط ولا رادع، وليس عليها رقيب ولا حسيب بل ولا سلطان، وإنما هو الهوى، والذات، والرغبات واللذات التي تهواها النفوس؛ ففضاؤها واسع رحْبٌ ليس فيه حواجز. فلم تتقيد بقيد ولم تربط نفسَها برباط، ولم تعقل عقلها بعقال؛ وإنما تركت أمرها لهواها حتى صيرتْه إلهَهَا ومعبودَها؛ ففيها الشهوات مؤججة مُستعرة؛ فقد ينزو الفحل فيها على أمِّه ومحارمه؛ وفيها يبع المرء أعز الأشياء عنده في مقابل شهوةٍ ولذةٍ في ساعة؛ بل في دقائق ثم تنقضي، ولا عِصمة فيها للدماء ولا للأرواح بل القوي فيها يأكل الضعيف، والغني يستعبد الفقير، والأنثى ذليلة للذكر ومحطّاً لرحله مِيراثاً له وفقط ... **وحسبك من شرٍّ سماعُه دون رؤيته** .. فأنا لا أتحدث عن عالمٍ للحيوان وإنما أتحدث عن عالم قيادتُه في يد الإنسان؛ لا في يد الرحمن جل جلاله وتقدستْ أسماؤه.

أ ـ معالم هذه القيادة.

- **مناهضة الخطاب الديني والقائمين عليه.**

تلك وقاحةٌ من وقاحات هذه القيادة؛ إذْ أن دأْبَهم مع رسالات السماء؛ كما كانوا مع القرآن؛ فعنه قال تعالى مُبيناً حالهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ {فصلت} ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ {الأعراف} ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف] ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الشعراء]؛ ويبدوا أن هذا إرثٌ يتوارثه أفراد هذه

---

(1) لم أُمثِّل بالأعلى من الأمثال؛ كزمن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين؛ اكتفاءً بالأدنى على الأعلى؛ وإنما فعلت ذلك لظهور النموذج المادي الذي يلهث وراءه كثير من الناس في حياة هذه الأمثلة المذكورة أعلاه

القيادة؛ ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ﴾ {الذاريات}

عجيبةٌ جداً هذه المناهضة .. فالقائمون على الخطاب الديني لا يدعون الناس لأنفسهم وإنما يدعونهم إلى الله تعالى؛ لا يريدون منهم أجرا؛ وإنما أجرهم على الله تعالى مقصورا، ولا ينسبون الفضل إليهم وإنما ينسبونه لله تعالى. إذا فلماذا هذه المناهضة؟! ليس من جواب إلا أن القيادة الدينية بوحي السماء تنزع وتخلع سلطانَ الهوى من على تلك النفوس.

- **ربط المدعوين بذواتهم وأنفسهم (مدعوِّين ودعاة)**

وتلك مصيبة أخرى تُبين لذوي العقول المتحررة من سلطان الأهواء؛ فساد حاكمية الهوى وسلطانه على البشرية، فإما أن يدعوَ الهوى أصحابَه إلى التمسك بتقليد لمجموعة من الآباء ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ۝٢٣﴾ {الزخرف} وإما أن يكون لشخص واحد، يُسمع له ويُطاع؛ ولعلَّ هذا الذي قال: ﴿ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٢٩﴾؛ من زعمائهم؛ وإما لدينٍ مُحرَّف أَضْفَى عليه محرفوه مِسْحَةً إلهية وما ذلك إلا تدليس وغش لأقوامهم وتقديس لهوى أنفسهم؛ فقد نصبوا أنفسهم أرباباً يُعبدون من دون الله تعالى؛ وفيهم يقول الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وكذلك قال فيهم: ﴿إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ {التوبة}. وهذا في السابق؛ وأمَّا في تاريخينا؛ تاريخِ البشرية الحديث فكم كان لهذه الأسماء من ويلات على البشرية كلها؛ أمثال: (هتلر، لينين، ستالين، داروين، وفرويد ..) وسوادُ تلك القائمة القاتمة في حياة البشرية يطول.

- **إهمالُ إنسانيةِ الإنسانِ بتقديسِ إنسانيتِه (كمَنْ خاف على ولده فقتله).**

إن وضع الإنسان في موضِعٍ غير الموضع الذي وضعه الله فيه إنما هو من قبيل الجناية عليه؛ فإذا ما قُدِّس في هذه الحياة تقديسا؛ يرفعه من محكوم إلى حاكمٍ عليها فإن ذلك سوف يجعله مُستنزِفا

لكافة الإمكانيات المتاحة له في تحقيق حاكميته تلك؛ وهو بذلك قد جعل نفسه عبداً لهذه الحياة، مُسَخِّراً نفسه لها ولأهلها فحسب.

وإلا فما ظنك بإنسان جعل تقدَّمه ورُقيَّه في هذه الحياة من أجل أن يسعد فيها (اجتماعيا، وطبياً، وعلمياً، وسياسيا، ومعلوماتيا، ورفاهيًّا) فجعل المركز الذي يدور حوله في هذه الحياة هو إنسانيته فحسب. بغض النظر عن دينٍ يتدين به أو أخلاق يرجوا من ورائها ثوابا في الآخرة، فتقدمُه إنما هو إشباع للجسد بغرائزه ونزواته وليس غير.

فهذا إن تسلط على الآخرين إنما هو إشباع لرغبته؛ وإن جمع المال إنما هو لرغبته، وإن قتل فكذلك، وإن استعمر فكذلك، وإن استحوذ على خيرات الآخرين فكذلك. فكلٌّ في فلك إنسانيته لا غير.

- **نبذ الفضائل؛ وإشاعة المنكرات.**

وهذه وقاحة أخرى لتلك القيادة؛ ولها أمثلة كثيرة؛ فقد قالوا عن أهل الطهارة والعفاف: ﴿أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ ﴾ لأن جريمتهم ـ في مجتمع الهوى ـ نكراء!!؛ وهي: ﴿إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ {الأعراف} بل ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ {الأنفال} وهذا أيضاً كأنه وصيةٌ يتواصون بها؛ فقد قال ورقة بن نوفل ـ وكان على علمٍ بكتب أهل الكتاب ـ للنبي صلى الله عليه وسلم عندما قصَّ عليه خبره من نزول الوحي: (ليتني أكون حياً إذ يُخرجك قومك! فيقول رسول الله: **أو مخرجي هم؟**؛ قال ورقة: لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي) (أخرجه البخاري)؛ فإذا ما عجز هؤلاء عن إخراج هذه الثلة الطاهرة من بينهم؛ فعلوا كفعل أهل الإفك وقد قال الله عنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ {النور: 19}. هذه بعض المعالم.

وأمَّا آثارها فكثيرة؛ منها:

ب ـ آثار هذه القيادة.

آثار تلك القيادة يُغني عن ذكرها والاستطراد فيها؛ معالمُها ـ عفواً: بل وقاحاتها ـ التي سبقت.

فما ظهر الإلحاد الذي تأباه العقول السليمة والفِطر المُستقيمة إلا في ظلامها.

وما أُريقت الدماء ولا أزهقت الأنفس إلا في حَرُورها؛ إذ لا ظلال لها.

وما استُعبدتِ النساء؛ بل ولا بِعنْ إلا في أوكارها.

وما ظهرت الفواحش بكل صورها ووسائلها إلا في حاناتها؛ وإلا فمن الذي يحمل في هذه الأيام الدعوةَ إلى الشذوذ الجنسي؛ من الذي يدعوا إلا تحرير ـ بل تجريد ـ المرأة من حيائها وشرفها. ..

بل ما هي هذه القيادة التي إذا ما ملكتْ؛ قتلتْ، فلم ترحم أحدا؛ لا رجل ولا امرأة؛ ولا كبير ولا صغير، ولا إنسان ولا حيوان، لا براً ولا بحراً بل ولا جواً.

ربِّ اغفر وارحم .. وتجاوز عما تعلم .. إنك أنت الأعز الأكرم.

ثانياً: القرآن الكريم.

العناصر:

المدخل

أولاً: أحوال (الجمادات والكفار وأهل الكتاب والجن) مع القرآن الكريم.

ثانياً: من فضائل القرآن.

ثالثاً: فضل التلاوة.

رابعاً: القرآن حجة لك أو عليك.

(الموضوع)

قال الله تبارك وتعالى؛ مُبيناً عجز الجن والإنسن عن **أن يأتوا بمثل** هذا القرآن: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء] وزاد هذا الأمر بياناً ببيان عجزهم عن أن يأتوا **بعشر سور مثله؛** فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ **[هود]،** وزاد هذا الأمر إيضاحاً أكثر فأكثر ببيان عجزهم عن أن يأتوا **بسورة مثله** فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ بل عن أن يأتوا بسورة من مثله فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة] فإذا كان أمر القرآن كذلك فلابد من الوقوف معه وقفةً نستلهم منها فضائلَه وأحوال الخلق معه، وبيانُ شيء من الواجبات علينا تجاهه وغير ذلك. وهذا ما يدور عليه الحديث.

أولاً: أحوال (الجمادات، والكفار وأهل الكتاب والجن) مع القرآن الكريم.

ـ **أما الجمادات.** فلقد قال الله تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر] وقال جلَّ ذِكره: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ﴾ [الرعد] والخبر في هذه الآية محذوف لدلالة السياق عليه: أي لكان هذا هو شأن القرآن.

ـ **وأمَّا عن حال الكفار مع القرآن الكريم.** ففي حالةٍ غريبة جداً عندما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة النجم سجد في آخرها وسجد معه الناس جميعاً مُسلمهم وكافرهم؛ فلقد رُوِيَ (أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ سَجَدَ بالنَّجْمِ، وسَجَدَ معهُ **المُسْلِمُونَ والمُشْرِكُونَ والجِنُّ والإِنْسُ)** (أخرجه البخاري) دعْ عنك الخوض في سبب سجودهم!! فالمهمَّ أنهم سجودوا؛ فهل هو سجودٌ لبلاغتِه ونظمِه أم لسطوته على القلوب والعقول أم ماذا..؟

ـ **وأما عن حال أهل الكتاب.** ففي القرآن الكريم إشارت جليَّة على ذلك. فقد قال الله تعالى عن طائفة منهم: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ **وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ**﴾ [المائدة]. وفي موضعٍ آخر يقول الله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [الإسراء]؛ بل عندما فاجأ الوحيُ نبينَا محمداً صلى الله عليه وسلم في الغار ذهبتْ به زوجه إلى واحد من منهم: (فَانْطَلَقَتْ به إلى ورَقَةَ بنِ نَوْفَلٍ، **وكانَ رَجُلًا تَنَصَّرَ، يَقْرَأُ الإنْجِيلَ بالعَرَبِيَّةِ،** فَقالَ ورَقَةُ: مَاذَا تَرَى؟ فأخْبَرَهُ، فَقالَ ورَقَةُ: **هذا النَّامُوسُ الذي أَنْزَلَ اللَّهُ علَى مُوسَى،** وإنْ أَدْرَكَنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا) (أخرجه البخاري)، ولما سمع النجاشيُ بعض القرآن من مُهاجرة الحبشة ـ كما

جاء في كتب السيرة ـ تأثر به هو وحاشيته ثم قال: (إِنَّ هذا واللهِ والَّذِي جَاءَ بِهِ موسى لَيَخْرُجُ من مِشْكَاةٍ واحِدَةٍ).

ـ **وأما عن الجنِّ. فقد قال الله تعالى عنهم:** ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف] وقال أيضاً: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن].

وهنا يقف المرء متعجباً لهذا العجب الذي وجده الجنُّ من القرآن الكريم؛ فهل هو عجبٌ لنظمه ولفظه، أم لأحكامه وتشريعاته، أم لأخباره وقصصه، أم لإحكامه وعدم تناقضه، أم لسهولته ويُسره مع إعجازه .. سبحان الله تعالى!!.

ثانياً: من فضائل القرآن.

فضائل القرآن؛ أكثر من أنْ تُحصر وأشهر من أن تُذكر، ومنها:

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ، قالوا: مَنْ هُم يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: أَهلُ القرآنِ؛ هُم أَهلُ اللهِ وخاصَّتُه) (أخرجه الحاكم في المستدرك).
- وقال: (يُقالُ لصاحبِ القرآنِ اقرأْ وارتقِ ورتِّلْ كما كنت تُرتِّلُ في الدنيا فإنَّ منزلَك عند آخرِ آيةٍ تقرؤُها) (أخرجه أبو داود والترمذي).
- وقال: (خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ). قالَ: وأَقْرَأَ أبو عبدِ الرَّحْمَنِ في إمْرَةِ عُثْمانَ، حتَّى كانَ الحَجَّاجُ قالَ: وذاكَ الذي أقْعَدَنِي مَقْعَدِي هذا. (أخرجه البخاري) وأبو عبد الرحمن السلمي أحد مشاهير القُراء علَّم الناس القرآن من إمرة عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى زمن الحجاج وسبب هذه المدَّة الطويلة هذه هو هذا الحديث!!. كما قيل في شرحه.

- وقال: (مَثَلُ الذي يَقْرَأُ القُرْآنَ وهو حافِظٌ له، مع السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ، ومَثَلُ الذي يَقْرَأُ وهو يَتَعاهَدُهُ، وهو عليه شَدِيدٌ؛ فَلَهُ أجْرانِ) (أخرجه البخاري ومسلم).
- ورويَ: (أنَّ نَافِعَ بنَ عبدِ الحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بعُسْفَانَ، وَكانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ علَى مَكَّةَ، فَقالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ علَى أَهْلِ الوَادِي، فَقالَ: ابْنَ أَبْزَى، قالَ: وَمَنِ ابنُ أَبْزَى؟ قالَ: مَوْلًى مِن مَوَالِينَا، قالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عليهم مَوْلًى؟! قالَ: إنَّه قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وإنَّه عَالِمٌ بالفَرَائِضِ، قالَ عُمَرُ: أَمَا إنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قدْ قالَ: إنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بهذا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ به آخَرِينَ) (أخرجه مسلم).
- وكذلك رُويَ: (أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ يَجْمَعُ بيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِن قَتْلَى أُحُدٍ في ثَوْبٍ واحِدٍ، ثُمَّ يقولُ: أيُّهُمْ أكْثَرُ أخْذًا لِلْقُرْآنِ؟ فَإِذَا أُشِيرَ له إلى أحَدِهِما قَدَّمَهُ في اللَّحْدِ..) (أخرجه البخاري وغيره). ولكن أيُّ تكريم لهذا الذي أخذ من القرآن أكثر من أخيه .. فلا يَضرُّه أنْ يدفن في الأمام أم في الخلف .. فوق الأرض أم تحتها .. إنه قد مات!! ولكنها رسالة للأحياء قبل أن تكون لحاملي القرآن.

ثالثاً: فضل التلاوة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر]. وقال الطبري بسنده عن مطرف بن عبد الله أنه قال في هذه الآية: «هذه آية القُراء».

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (منْ قرأَ حرفًا من كتابِ اللهِ فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها لا أقولُ آلم حرفٌ، ولَكِن ألِفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ) (أخرجه الترمذي).

وقال عليه الصلاة والسلام: (اقْرَؤُوا القُرْآنَ فإنَّه يَأْتي يَومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ، اقْرَؤُوا الزَّهْراوَيْنِ البَقَرَةَ، وسُورَةَ آلِ عِمْرانَ، فإنَّهُما تَأْتِيانِ يَومَ القِيامَةِ كَأنَّهُما غَمامَتانِ، أوْ كَأنَّهُما غَيايَتانِ، أوْ كَأنَّهُما

فِرْقانِ مِن طَيْرٍ صَوافَّ، تُحاجَّانِ عن أصْحابِهِما، اقْرَؤُوا سُورَةَ البَقَرَةِ، فإنَّ أخْذَها بَرَكَةٌ، وتَرْكَها حَسْرَةٌ، ولا تَسْتَطِيعُها البَطَلَةُ. قالَ مُعاوِيَةُ: بَلَغَنِي أنَّ البَطَلَةَ: السَّحَرَةُ) (أخرجه مسلم).

وقال عليه الصلاة والسلام: (الصِّيامُ والقرآنُ يشفَعانِ في العبدِ يومَ القيامةِ يقولُ الصِّيامُ أيْ ربِّ منَعْتُه الطَّعامَ والشَّهوةَ فشفِّعْني فيه ويقولُ القرآنُ منَعْتُه النَّومَ باللَّيلِ فشفِّعْني فيه قال فيشفَعانِ) (أخرجه أحمد).

معنى التلاوة: وينبغي أن لا يغيب عن أذهاننا معنى التلاوة؛ فمعناها كما هو معروف، ولها معنى آخر وهو: الاتباع؛ قال ابن الجوزي في تفسيره: «وَفِي قَوْلِهِ: ﴿يَتْلُونَ﴾ قَوْلانِ. أحَدُهُما: يَقْرَؤُونَ. والثّانِي: يَتَّبِعُونَ». فلابد وأن نكون على عِلمٍ بهذا المعنى إذْ كيف يجوز لنا أن نُقيم حروفَ القرآن أحسن إقامةٍ ونحن مُضيِّعين لحدوده وقواعده وأحكامه. ولذلك كان العنصر الأخير في هذا اللقاء؛ وهو:

رابعاً: القرآن حجة لك أو عليك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ المِيزانَ، وسُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ ـ أَوْ تَمْلأُ ـ ما بيْنَ السَّمَواتِ والأرْضِ، والصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ، **والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أوْ عَلَيْكَ**، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها، أوْ مُوبِقُها) (أخرجه مسلم).

يكون القرآن حجةً لك إن عملت بما فيه وحجة عليك إن لم تعمل بما فيه حتى وإن كنتَ له تاليا وله مُعلِّما؛ فمِن أول من تُسعر بهم جنهم ثلاثة منهم قارئ للقرآن: (فيقولُ اللَّهُ للقارئِ ألم أعلِّمْكَ ما أنزلتُ علَى رسولي قالَ بلى يا ربِّ قالَ فماذا عملتَ فيما عُلِّمتَ قالَ كنتُ أقومُ بِه آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ فيقولُ اللَّهُ لَه كذَبتَ وتقولُ الملائِكةُ كذَبتَ ويقولُ له اللَّهُ بل أردتَ أن يقالَ فلانٌ قارئٌ؛ فقد قيلَ ذلكَ) (أخرجه الترمذي)، وكان من هدي الصحابة رضي الله عنهم في تعلُّمِ القرآن كما قال عبد الله بن مسعود: (كُنا نتعلَّمُ من رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عَشْرَ آياتٍ، فما نعلَمُ العَشْرَ التي

بعدَهنَّ؛ حتى نتعلَّمَ ما أُنزِلَ في هذه العَشْرِ منَ العَمَلِ). فالعملَ العملَ حتى ننتفع بالقرآن ويكون لنا لا علينا.

همسة في أذن مُعلِّمي القرآن الكريم في المدارس أو المعاهد أو الحلقات.

الصبرَ .. الصبرَ؛ فقد كتب الله تعالى لكم الأجر؛ وانظروا إلى هذا المِثال: « جاء في طبقات الشافعية **أن الربيع بن سليمان ـ رحمه الله ـ كان بطيء الفهم، فكرَّر عليه الشافعيُ ـ رحمه الله ـ مسألةً واحدة أربعين مرة فلم يفْهم!**، فقام الربيعُ من المجلسِ حياءً، فدعاهُ الشافعيُ في خلوةٍ وكرر عليه حتى فَهِم، وقال له: ياربيع**!** لو قدِرْتُ أن أطعمك العلم لأطعمتُك إياه» أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي. وقد تولى نقل علمَ الشافعي هذا الطالبُ الذي كان بطيءَ الفهم**!!**

قال الإمام الآجرِّيُ في كتابه "أخلاق العلماء" في أوصاف العالم إذا عُرِف بعلمه: «فأما أخلاقه مع مُجلسيه **فصبور على من كان ذهنه بطيئًا عن الفَهْم حتى يَفهم عنه، صبور على جفاء من جهل عليه حتى يرده بحلم،.. ولا يعنف السائل بالتوبيخ القبيح فيخجله»**. فإياك ثم إياك من هذا؛ وبخاصةً؛ إذا ما علمتَ أو تيقنتَ من زهادة الناس فيما معك .. فلا يجتمع على التلاميذ مثبِّطان (تزهيد مِن الناس فيما معك) (وتنفير مِنك عن ما معك).

والحمد لله رب العالمين

ثالثاً: السنة النبوية.

العناصر:

مقدمة "في معنى الشهادتين".

أولاً: اقترانات بيِّنات.

ثانياً: مركزية السنة في فهم القرآن.

ثالثاً: عقوبات لمخالفات.

(الموضوع)

من المعلوم قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، وإِقَامِ الصَّلَاةِ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضَانَ**)** (أخرجه البخاري). فأول هذه الأركان هو ركن الشهادتين؛ وهذا الركن ينقسم إلى شِقَّيْن؛ والثاني منهما: **(**وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ**)** والذي يعني ـ كما قِيل ـ: «طَاعَتُهُ صلى الله عليه وسلم فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إلا بما شرع» فلابد من هذه الأربع في تحقيق معنى الشهادة بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذه الشهادة لابد فيها من شروطٍ وضوابط حتى لا نكون فيها من الكاذبين المنافقين الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون] فشهدوا للرسول بالرسالة ومع ذلك كذَّبهم الله عز وجل**!!**

ولبيان أهمية السنة النبوية المطهرة؛ ننظر في هذه الأمور:

أولاً: اقترانات بينات.

فقد جاء في القرآن الكريم الاقتران بين (**الله تعالى ورسوله** محمد صلى الله عليه وسلم)، وبين: (**القرآن والسنة**) وبين: (طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم). فلا يصح أن يتخلف أحد الشيئن عن الآخر.

فمثلاً:

ـ في الطاعة؛ لا تنفك طاعة الله تعالى عن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء] بل وجعل الله تعالى طاعة نبيه صلى الله عليه وسلم طاعةً له؛ فقال جلَّ ذِكره: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء].

ـ **وفي محبة الله تعالى وارتباطها بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم؛** قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران].

ـ **وفي اقتران القرآن بالسنَّة نصوص كثيرة منها.** قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ **ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ** ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب] قال ابن جرير: « **ويعني بالحكمة:** ما أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحكام دين الله، ولم ينزل به قرآن، وذلك السنة». وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يوشِكُ الرَّجلُ متَّكئًا علَى أريكتِهِ يحدَّثُ بحديثٍ من حديثي فيقولُ بينَنا وبينَكُم كتابُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ما وجَدنا فيهِ من حلالٍ استحلَلناهُ وما وجدنا فيهِ من حرامٍ حرَّمناهُ ألَّا وإنَّ ما حرَّمَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ مثلُ ما حرَّمَ اللَّهُ) (ابن ماجة في سننه).

ـ **وعند التنازع فلا سبيل إلى ردِّ المتخاصمين إلا إلى أحدهما**. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء]

ـ **مصدرهما واحد؛ "هو الوحي الإلهي"**. قال الله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم]. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: (كنتُ أَكْتبُ كلَّ شيءٍ أسمعُهُ مِن رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ أُريدُ حفظَهُ فنَهَتني قُرَيْشٌ عن ذلِكَ وقالوا: تَكْتُبُ ورسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ في الغضَبِ والرِّضا فأمسَكْتُ حتَّى ذَكَرتُ ذلِكَ لرَسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ: اكتُب فوالَّذي نَفسي بيدِهِ ما خرجَ منهُ إلَّا حقٌّ) (أخرجه أحمد وابو داود).

ثانياً: مركزية السنة في فهم القرآن.

هناك قاعدة تضافر العلماء على ذِكرها؛ في هذا المقام؛ وهي: «**القرآن إلى السنة أحوج من السنة إلى القرآن**». وهذا يعني أن فهم القرآن لا يتسنَّى لنا إلا إذا رجعنا إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم فقد لا يستقل القرآن بالحكم إلا بعد البيان النبوي له، أما السنة على العكس فقد تستقل بالحكم دون الرجوع إلى القرآن الكريم.

ومن الأدلة على ذلك:

أركان الإسلام العملية من الصلاة والزكاة والصيام والحج؛ **لن نستطيع الوقوفَ على تفاصيلها من الشروط اللازمة لها، والأركان التي تقوم عليها، والسنن المُكمَّلة لها** إذا لم نرجع إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن الأيات البينات في الدلالة على هذه القضية؛ أن هناك نصوص من القرآن إذا قطعناها عن التفسير النبوي ستؤدي إلى إشكالات كثيرة، منها:

- قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾. فنفهم من عموم هذه الآية أن الميتات بأنواعها كلِّها محرمة؛ وكذلك الدماء، ولكننا إذا رجعنا إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم سنجد استثاءات لهذا العموم؛ وهو الأثر: (أُحِلَّت لَنا ميتتانِ ودمانِ: فأمَّا الميتتانِ فالجَرادُ والحيتانُ، وأمَّا الدَّمانِ فالطِّحالُ والكبدُ) [أحمد وابن ماجة؛ والصحيح هو الموقوف عن عبد الله بن عمر] وفي الحديث الآخر: (سأل رجلٌ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقال يا رسولَ اللهِ إنَّا نركبُ البحرَ ونحملُ معنا القليلَ من الماءِ فإن توضأ بهِ عطشنا أفنتوضأُ من ماءِ البحرِ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هو الطَّهُورُ ماؤُهُ الحِلُّ مِيتَتُهُ) [أخرجه البخاري]. فلو اقتصرنا على الآية لكان أكلُ السمك والكبد والطحال حراماً!!.
- قال الله تعالى بعد أن ذكر المحرمات في الزواج من النساء: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ﴾. فما عداهن حلال بنص الآية؛ ولكن تأتي السنة وتستثني شيئاً آخر من عموم هذا الحِلِّ وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا يُجْمَعُ بيْنَ المَرْأَةِ وعَمَّتِها، ولا بيْنَ المَرْأَةِ وخالَتِها) [أخرجه البخاري ومسلم].
- وقول الله تعالى في آيات الصيام عندما ذكر وقت بداية الصيام ونهايته: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾؛ فظاهر الآية يدل على إباحة الأكل والشرب إلى أن نستطيع التمييزَ في سواد الليل بين خيطين أحدهما أبيض والأخر أسود ـ وقد فهم عديُ بن حاتم رضي الله عنه ذلك؛ فقال: (قُلتُ يا رَسولَ اللَّهِ: ما الخَيْطُ الأبْيَضُ، مِنَ الخَيْطِ الأسْوَدِ أهُما الخَيْطَانِ، قَالَ: إنَّكَ لَعَرِيضُ القَفَا، إنْ أبْصَرْتَ الخَيْطَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: لا بَلْ هو سَوَادُ اللَّيْلِ، وبَيَاضُ النَّهَارِ، وفي رواية: قَالَ: إنَّ وِسَادَكَ إذًا لَعَرِيضٌ أنْ كانَ الخَيْطُ الأبْيَضُ، والأسْوَدُ تَحْتَ وِسَادَتِكَ) [أخرجه البخاري] ـ. فلو لم يكن البيان من النبي صلى الله عليه وسلم لأوهم النصُّ إشكالا ت كثيرة!!.

وغير ذلك من الدلائل الواضحات على لزوم الرجوع إلى التفسير النبوي في فهم القرآن الكريم.

ثالثاً: عقوبات لمخالفات.

حذَّر الشرع الشريف من مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم؛ بل رتَّب على مخالفةِ أمره عقوبات رادعة، وجاء ذلك في نصوص كثيرة؛ منها:

قول الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور] والفتنة التي رتَّبها الله تعالى على مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال أهل التفسير؛ إما: **الضلال، أو البلاء في الدنيا، أو الكفر**. وقال جلَّ ذِكْره: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء].

وقال الله تعالى في نصٍّ عامٍ عن الرسل جميعاً: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝٩ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ ﴾ [الطلاق]. وبعد أن ذكر الله تعالى جملة من الرسل وما فعله أقوامُهم معهم من التكذيب قال سبحانه: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بُعِثْتُ بين يديِ الساعةِ مع السيفِ، وجُعِلَ رزقي تحتَ ظلِّ رُمْحي، وجُعِلَتِ الذِّلَّةُ والصَّغَارُ على مَن خالفَ أمري، ومَن تَشَبَّهَ بقومٍ فهو منهم) [أخرجه أحمد في المسند]. وقال أيضاً: (كُلُّ أُمَّتي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَى، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَن يَأْبَى؟ قالَ: مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أَبَى) [أخرجه البخاري].

وكتدليلٍ على هذا العقاب الذي حذرنا الله ورسوله منه، وكذلك على الذلَّة التي ترتَّبتْ على هذه المخالفة؛ ما حدث للمسلمين في غزوة أُحد من الهزيمة بعد النَّصر وما كان هذا إلا بسبب مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم من الرُّماة الذين كانوا على الجبل؛ وفي ذلك يقول تعالى ذِكرُه:

﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عِمران].

ومثالٌ آخر: في غزوة تبوك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(**ستهبُّ عليكم الليلةَ ريحٌ شديدةٌ. فلا يقيمُ فيها أحدٌ منكم. فمن كان له بعيرٌ فليشدَّ عقالَه "فهبتْ ريحٌ شديدةٌ. **فقام رجلٌ فحملَتْه الريح حتى ألقته بجبلي طيِّئْ)** [أخرجه مسلم] وهذا جزاء المخالفة.

وإذا أردتَّ أن تعلم ما السبب فيما آل إليه أمر المسلمين اليوم؛ فانظر في حجم مخالفاتهم لأوامر النبي صلى الله عليه وسلم في كافَّة شئون الحياة؛ فلما خالف مجموعة من الصحابة رضي الله عنهم **أمراً واحدا !!** .. كان ما كان في غزوة أحد .. فما بالنا نحن والأوامر التي خالفناها لا تُحصى كثرة!!. فالله المستعان.

فالواجب علينا هو طاعةُ النبي صلى الله عليه وسلم وعدمُ عِصيان أمره

رابعاً: الصحابة رضي الله عنهم.

العناصر:

مقدمة (في أهمية الإسناد وماهيته وأنه من الدين).

أولاً: آيات وأحاديث في فضائل الصحابة رضي الله عنهم.

ثانياً: جهودهم في نقل الدين (تعليماً وتعلماً وجِهادا).

ثالثاً: خطورة الطعن فيهم.

(الموضوع)

هناك مميزات ميَّز الله بها أمَّتنا عن غيرها من الأمم؛ منها: أن دينها منقولٌ جيلاً عن جيلٍ؛ بضبط وإتقان تامٍ لا ينخرم، فنعلم من خلال سلسلة من العلماء الأثبات والجبال الثقات في العلم والدين والحفظ والإتقان من أين أخذنا هذا الدين؛ يُوضِّحُ ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن المبارك؛ قال: «**الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء**». وقال ابن حزم: «نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاتصال، خص الله به المسلمين دون سائر الملل».

يعلم هذا الأمرَ جيداً غيرُنا ممن تاه دينُه وضاع؛ فعملوا على جمعه وترقيعه من هنا وهناك؛ فليس عندهم ما عندنا من الإسناد المتصل، ولا من الإتقان والضبط الذي تميَّز به ديننا.

وعلى رأس هذه السلسة المباركة التي نقلت لنا ديننا همُ: **أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم**. وهذا اللقاء سيكون مُبيِّنَاً لفضائل الصحابة رضي الله عنهم، وما فعلوه في نقلهم لديننا، ثم موضِّحاً خطورة الطعن فيهم.

أولاً: آيات وأحاديث في فضائل الصحابة رضي الله عنهم.

من الآيات التي وردت في فضلهم؛ قوله سبحانه وتعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح] فقد زكَّاهم الله سبحانه وتعالى في ظاهرِهم (بالصلاة رُكَّعاً وسُجَّدا)، وفي باطنِهم فلا يبتغون ولا يُريدون إلا وجه الله تعالى. وقال سبحانه أيضاً: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ **وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ** ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة]، وقال أيضاً في وعْدٍ منه لا يتخلف: ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [الحديد] والحسنى: هي الجنَّة.

ـ وقال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ [الفتح].

ومن الأحاديث.

ـ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (صَلَّيْنَا المَغْرِبَ مع رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، ثُمَّ قُلْنَا: لو جَلَسْنَا حتَّى نُصَلِّيَ معهُ العِشَاءَ، قالَ: فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقالَ: ما زِلْتُمْ هَاهُنَا؟ قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، صَلَّيْنَا معكَ المَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حتَّى نُصَلِّيَ معكَ العِشَاءَ، قالَ: أَحْسَنْتُمْ ـ أَوْ أَصَبْتُمْ ـ قالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ، **وَكانَ كَثِيرًا ممَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ،** فَقالَ: النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ ما تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي ما يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتي ما يُوعَدُونَ) (أخرجه مسلم) فوجود الصحابة

رضي الله عنهم أمانٌ للأمة من الفتن والبدع والهلاك، كما جاء ذلك عن عمر رضي الله عنه في حديث الباب الذي إذا انكسر في الفتن لم يغلق؛ فعن جرير بن عبد الله البجلي: (كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، فقالَ: أيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في الفِتْنَةِ، .. ، ولَكِنِ الفِتْنَةُ الَّتي تَمُوجُ كما يَمُوجُ البَحْرُ، قالَ: ليسَ عَلَيْكَ مِنْها بَأْسٌ يا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ، **إنَّ بيْنَكَ وبيْنَها بابًا مُغْلَقًا، قالَ: أيُكْسَرُ أمْ يُفْتَحُ؟ قالَ: يُكْسَرُ، قالَ: إذًا لا يُغْلَقَ أبدًا**، قُلْنا: أكانَ عُمَرُ يَعْلَمُ البابَ؟ قالَ: نَعَمْ، كما أنَّ دُونَ الغَدِ اللَّيْلَةَ، إنِّي حَدَّثْتُهُ بحَدِيثٍ ليسَ بالأغالِيطِ فَهِبْنا أنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ، فأمَرْنا مَسْرُوقًا **فَسَأَلَهُ، فقالَ: البابُ عُمَرُ**) [أخرجه البخاري].

ـ عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ مِن بَعْدِهِمْ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهادَتُهُمْ أيْمانَهُمْ، وأَيْمانُهُمْ شَهادَتَهُمْ) [أخرجه البخاري].

ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تَسُبُّوا أصْحابِي، لا تَسُبُّوا أصْحابِي، فَوالذي نَفْسِي بيَدِهِ لو أنَّ أحَدَكُمْ أنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، ما أدْرَكَ مُدَّ أحَدِهِمْ، ولا نَصِيفَهُ) [أخرجه مسلم].

ـ وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إنَّ اللهَ نظرَ في قلوبِ العبادِ فوجدَ قلبَ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خيرَ قلوبِ العبادِ فاصطفاهُ لنفسِهِ فابتعثهُ برسالتِهِ، ثم نظرَ في قلوبِ العبادِ بعدَ قلبِ محمدٍ فوجدَ قلوبَ أصحابِهِ خيرَ قلوبِ العبادِ فجعلهم وُزَرَاءَ نبيِّهِ يُقاتلونَ على دِينِهِ فما رأى المسلمونَ حسنًا فهوَ عندَ اللهِ حَسَنٌ وما رَأَوا سيِّئًا فهو عندَ اللهِ سيئٌ» [أخرجه أحمد في المسند وهو صحيح موقوف].

ثانياً: جهودهم في نشر الإسلام.

ـ لنا أن نتخيل الصحابة الذين هاجروا من المدينة أو من الجزيرة العربية إلى: (مصر)، (والشام؛ وهي: فلسطين والأردن ولبنان وسوريا)، و(العراق)، و(اليمن)، و(الفرس والروم)، و(الحبشة) ..

وغيرها من البلدان التي تشرفتْ بأقدام الصحابة عليها. وجلوسهم فيها وتعليمهم العلم النافع ونشر الهداية والنور إلى العالمين.

ـ (لَمَّا كانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ إلى المُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ القِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ برَبِّهِ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ ما وَعَدْتَنِي، **اللَّهُمَّ إنْ تُهْلِكْ هذِه العِصَابَةَ مِن أَهْلِ الإسْلَامِ لا تُعْبَدْ في الأرْضِ،** فَما زَالَ يَهْتِفُ برَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، حتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عن مَنْكِبَيْهِ، فأتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فأخَذَ رِدَاءَهُ، فألْقَاهُ علَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِن وَرَائِهِ، وَقالَ: يا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ؛ فإنَّه سَيُنْجِزُ لكَ ما وَعَدَكَ ..) [أخرجه مسلم] فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عِبادةَ الله تعالى في الأرض معلقةً ببقائهم وزوالَها معلقاً بزوالهم.

ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا: (يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيَقولونَ: فِيكُمْ مَن صاحَبَ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ، ثُمَّ يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ: هلْ فِيكُمْ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ، ثُمَّ يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ: هلْ فِيكُمْ مَن صاحَبَ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ) [أخرجه البخاري].

ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بسنتي وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّيْنَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّوَاجِذِ ،وإيَّاكُم ومُحْدَثَاتِ الأمورِ؛ فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ) [أخرجه أحمد].

ثالثاً: خطورة الطعن فيهم.

ـ **الطعن فيهم علامة من علامات النفاق؛** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (آيَةُ الإيمانِ حُبُّ الأنْصارِ، وآيَةُ النِّفاقِ بُغْضُ الأنْصارِ) (أخرجه البخاري). وكذلك ما جاء: (أنَّ عائِذَ بنَ عَمْرٍو ـ

وكانَ مِن أصْحابِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ـ دَخَلَ علَى عُبَيْدِ اللهِ بنِ زِيادٍ، فقالَ: أيْ بُنَيَّ، إنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: إنَّ شَرَّ الرِّعاءِ الحُطَمَةُ، فإيَّاكَ أنْ تَكُونَ منهمْ، فقالَ له: اجْلِسْ؛ فإنَّما أنْتَ مِن نُخالَةِ أصْحابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فقالَ: **وهلْ كانَتْ لهمْ نُخالَةٌ؟!** إنَّما كانَتِ النُّخالَةُ بَعْدَهُمْ، وفي غيرِهِمْ) [أخرجه مسلم]. والنخالة ما يبقى من القمح بعد أخذ الدقيق من القشر. فأراد هذا الطاعن في أصحاب رسول الله أن هذا الصحابي الذي نصحه بهذه النصيحة ليس من فضلاء الصحابة ومشاهيرهم وأعلامهم؛ بل هو من المغمورين!!.

ـ **يؤدي إلى طمس معالم الحلال والحرام.** فهم الذين نقلوا لنا مُراد الله ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم من الآيات والأحاديث في بيان الحلال والحرام؛ فمثلاً: (عن عُروةَ قالَ: قلتُ لعائشةَ زَوجِ النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ، وأنا يومئذٍ حديثُ السِّنِّ أرأيتِ قَولَ اللَّهِ تعالى (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) فما أرَى علَى أحدٍ شيئًا أن لا يطَّوَّفَ بِهِما، قالَت عائشةُ: كلَّا لَو كانَ كما تقولُ: كانت فلا جُناحَ علَيهِ أن لا يطَّوَّفَ بِهِما إنَّما أُنْزِلَت هذِهِ الآيةُ في الأنصارِ كانوا يُهِلُّونَ لمَناةَ وَكانت مَناةُ حذوَ قُدَيْدٍ، وَكانوا يتحرَّجونَ أن يطوفوا بينَ الصَّفا والمرْوَةِ، فلمَّا جاءَ الإسلامُ سألوا رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ عن ذلِكَ فأنزلَ اللَّهُ تعالى إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) [أخرجه أبو داود].

ـ **يؤدي إلى الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم.** فكما هو معلوم قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (المرءُ على دينِ خليلِهِ فلينظرْ أحدُكُم مَن يخالطُ) [أخرجه أبو داود]، وفي هذا يقول ابن تيمية ناقلاً: «القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول صلى الله عليه وسلم **قدح فيه عليه السلام،** كما قال الإمام مالك وغيره من أئمة العلم: هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين». فأصحاب الرجل هم علامةٌ على حُسن سلوكه وأخلاقه ودينه فإذا كانوا على هئية حسنة كاملة فهو كذلك.. والعكس بالعكس.

ـ **إعلامٌ من الله بالحرب .. لمن طعن فيهم أو انتقصهم.** وقد قال الله تعالى في الأولياء والصالحين وهم السادةُ فيهم: (مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ **آذَنْتُهُ بالحَرْبِ،** وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ

أَحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ) [أخرجه البخاري]. وهم كذلك يدخلون في سادات المؤمنين الذين توعَّد الله من آذاهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنًا وَإِثۡمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب].

فالواجب على المُسلم أن يترضَّى عنهم وأن يترحَّم عليهم وأن يمْتثل أمر الله عز وجل فيهم؛ فبعد أن ذكر المهاجرين والأنصار قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر].

والحمد لله رب العالمين.

خامسا: التزكية.

العناصر:

المدخل.

أولاً: أهمية التزكية (نصوص من القرآن والسنة)

ثانياً: ماهيتها ومعناها.

ثالثاً: من وسائل تزكية النفوس.

رابعاً: وقد خاب من دساها.

(الموضوع)

ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم مُظهراً في ذلك مِنَّته علينا فقال جلَّ ذِكره: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران]. فهذه هي وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم: (يتلوا علينا الكتاب ـ يُزكينا ـ يُعلمنا الكتاب والحكمة). وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم مُعاتِباً إيَّاه في أمْر الأعمى الذي جاء طالباً زكاةَ نفسه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس]

وليست هذه وظيفة النبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم فقط؛ بل كلُّ الأنبياء كذلك، فقد قال الله تعالى عن موسى عليه السلام في قِصَّته مع فِرعون: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ **فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ** ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات]؛ بل كانت هذه القضية حاضرةً في دعاء إبراهيم عليه السلام بعدما

رفع البيتَ هو وولدُه إسماعيل عليهما السلام فقال الله تعالى في دعائهما: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ **وَيُزَكِّيهِمۡۖ** إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة]؛ وليس في دعائه فقط؛ بل وفي صُحفه التي قال الله تعالى عن شيءٍ مما كان فيها: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى].

أولاً: أهمية التزكية (نصوص من القرآن والسنة).

وقبل أن أوضِّح معنى التزكية؛ أودُّ أن أذكر شيئاً مما يدل على أهميتها.

فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه].

وقال الله تعالى بعد قسمٍ متعدد على مُقْسم عليه وهو النفس: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس].

وقد **جعل الله سبحانه وتعالى الفلاح مرتبطاً بها؛** فقال جلَّ ذِكره: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾. وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾

وجاء عن زيد بن أرقم رضي الله عنه؛ قال: (لَا أَقُولُ لَكُمْ إلَّا كما كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يقولُ؛ كانَ يقولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِنَ العَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، **وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَن زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا،** اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا) (أخرجه مسلم).

ثانياً: ماهيتها ومعناها.

وبعد ذِكر هذه النصوص الدالة على أهميتها؛ لابد من إيضاح معناها وبيان سبيلها ثم وسائلها.

يظهر هذا المعنى من قول الله تعالى في قصة أصحاب الكهف: ﴿ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ﴾ [الكهف] وفي نفس السورة عند قصة الخضر وموسى عليهما السلام: ﴿قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ﴾ [الكهف]. فكما أن الطعام الصالح للتناول لابد وأن يكون خالياً من المفاسد والعاهات التي تُفسده على متناوليه، وكذلك الغلام الذي لم يزل قبل سنِّ البلوغ ولم يجر عليه قلم التكليف فلم يرتكب آثاماً تؤثِّر على طهارته التي ستتغير وتتبدل بعد حين عندما يُرهق أبويه طغيانا وكفر. فكذلك ينبغي أن يكون هذا المعنى حاضرا معنا في طهارة النفس وتزكيتها فكما نُطهر أرضنا من الشوائب وطعامنا من المفاسد علينا كذلك أن نُخْليَ أنفسنا من جميع الأمراض القلبية التي تؤثر على سلامتها بين يدي الله عز وجل.

وطالما أن هذه النفس مخلوقة لله عز وجل فلابد وأن نطلب تزكيتها منه عز وجل. وأن ننظر فيما دلَّنا عليه من أجلها فهو القائل: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [النور] لأنه سبحانه وتعالى أعلم بخلقه من خلقه بأنفسهم.

ثالثاً: من وسائل تزكية النفوس.

ـ **العبادات وطاعة الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم.** فمن أراد أن يُزكيَ نفسه فعليه بأداء العبادات التي افترضها الله عز وجل عليه من طاعته سبحانه وتعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وكذلك سائر التشريعات؛ فقد قال جلَّ ذِكره: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب] وقال عن الزكاة أيضاً: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ

وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة] وقال تعالى في بيان أحكام الاستئذان: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ **هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ**﴾ **[النور]** وقال سبحانه بعدها في **غضّ البصر**: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ **ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ** إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [النور] وقال كذلك في آيات الطلاق وأحكامه في سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ فهذه التشريعات صادرة عن الله عز وجل، فهو الذي خلقنا وهو الذي يعلم ما يُصلحنا وما يُطهِّرُ نفوسنا؛ وهو القائل عن نفسه: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾. بل وفي صلاة الجماعة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنَّ أثقَلَ الصَّلاةِ على المُنافِقينَ صلاةُ العِشاءِ والفَجرِ، ولو يَعلَمونَ ما فيهما؛ لأَتَوْهما ولو حَبْوًا، وإنَّ الصفَّ الأوَّلَ على مِثلِ صفِّ الملائكةِ، ولو تَعلَمونَ فَضيلتَه لابتَدَرْتموهُ، **إنَّ صلاتَكَ مع رَجُلَيْنِ أَزْكى من صَلاتِكَ مع رَجُلٍ، وصلاتَكَ مع رَجُلٍ أَزْكى من صلاتِكَ وحْدَكَ، وما كثُرَ فهو أحَبُّ إلى اللهِ)** (أخرجه النسائي في السنن) وإياك أن تقول كما يقول المقصرون في العبادات والطاعات (أهمُّ شيءٍ ما في القلوب!!) وكذبوا فلو صفتْ قلوبهم وطهُرت لهرعتْ إلى عبادة الله عز وجل.

ـ **ذِكر الله عز وجل والقرآن الكريم**. ذكْرُ الله عز وجل هو الشفاء من كل داء؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [الإسراء] فمن أراد تزكية نفسه وطهارتها فعليه بذكر الله تعالى وهو القرآن والسنة؛ والذي إذا أعرض عنه المرء كان في معيشة ضنكا، وعليه فمن أراد تزكية نفسه وطهارتها فعليه به وقد قال الله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَلَا أُنَبِّئُكم بِخَيْرِ أعمالِكُم، **وأَزْكاها عِندَ مَليكِكُم**، وأَرفعِها في دَرَجاتِكُم، وخيرٌ لكم من إنْفاقِ الذَّهَب والوَرِقِ، وخيرٌ لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم، فتَضْرِبوا أعناقَهُم، ويَضْرِبوا أعْناقكُم؟!، قالوا: بَلَى، قال: ذِكْرُ اللهِ) (أخرجه الترمذي في سننه). وفي الأثر وهو مرسلٌ: (إنَّ هذه القُلوبَ لتصدأُ كما يصدأُ الحديدُ، قيل: فما جِلاؤُها يا رسولَ

اللهِ؟ قال: تَلاوةُ كتابِ اللهِ وكثرةُ ذكرِهِ) (البيهقي في شعب الإيمان). ويُروى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: «لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم».

ـ **ذِكرُ الموت والدار الآخرة**. وقد قال الله سبحانه وتعالى عن جملة من أنبيائه: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص] وفي تفسيرها: «إنا خصصناهم بخاصة عظيمة، حيث جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، فعملوا لها بطاعتنا، ودعوا الناس إليها، وذكَّروهم بها». وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكثِرُوا ذِكرَ هاذِمِ اللَّذَّاتِ) (أخرجه الترمذي) فأكْثِرُوا أحبتي ذِكْرَ هاذِمِ اللذَّاتِ ـ الموتَ ـ فإنَّهُ ما كان في كثيرٍ إلا قَلَّلَهُ، ولا قَليلٍ إلَّا جَزَّأَهُ. فالموت تلك الحقيقية التي يطمئن بها الصالحون، ويفزع منها العصاة والطالحون فيُنغِّص عليهم عيشَهم.

ـ **الأخلاق الحسنة**. أدب الظاهر عنوان أدب الباطن؛ فإذا كان الظاهر حسناً كانت النفس حسنة، وإذا كان سيئا في ظاهره كان في باطنه كذلك؛ وإلا لو أن رجلاً ادَّعى أن نفسه طاهرة ومع ذلك لا يصلي ولا يصوم ولا يحج ويؤذي جيرانه بلسانه وجوارحه.. هل هذا يُصدق؟!. وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم استقامة الظاهر دليلا على استقامة الباطن فقال: (عبادَ اللهِ لتُسوُّونَّ صفوفَكم، أو ليُخالِفَنَّ اللهُ بين وجوهِكم) (أخرجه البخاري ومسلم).. فالصدق والوفاء والرحمة والرأفة والمحبة والمودة والألفة وغيرها من الأخلاق لها أكبر الأثر في تزكية النفس

رابعاً: وقد خاب من دساها[1].

قال أهل التفسير في قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ «وقد خسر من دَسَّ نفسه مُخْفِيًا إياها في المعاصي والآثام». وهناك جملة من الآثام التي تسببت في حِرمان صاحبها من تزكية نفسه؛ من أمثال:

([1]) ـ أُحِبُ في ذكر هذه الخِصال أن تُذكر في هذا الموطن سردا دون تفصيلٍ.

ـ **الذين يكتمون ما أنزل الله عز وجل وكذلك يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلاً:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران].

ـ ومنهم: (ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ ولا يُزَكِّيهِمْ، ـ قالَ أبو مُعاوِيَةَ:ـ ولا يَنْظُرُ إليهِم، ولَهُمْ عَذابٌ ألِيمٌ: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كَذّابٌ، وعائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ) [أخرجه مسلمٌ].

ـ **ومنهم:** (ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ: المَنَّانُ الذي لا يُعْطِي شيئًا إلَّا مَنَّهُ، والْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الفاجِرِ، والْمُسْبِلُ إزارَهُ. وفي رواية: ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ولا يَنْظُرُ إليهِم ولا يُزَكِّيهِمْ ولَهُمْ عَذابٌ ألِيمٌ) (أخرجه: مسلم).

ـ **ومنهم:** (ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، ولا يَنْظُرُ إليهِم ولا يُزَكِّيهِمْ ولَهُمْ عَذابٌ ألِيمٌ: رَجُلٌ علَى فَضْلِ ماءٍ بطَرِيقٍ، يَمْنَعُ منه ابْنَ السَّبِيلِ، ورَجُلٌ بايَعَ رَجُلًا لا يُبايِعُهُ إلَّا لِلدُّنْيا، فإنْ أعْطاهُ ما يُرِيدُ وفَّى له وإلَّا لَمْ يَفِ له، ورَجُلٌ ساوَمَ رَجُلًا بسِلْعَةٍ بَعْدَ العَصْرِ، فَحَلَفَ باللَّهِ لقَدْ أعْطَى بها كَذا وكَذا فأخَذَها) (أخرجه البخاري).

أسأل الله تعالى أن يُطهِّر قلوبنا وأن يجعلنا صالحين مُصلحين

إنه جواد كريم.

سادساً: علاقاتٌ للمُسلم[1]

العناصر:

المقدمة.

أولاً: علاقة المسلم بخالقه سبحانه وتعالى (عبودية).

ثانياً: علاقة المسلم بالكون (تسخير).

ثالثاً: علاقة المسلم بالإنسان (عدل وإحسان).

رابعاً: علاقة المسلم بالحياة (ابتلاء).

خامساً: علاقة المسلم بالدار الآخرة (مسئوليةٌ وجزاء).

(الموضوع)

الإنسان لم يُخلق عبثاً؛ وإنما هو مخلوق في هذه الحياة لهدف وغاية، فوجوده في الحياة ليس صدفةً ولا هملاً؛ فقد قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون] «أَيْ: أَفَظَنَنْتُمْ أَنَّكُمْ مَخْلُوقُونَ عَبَثًا بِلَا قَصْدٍ وَلَا إِرَادَةٍ مِنْكُمْ وَلَا حِكْمَةٍ لَنَا» وقال جلَّ ذِكره: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة] «لَيْسَ يُتْرَكُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مُهْمَلًا لَا يُؤْمَرُ وَلَا يُنْهَى، وَلَا يُتْرَكُ فِي قَبْرِهِ سُدًى لَا يُبْعَثُ، بَلْ هُوَ مَأْمُورٌ مَنْهِيٌّ فِي الدُّنْيَا، مَحْشُورٌ إِلَى اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ».

ولأجل ذلك .. كان المُسلم في هذه الحياة مُطالباً بإقامة علاقاتٍ تُحقق له قضية الإتزان بينه وبين الموجودات مِن حولِه، وبينه وبين خالقه الذي أوجده وكلَّفه، وبينه وبين الدار الآخرة التي يلقى فيها جزاء ما قدَّم. وضبط هذه العلاقات سيجعل المُسلم في هذه الحياة يعيش حياة مُسْتقرَّة مطمئنَّة؛ فلن

---

(1) مستفادة من كتاب: فلسفة التربية الإسلامية، د/ ماجد عرسان الكيلاني.

يسْخط إذا ما تعرض لأزمة من الأزمات، ولن يطغى إذا ما فُتِح عليه من النَّعم، ولن ينسى حجمَه وقدرَه في هذه الحياة إذْ هو مخلوق؛ والله تعالى خالقٌ، وكذلك ضبط صورة التعامل مع المخلوقات التي سُخِّرت من أجله ولم يُسخَّر هو من أجلها، وكذلك التعامل مع إخوانه ممن شاركوه العقل والتكليف؛ عند الإحسان أو الإساءة وغير ذلك.

فمثلاً .. علاقة المُسلم في بلده تختلف أحوالها باختلاف أحواله؛ فكونه: (مواطناً، أباً، ابناً في أُسْرةٍ، مُديراً، موظفاً، قريباً في عائلةٍ، تاجراً، سائقاً، ..) كلُّ هذه العلاقات لها حقوق، ولا يستطيع التملُّص من أحدها مُحتجاً أنه مشغول بأخرى؛ فهو معها كمن يصنع دوائرَ اتصالٍ، ولكنَّ كل دائرة لها طبيعتها وخصوصيتها .. فهذا المثال العقلي يوضح المراد من ذكر هذه العلاقات التي يتميز بها المسلم.

وهذا اللقاء يُبيِّنُ هذه العلاقات ويُوضِّح كيفتها، وضوابطها..فأقول مُستعيناً بالله تعالى.

أولاً: علاقة المسلم بخالقه سبحانه وتعالى (عبودية).

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة] وقال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾ [يس] وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات].

فطبيعة العلاقة بين الخالق والمخلوق إذا هي هذه (العبودية)؛ أن يكون المخلوق عبدا لله تعالى لا لشهواته ونزواته وهواه.

ولأجل ذلك .. فقد جاء بها جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل].

والعبودية .. لا ينحصر معناها في العبادات المعروفة بأركان الإسلام العملية؛ من صلاة وصيام وزكاة وحج فحسب؛ وإنما تشمل مظاهر الحياة؛ بل والموت كذلك، فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام]. **فالعبودية:** اسم جامع لكل ما يُحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة والبراءة مما يُنافي ذلك ويُضادُّه.

ثانياً: علاقة المسلم بالكون (تسخير).

وهذه العلاقة يُوضِّحها قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ **لَكُمُ** ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ **لَكُم** مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية]. وهذه اللفظة: (لكم). هي تشريف وتكليف لمن يعقل ويتفكَّر ويفهم سبب وجوده في هذه الحياة.

والحذر كلُّ الحذر من أن ينقلب التسخير على الإنسان بعد أن كان له؛ فقد قال الله تعالى عن قوم سخَّر لهم ما حولهم من المخلوقات؛ فكانوا ينحتون من الجبال بيوتا، وكانوا في قوة ومنعة، وكانوا .. وكانوا.. ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ **[فصلت]**

وهذا التسخير إنما هو لتحقيق العلاقة التي بين الإنسان وخالقة وهي العبادة؛ فقد قال جلَّ ذِكره: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ **يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً** مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ **وَسَخَّرَ لَكُمُ** ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ **وَسَخَّرَ لَكُمُ** ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم].

ثالثاً: علاقة المسلم بالإنسان (عدل وإحسان).

المُسلم لا يخلوا في حياته اليومية عن التعامل مع المخلوقات على اختلافها ألوانها وأشكالها وطبائعها؛ وهو مأمور بتحقيق مقامين أساسيين في هذا التعامل. وقد جاء الأمر بهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ **بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ** وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل]؛ وعليه:

فالمقام الأول: الإحسان. فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾؛ بل ويتجلى أثر هذا الإحسان وأهميتُه في رُجوع أثره إلى صاحبه، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾ [الإسراء]، ومن كان طريقُه وسمْتُه الإحسانُ مع الخلق فإن جزاءه الإحسان من الخالق سبحانه تعالى؛ فقد قال تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن].

ومما يُبين عموم مقام الإحسان قولُ النبي صلى الله عليه وسلم: (إن اللهَ كتبَ الإحسانَ على كلِّ شيءٍ، فإذا قتلتم فأحسِنوا القِتلَةَ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحةَ، وليُحِدَّ أحدُكم شفرتَه، وليُرِحْ ذبيحتَه**)** [أخرجه النسائي].

فالإحسان **مطلوب مع كل أحد**؛ مع الأقارب، ومع الزوجين، ومع الحيوانات بل ومع الأعداء، **والإحسان مطلوب كذلك في كل الأحوال التي تعتري الإنسان**؛ في حال الحرب وفي حال السِّلم، في الجدال والمناظرات وحال الدعوة والموعظة الحسنة.

والمقام الثاني: العدل.

فلابد وأن يكون عادلاً؛ فلا يجور، ولا يحيف، ولا يعتدي، ولا يظلم، .. فالعبد مأمور بالعدل حتى مع من ناصبوه العداء؛ فقد قال جلَّ ذِكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [المائدة]، وقال أيضا في توضيح علاقة المسلم بغيره إذا التزم هذا الغيرُ بما يُمليه عليه أهلُ الإسلام: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ

ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ **أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ** ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة]

ومن العدل؛ العدلُ في الأقوال حتى ولو كان على قريب أو صديق، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام].

ومن العدل؛ العدلُ في الكتابةِ والإملاءِ والإشهادِ والحُكمِ؛ قال الله تعالى: ﴿وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ .. فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [البقرة] وقال جلَّ ذِكره: ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [النساء].

والعدل في كل شيءٍ معْلَمٌ أساسٌ من معالم الإسلام؛ فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ علَى مَنابِرَ مِن نُورٍ، عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ عزَّ وجلَّ ـ وكِلْتا يَدَيْهِ يَمِينٌ ـ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِمْ وما وَلُوا) [أخرجه مسلم].

وفي إشارة جامعة إلى مقاميْ العدل والإحسان؛ يقول الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ هذا العدل؛ وأما الإحسان الذي يأتي بالإصلاح: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى].

رابعاً: علاقة المسلم بالحياة (ابتلاء).

الحياة التي يعيش فيها المُسلم؛ وُضِعت للابتلاء والامتحان سواءً في ذلك الخير والشر، فقد قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الملك]، وقال أيضا: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [الأنبياء] وقال أيضاً: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا **ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ** وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا **ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ**

عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر]، وقد قال تعالى مُبيِّناً أصالةَ الابتلاء في أصل خِلقة الإنسان: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ **نَّبۡتَلِيهِ** فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان]

وحتى تفاوت الناس في الدرجات الحياتية؛ إنما هو ابتلاء واختبار لأصحاب كل درجةٍ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴾ [الأنعام]. فما هو حالك في هذه النِّعم التي تتقلب فيها ليلَ نهار، وما هو حالك في الدرجة التي جعلها الله تعالى لك في الدنيا فجعلك في مكان وتحتك آخرون يأتمرون بأمرك وينتهون بنهيك؟.

وحتى لا تَسْتَرِيبَ من حتْمية هذا الابتلاء وخاصة في جانب الشر؛ أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأخْلَاقِ، لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ في يَدَيْكَ، **وَالشَّرُّ ليسَ إلَيْكَ)** [أخرجه مسلم].

فاعلم أن الله تعالى لا يُنسب إليه الشرُّ أبداً؛ فأفعاله كلها خير، وإن وُصِفت بالشر فإنما هو بالنسبة إلى شخص واحد فقط؛ هو من أصيب بها، فمثلاً: "المريض يتألم ويُبتلى بهذا المرض؛ نعم .. ولكن ينتفع من مرضه أشخاصٌ كثيرون كالطيب والصيدلي والمُستشفى وسائق العربة .. وخلقٌ لا يُحصوْن كثرةً. وعليه فلا يليق بالمسلم أن يَنسب الشر الذي ألمَّ به لله عز وجل فما ابتلاك إلا لأنه يحبك أو ليرفع قدرك أو يُخفف عنك أثقال الذنوب؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ، وإنَّ اللهَ تعالَى إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضِي فله الرِّضا ومن سخِط فله السُّخطُ) [الترمذي في السنن].

وإذا وصلتَ إلى هذا المعنى فسوف يكون كلُّ ابتلاء عليك بردا وسلاما .. خفَّفَ الله عن أصحاب الابتلاءات ابتلاءاتهم.

خامساً: علاقة المسلم بالدار الآخرة (مسئوليةٌ وجزاء).

هذه الدار الأخروية للمسلم فيها علاقة تخصُّه دون غيره فله عنها عقيدة ثابتة لا تتغير؛ يلقَى فيها جزاء ما قدّم من أعمال، فمثاقيل الذر من الخير أو الشرِّ **فيها لا تغيب**، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة].

وهذا الأمر عامٌ لكلِّ أحد حتى للرسل الكرام؛ فقد قال تعالى: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف] وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُمْ راعٍ فَمَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، فالأمِيرُ الذي علَى النَّاسِ راعٍ وهو مَسْئُولٌ عنْهمْ، والرَّجُلُ راعٍ علَى أهْلِ بَيْتِهِ وهو مَسْئُولٌ عنْهمْ، والمَرْأَةُ راعِيَةٌ علَى بَيْتِ بَعْلِها ووَلَدِهِ وهي مَسْئُولَةٌ عنْهمْ، والعَبْدُ راعٍ علَى مالِ سَيِّدِهِ وهو مَسْئُولٌ عنْه، ألا فَكُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ) [أخرجه البخاري].

وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: (يا عِبَادِي، إنَّما هي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا، فمَن وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ) [أخرجه مسلم].

نسأل الله تعالى الفهمَ الرشيد والقول السديد

سابعا: الاستجابةُ والتسليمُ.

العناصر:

مُقدِّمة.

أولاً: معنى الاستجابة والتسليم، والأدلة على أهمِّيتهما.

ثانياً: صور للتسليم في العهد النبوي.

ثالثاً: فوائد التسليم والاستجابة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: بواعِث التسليم للأمر الإلهي.

(الموضوع)

المُسلم؛ من وسْمِه ووصْفِه بهذا الوصف ينبغي عليه أن يكون مُتحلِّياً بهذا المعنى ظاهراً وباطناً، فظاهره كالأسير الذي وقع في يد مَنْ أسره وقيَّده، فلا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً؛ بل ولا يملك لنفسه موتا ولا حياة ـ هذا في الظاهر ـ، وأمَّا الباطن فقد استسلم قلبُه طواعيةً لله عز وجل فحركاته وسكناته منبعُها ومنشؤُها الله عز وجل؛ فليستْ له إرادة من نفسه ولا مشيئة فهو في باطنه كالميِّت بين يدي مُغسِّله انعدمت إرادته وحركته إلا من مُغسله هذا.

وقد قال الإمام الزهري رحمه الله تعالى قانونا ينبغي أن يُحفظ؛ وهو: «**مِنَ اللَّهِ الرِّسَالَةُ، وَعَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ**» فالوظيفة المنوطةُ بنا نحن المُسلمين ـ منصوبة على الاختصاص ـ هي التسليم والاستسلام والاستجابة والطاعة لما جاء على لسان هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

ولما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة] (فاشْتَدَّ ذلكَ علَى أصْحابِ رَسولِ اللهِ

صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فأتَوْا رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ **ثُمَّ بَرَكُوا علَى الرُّكَبِ**، فقالوا: أيْ رَسولَ اللهِ، **كُلِّفْنا** مِنَ الأعْمالِ ما نُطِيقُ، الصَّلاةَ والصِّيامَ والْجِهادَ والصَّدَقَةَ، وقدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هذِه الآيَةُ **ولا نُطِيقُها**، قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ **أتُرِيدُونَ أنْ تَقُولوا كما قالَ أهْلُ الكِتابَيْنِ مِن قَبْلِكُمْ سَمِعْنا وعَصَيْنا؟ بَلْ قُولوا: سَمِعْنا وأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وإلَيْكَ المَصِيرُ**، قالوا: سَمِعْنا وأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وإلَيْكَ المَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَها القَوْمُ، **ذَلَّتْ بها ألْسِنَتُهُمْ**، فأنْزَلَ اللَّهُ في إثْرِها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ فَلَمَّا فَعَلُوا ذلكَ نَسَخَها اللَّهُ تَعالَى فأنْزَلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا﴾ [البقرة]. فكان الواجب عليهم أولاً التسليم فقط بعيدا عن أي شيء آخر: قبلتْه النفوس أو العقول أم لم تقبله ـ إذْ كيف يُحاسبُ على حديث يجري في نفسه ولا يستطيع دفْعَه!! ـ المهمُّ التسليم. ثم جاء بعد ذلك التخفيف من الله عز وجل فنُسِخ هذا الحكم.

وأزيد هذا المعنى تجلية وتوضيحاً فأقول عن موضوعنا هذا:

أولاً: معنى الاستجابة والتسليم والأدلة على أهمِّيتهما.

"التسليم: بذل الرضا بالحكم" والاستجابة: "يُقال إنها **التلبية**، والمصدر الإجابة بمنزلة الطاعة والطاقة" والتلبية معناها: إجابتي لك يارب وإخلاصي.

وهذا المعنى من الأمور التي يتعلق عليها قبولُ الأعمال عند الله عز وجل؛ إذْ إنَّ المنافقين أذعنوا ظاهرا وأبَوْا في بواطنهم بل وأضمروا الكفر والنفاق عياذا بالله.

وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء] فقد جمعتِ الآية مقاماتٍ ثلاثة: الظاهر والباطن وحُسن استسلام كل من الظاهر والباطن. ففيها: (إسلام ـ وإيمان ـ وإحسان).

وقال جل ذِكره: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال] وقد جاء في تفسيرها العملي واقعةٌ تشهد لهذا المعنى؛ فعن أبي سعيد بن المُعلَّى: (كُنْتُ أُصَلِّي في المَسْجِدِ، فَدَعانِي رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فقالَ: ألَمْ يَقُلِ اللَّهُ: {اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} ..) [أخرجه البخاري]. فيجب أن لا تكُون الصلاة مانعةً من الاستجابة للرسول عليه الصلاة والسلام!!.

وقال الله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [الشورى] فلابد من الاستجابة لله تعالى والحذر من التسويف؛ فيوم القيامة لا ينفع فيه الندم ولا تُجزى النفسُ إلا بما قدَّمتْ.

ثانياً: صور للتسليم في العهد النبوي.

للتسليم في حياة الصحابة رضي الله عنهم؛ صورٌ كثيرة جدا بل يصعب على المرء حصرها، من أبرزها هذه الحوادث:

- **الإسراء والمعراج.** هذه الرحلة الميمونة المباركة، والتي فيها من البركات والخيرات والمشاهد والعِبر؛ قد انقسم الناس حولها إلى أقسام متعددة فمن مُصدِّق بها وموقِن، ومن مُكذب بها ورادّ، ومن تاركٍ للدين بسببها بعد أن كان تحت ظلاله. والذي كان ينبغي أن يكون **هو تصديق المُسلم واستسلامه لهذا الخبر**؛ دونما شكٍّ أو ريب وحالهم في ذلك يُلخِّصه موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه: (فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى؛ أصبح يتحدث الناس بذلك؛ **فارتدَّ ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه**، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أُسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم قال: لئن قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنَّه ذهب الليلة إلى بيت

المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟ فقال: نعم، إني لأصدقه ما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سُمِّي أبا بكر الصديق رضي الله عنه» [أخرجه الحاكم].

وحتى تعلم وقْع هذا الخبر على نفوس الصحابة؛ لابد من استصحاب الحالة التي كانوا يعيشونها: فرجل أُمِّيٌ، لم يعرف التقدم العِلمي ولم يسمع بسرعة صواريخ الفضاء، يعيش في الصحراء، يرعى الأغنام والإبل والبقر، يقطع هذه المسافة في شهر أو نحْوه، .. وفجأة يسمع مثل هذا الخبر، ومِن صادقٍ لم يُعرف عنه إلا الصدق .. **وليس هذا فحسب:** فلقد أخبر هذا المجتمع القرشيَّ بالإسراء ولم يُخبرهم عن المعراج!! .. فلم ينفع في هذا المقام إلا التسليم وفقط.

- **تحويل القبلة**. لسفيهٍ من السفها أن يقول كما قال أسلافه: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾ [البقرة] فكان الجواب من الله عز وجل: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ﴾ بل وتكون العلَّة من هذا الحدث العظيم؛ ما بينه الله جلَّ ذِكره: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة]. وكان حالُهم تجاه هذا الحدث العظيم: (بيْنَا النَّاسُ بقُبَاءٍ في صَلَاةِ الصُّبْحِ، إذْ جَاءَهُمْ آتٍ، فَقالَ: إنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قدْ أُنْزِلَ عليه اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ، وقدْ أُمِرَ أنْ يَسْتَقْبِلَ الكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا، وكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إلى الشَّأْمِ، فَاسْتَدَارُوا إلى الكَعْبَةِ) [أخرجه البخاري]، فلم ينتظروا حتى الفراغ من هذه الصلاة، أو لم يقولوا إنه خبر واحدٍ فقط نُريد معضِّداً له.. وإنما أثناء الصلاة تكون الاستجابة لأمر الله تعالى.
- ومواقف أخرى كثيرة؛ ومنها: **صلح الحديبية**؛ وفيه قول عمر رضي الله عنه: (اتَّهِموا الرَّأيَ على الدِّينِ؛ فلقد رَأَيْتُني أَرُدُّ على أمْرِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ما آلو عن الحَقِّ وذاك يَوْمَ أبي جَنْدَلٍ) وقد قالها بسبب ما رأى من الشروط المُجحفة بالمسلمين وكأنهم ليسوا على الحق. **وموقف أبي بكر من مسطح** لما سمع قول الله تعالى: ﴿وَلَا

يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ﴾ [النور] (قالَ أبو بَكْرٍ: بَلَى واللَّهِ إنِّي لَأُحِبُّ أنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إلى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتي كانَ يُنْفِقُ عليه، وقالَ: واللَّهِ لا أنْزِعُها عنْه أبَدًا) [أخرجه البخاري]. وعندنا مواقف أخرى كثيرة .. كلها مثال صدق على تسليم الصحابة التام؛ كحادثة (تحريم الخمر)، و(ارتداء الحجاب وموقف نساءء الأنصار).. .

ثالثا: فوائد التسليم والاستجابة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم. كثيرة؛ منها:

ـ **تحقيق الرُّشْد:** ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾.

ـ **تحقيق الزيادة من فضل الله تعالى:** ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾.

ـ **تحقيق الاستمساك بالعروة الوثقى** التي هي شهادة التوحيد وكلمة الإخلاص: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾.

ـ **تحقيق الفوز بالجنة؛** فقد ادعى اليهود والنصارى أن الجنَّة حِكرٌ عليهم؛ فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة].

رابعاً: بواعِث التسليم للأمر الإلهي.

للتسليم بواعثُ ومُحفِّزات، ينبغي أن لا تغيب عن أذهاننا؛ منها:

1 ـ مصدرية الوحي الإلهي: فالمسلم في تسليمه للأمر الإلهي؛ يوقِن بأنَّه يتبع وحيًا معصوما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فهو لا يستسلم لأمرٍ بشري ولا لقانون سيتغير ويتبدل بعد حين. ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾

2 ـ لأنه من الله تعالى الذي هو أعلم بنا من أنفسنا. فهو أعلم بما يُصلحنا وما ينفعنا وما يضرنا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم].

3 ـ النموذج السابق. مرَّتْ نماذج كثيرة من تسليم الصحابة رضي الله عنهم للأمر الإلهي وكان الجزاء كما هو معلوم: مكّن الله تعالى لهم، ونصرهم على عدوهم، ودانتْ لهم البلاد والعباد. فإن أردنا أن نصل إلى ما وصلوا إليه فلابد من السير على سَننهم واقتفاء أثرهم[1].

والحمد لله رب العالمين

(1) أنصح بالرجوع إلى كتاب: (ينبوع الغواية الفكرية. عبد الله العجيري) فقد أفاد وأجاد في الحديث عن التسليم للنصوص الشرعية؛ قبل أن يتكلم عن مزالق هدر النصوص الشرعية. فجزاه الله خيرا

ثامناً: العِبادة

العناصر:

المقدمة (لماذا العبادة؟! وهل ينتفع الله تعالى بها؟، وهي وظيفة الكائنات (جِبلَّة وتكليفاً).

أولاً: معناها، وأسُسُها وأركانُها، وشروطُها.

ثانياً: ديمومتُها.

ثالثاً: صفات العابدين.

رابعاً: وماذا إذا لم نعبدِ الله عز وجلَّ؟!.

(الموضوع)

هبْ أنَّ إنساناً حائراً تائهاً في البيداء أو في الظلمات؛ ومع حالته هذه قد ألَمَّ به المرضُ، فجاءه رجل وقال له أنا خبير بهذه الأرض التي أنت فيها تائهٌ حيران، وفوق ذلك عندي عِلم بما يحتاج إليه بدنُك من أسباب الصحة حتى تصل به سليماً إلى هدفك ومبتغاك؛ وفوق هذا وذاك لا أريد منك ثمنا على مشورتي إن اتبعتها .. فالطريق الصحيح الذي تُريد أن تَسْلُكَه هو هذا .. وسلامة جسدك مُتعلقةٌ بكذا وكذا.. ثم تركه وانصرف.

أو كطبيبٍ رأى مريضاً في الطريق؛ فقال له: أنا طبيب! وأنتَ مريض بكذا وكذا، وعلامة مرضك أنك تشعر بكذا وكذا .. أليس كذلك! .. فقال له المريض .. صدقت. فقال له الطبيب: وحتى تتعافى عليك أن تفعل كذا وكذا .. ثم تركه الطبيب وانصرف ولم يأخذ منه أجرةً أو ثمناً لمشورته!!.

فهل لذلك التائه الحيران في تلك البيداء، أو لهذا المريض أن يتركا تلك المشورة أو أن يرتابا في نصح مَن أشار عليهما بها!!.

تأمَّل معي .. الله سبحانه وتعالى قال عن نفسه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك] وقال: ﴿**هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ** فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم]. فالذي خلقنا وأنشأنا .. هو الذي أمرنا بعبادته؛ لأن فيها صلاحنَا ورُشْدنَا ومنافعنَا، والله سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعاتُنا ولا تضره معاصِينا سبحانه وتعالى؛ فهو القائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ **مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ** ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات] وقال: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ **إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ [العنكبوت] وفي الحديث القدسي: (يا عِبَادِي، إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يا عِبَادِي، لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا علَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ؛ ما زَادَ ذلكَ في مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي، لوْ أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا علَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ؛ ما نَقَصَ ذلكَ مِن مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي، لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فأعْطَيْتُ كُلَّ إنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ ما نَقَصَ ذلكَ ممَّا عِندِي إلَّا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يا عِبَادِي، **إنَّما هي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا)** [أخرجه مسلم]. فعبادتنا لله عز وجل نفعها إلينا، وضررُ تركِها علينا، وهو سبحانه وتعالى غنيٌّ عنَّا وعنها، وهي سببُ نجاتنا في بيداء الحياة .. وهي مِحور اللقاء؛ ولكن قبل الحديث عن ماهيتها؛ أشير إلى أنها:

وظيفة الكائنات (جِبلَّةً وتكليفاً، طوعاً وكرهاً).

وهذا هو منطوقُ كتاب الله عز وجل؛ فالله تبارك وتعالى قال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم] وقال **عن تسبيح الكائنات:** ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء] وقال **عن سجودها:** ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحج]، فمن امتنع عن السجود والعبادة طاعةً لله عز وجل في الدنيا استحق العذاب بل كانت الجمادات أعبدَ لله منه.

فهذه جِبلةٌ جبل الله تعالى عليها هذه الكائنات، وأمر الله تعالى بني آدم بها؛ فكانت منهم تكليفاً واختياراً لمن آمن منهم، وقهراً لمن عصى وطغى فهم داخلون في قوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فالكلُّ عبيد لله تعالى تحت سلطانه وقهره.

فطالما أن العبادةَ هذا شأنُها، وهو الشأنُ العظيمُ والمقامُ الكبيرُ؛ فما هي؟، ولِمن نصرفها؟، وما مكوناتها وأسسها؟، وما أركانها؟، وما شروطها؟،.. وغير ذلك مما يظهر في هذا اللقاء.

أولاً: معناها، وأركانها، وشروطها.

أما **المعنى:** فهي: «اسمٌ جامع لكل ما يُحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة والبراءة مما ينافي ذلك ويُضادُّه». فأنت ترى عمومَ هذا التعريف؛ فلا ينحصر معنى العبادة في أركان الإسلام الخمس، بل يتعدَّاه إلى كلِّ مظهر من من مظاهر الحياة؛ في: (النوم واليقظة)، في: (المسجد وغيره)، في: (البيت والشارع)، في: (المعهد والمدرسة أو الجامعة)، وفي حالات: (الفرح والنجاح والمرح .. والسرور)، وفي حالات: (الحزن والألم والفَقْد والبأساء والضراء)، وشاملٌ كذلك أعمال الجوارح، وأعمال القلوب.

يؤيِّدُ هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: (الأرضُ كُلُّها مَسجِدٌ، إلَّا الحَمَّامَ والمَقبَرَةَ) [أخرجه أبو داود وغيره]، فالأرض كلها محِلٌّ للعبادة وهكذا ينبغي أن تكون، **وأخلاق المسجد ينبغي أن تكون موجودةً في الأرض كلها؛ لأنها هي الأخرى مسجدٌ!!** وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي **وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي** لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام]؛ فليس عندنا في الإسلام؛ كما قِيل: «دعْ ما لقيصر لقيصر .. وما لله لله» وقد سبقهم بذلك مَنْ وصفهم الله تعالى ذامًّا: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا **فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ** سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام].

وأمَّا الأسس والأركان: فلها أساسان، ولا بد وأن يكونا كذلك في غاية الكمال **(كمال الحبِّ والرغبةِ مع كمال الذُّلِ والرهبةِ)**، فقد قال الله تعالى عن نفسه: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر] وقال عن زكريا عليه السلام مع زوجه: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء] ولذلك قيل في متون العقيدة: «وَالأَمْنُ والإِيَاسُ يَنقُلانِ عَنِ مِلَّةِ الإِسْلامِ **وسَبِيلُ الحَقِّ بَينَهُمَا** لأهلِ القِبْلَةِ».

وأما الشروط؛ فلها شرطانِ بهما يكونُ العملُ صالحاً مقبولاً:

فأمَّا الأول: **فالإخلاص**. وقد قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر] وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ) [أخرجه مسلم]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّما الأعْمالُ بالنِّيّاتِ، وإنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى، فمَن كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى دُنْيا يُصِيبُها، أوْ إلى امْرَأَةٍ يَنْكِحُها، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هاجَرَ إلَيْهِ) [أخرجه البخاري]. وفي الحديث: (أرأيتَ رجلًا غزا يلتمِسُ الأجرَ والذِّكرَ ما له؟ فقال: لا شيءَ له، فأعادها ثلاثةَ مرَّاتٍ يقولُ لا شيءَ له، ثمَّ قال: إنَّ اللهَ لا يقبلُ من العملِ إلَّا ما كان خالصًا وابتُغي به وجهُه) [أخرجه النسائي].

وأمَّا الثاني: **المتابعة**. وهي متابعتُنا للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فنعبد الله تعالى كما عبدَ النبي صلى الله عليه وسلم ربه؛ فهو القائل في الصلاة: (صلُّوا كما رأيتموني أُصلِّي) [أخرجه البخاري]. وقال في الحج: (يا أَيُّها الناسُ خُذُوا عَنِّي مناسكَكم) [أخرجه مسلم] وقال أبو بكرٍ رضي الله عنه في الزكاة: (هذِهِ فريضةُ الصَّدقةِ الَّتي فرضَها رسولُ اللَّهِ ـ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ ـ على المسلِمينَ الَّتي أمرَ اللَّهُ تعالى بِها) [أخرجه أبو داود وغيره].

وقد جمع بينهما **الفضيل بن عياض** عندما سئل عن قوله تعالى: (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا) فقال: «هو أخلصُ العمل وأصوبُه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصُه وأصوبُه؟ قال: إن العمل إذا كان

خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا وصوابا، فالخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة».

ثانياً: ديمومتها. العبادة لله عز وجل لا ينفكُّ عنها المُسلم بحال؛ ولذلك ينبغي أن تكون هذه العبادةُ الثوبَ الذي صبغَ حياتَه كلَّها؛ فقد قال الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة] فالصِّبغة هنا؛ هي:«دِينَ اللَّهِ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ **وسُمِّيَ صِبْغَةً لِظُهُورِ أثَرِ الدِّينِ عَلى صاحِبِهِ، كَظُهُورِ أثَرِ الصَّبْغِ عَلى الثَّوْبِ، ولِأنَّهُ يَلْزَمُهُ ولا يُفارِقُهُ، كالصَّبْغِ في الثَّوْبِ**».

فينبغي على المسلم أن يكون دائمَ العبوديةِ إلى أن يلقى ربَّه تبارك وتعالى؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر] أي عليك أن تكون دائم العبوية لله تعالى إلى أن تلقى الموت؛ وكما قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ **وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**﴾ [مريم]. وعليه .. فلا يصل الإنسان إلى حالة من الحالات تسقط عنه فيها الفرائض إلا بفَقَد عقْله أو كان صغيراً لم يبلغ أو كان على عذر من أعذار النساء التي تُسقط عنهم فرض الصلاة وقضاءَها.

ثالثاً: صفات العابدين.

قد وصف الله تعالى أنبياءه بالعبودية في مواطن من كتابه؛ فقال عن لوط وإبراهيم وأولاده أئمة الدين؛ عليهم جميعاً الصلاة والسلام: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء] وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف] وقال عن محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ (الكهف).

وللعابدين في القرآن الكريم وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم أوصاف جليلة؛ من أهمِّها:

ـ **لا يستنكفون عن عبادة الله عز وجل.** قال الله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ﴾ [النساء]. وقد جاء في ثناء النبي صلى الله عليه وسلم على ربه بعد رفعه من الركوع: (رَبَّنَا لكَ الحَمْدُ مِلْءُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ، ومِلْءُ ما شِئْتَ مِن شيءٍ بَعْدُ، أهْلَ الثَّنَاءِ والْمَجْدِ، أحَقُّ ما قالَ العَبْدُ، **وكُلُّنَا لكَ عَبْدٌ**: اللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِما أعْطَيْتَ، ولَا مُعْطِيَ لِما مَنَعْتَ، ولَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ) [أخرجه مسلم]، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر]

ـ **يأكلون الطيبات ويشكرون الله تعالى على نِعمه وآلائه.** فقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة]

ـ **يفعلون الخيرات** من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وغيرها؛ كما في الآية التي جاءت عن إبراهيم وأولاده ولوط عليهم الصلاة والسلام.

ـ **يتورعون عن الشبهات خوفا من الوقوع في المحارم.** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة: (يا أبا هُرَيْرةَ كن وَرعًا، **تَكُن أعبدَ النَّاسِ** وَكُن قنعًا تَكُن أشكرَ النَّاسِ، وأحبَّ للنَّاسِ ما تحبُّ لنفسِكَ، تَكُن مؤمنًا، وأحسِن جوارَ مَن جاورَكَ، تَكُن مسلمًا، وأقلَّ الضَّحِكَ، فإنَّ كثرةَ الضَّحِكِ تُميتُ القلبَ) [أخرجه ابن ماجة في سننه].

رابعاً: ماذا إذا لم نعبد الله عز وجلَّ؟!.

عبادة الله عز وجل هي حقُّه علينا؛ فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه: (.. هلْ تَدْرِي ما حَقُّ اللَّهِ علَى عِبادِهِ؟ قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: حَقُّ اللَّهِ علَى عِبادِهِ أنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا به شيئًا ثُمَّ سارَ ساعَةً، ثُمَّ قالَ: يا مُعاذُ بنَ جَبَلٍ قُلتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ اللَّهِ وسَعْدَيْكَ، قالَ: هلْ تَدْرِي ما حَقُّ العِبادِ علَى اللَّهِ إذا فَعَلُوهُ قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: حَقُّ العِبادِ علَى اللَّهِ أنْ لا يُعَذِّبَهُمْ) [أخرجه البخاري] فإذا لم نؤدِّ هذا الحق كما ينبغي لم يكن لنا عند الله عهدٌ أن ينصرنا أو أن يمكن لنا في الأرض أو أن نكون من وارثي جنات النعيم فكل هذه الأمور مقرونة بعبادته.

قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ **يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ**﴾ [النور] وهذا الوعدُ لنا إنْ وفَّينا له تعالى بعهده؛ والذي هو: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس] فالله عز وجل قال عن نفسه مُستفهما مُنكرا على من شكَّ في هذا الوصف: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة] وقال: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء] فليس هناك أحد أصدق قولاً وأوْفى عهدا من الله تعالى؛ وقد قال لبني إسرائيل: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة] فهذا وصفه مع كل أحد؛ ونحن أكرم على الله عز وجل من بني إسرائيل.

والحمد لله رب العالمين.

تاسعاً: مُحبطات الأعمال

المقدمة.

مُحبطات الأعمال.

(الموضوع)

مما لا شك فيه أن نجاة العبد بين يدي ربه تبارك وتعالى في الآخرة موقوفة على أمور؛ وهذه الأمور: **منها** ما يتعلق بقصده وإرادته، **ومنها** ما يتعلق بلسانه ومنطقه، **ومنها** ما يتعلق بأعمال جوارحه؛ فهذه كلها أركان مهمَّة في نجاته، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ **مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ** فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [طه] فالدرجاتُ العلى لم تكن للذين حققوا الإيمان فحسب؛ بل جاؤوا به مشفوعاً بعمل الصالحات. وقال الله تعالى أيضاً: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل] فالحياة الطيبة لمن جاء بالإيمان والعمل الصالح معا، وكذلك قال الله تعالى في وصف أصحاب الميمنة: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد] فقد جمعوا في أوصافهم ـ حتى يتجاوزوا تلك العقبة ـ الأعمالَ الصالحةَ من فكِّ الرقاب وتحريرها وإطعام الطعام في المجاعات الأيتامَ والمساكين .. ومع ذلك كله حققوا الإيمان بالله تعالى.

ولأجل أهمية العمل ورُكنيته في عملية النجاة؛ ازداد خوف الصالحين على أعمالهم أن لا يتقبلها الله عز وجل؛ فقد قالتْ عائشة رضي الله عنها في قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ قالت يارسول الله: (أَهوَ الَّذي يَزني ويَسرِقُ، ويَشرَبُ الخمرَ؟) قالَ: (لا، يا بِنتَ أبي بَكْرٍ أو يا بِنتَ الصِّدِّيقِ ولَكِنَّهُ الرَّجلُ يَصومُ، ويتَصدَّقُ، ويُصلِّي، وَهوَ يَخافُ أن لا يُتقبَّلَ منهُ) [أخرجه ابن ماجة وغيره].

ولأجل هذا وغيره .. أحببت أن أقف مع بعض الأسباب التي تكون سببا في بطلان العمل والتي ينبغي على المُسلم أن يعلمها حذرا من الوقوع فيها؛ ومنها:

محبطات الأعمال:

أولاً: الإشراك بالله تعالى. الإشراك بالله تعالى هو السبب الرئيس الذي لا تنفع معه في الآخرة أيُّ حسنة ولا أي عمل صالح بل يؤدي إلى بطلانها وعدم الانتفاع بها؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر] فهذا وحيُ الله تعالى لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وللذين من قبله عليهم السلام كذلك، وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ **إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ** وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ وقال عن مظهر من مظاهر الشرك وأثرٍ من آثاره: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد].

بل إن الله تعالى ضرب لأعمال الكافر مِثالين كاشفين لحسرة هذا الكافر وندامته على أعماله التي ظنها نافعة له يوم القيامة .. وهيهات؛ فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝٣٩ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور]، وقصة أبي طالب عمِّ النبي صلى الله عليه وسلم ودفاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وما أعظمَه من عمل صالح .. ولم يُنْجِّ صاحبه من النار. وكذلك قصة عبد الله بن جدعان الذي كان يُطعم الطعام ويصل الأرحام .. ومع ذلك لم تنفعه لعدم إيمانه.

وأمَّا جزاؤه عليها .. فالثناء والمدح والأجر المادي في الدنيا فقط؛ وليس له في الآخرة الإ النار: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [هود].

ثانياً: رفع الصوت على رسول صلى الله عليه وسلم. وقد صرَّحتْ نصوص القرآن الكريم بأن هذا الأمر مُوجِب لبطلان العمل وحبوطه فقد قاله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات] ومن نَظر في تفسير هذه الآية وما ورد حولها من آثار يرى عجبا من الصحابة فمِن قائل: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَا أُكَلِّمُكَ إلا كأخي السّرار) وهو أبو بكر رضي الله عنه، وهذا الآخر: (فَمَا كَانَ يُسمِعُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ) وهو عمر رضي الله عنه، وهذا الصحابي الذي جلس في بيته مُنكِّسا رأسه ظاناً أن الآية قد نزلتْ فيه؛ لأنه كان ذا صوتِ مُرتفع جِبلة وخِلقة؛ فتأتيه البشارة بأنه ليس من أهل النار بل هو من أهل الجنة وهو ثابت بن قيس رضي الله عنه.

وهذا الأدب في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد مماته عليه الصلاة والسلام؛ فعن معن بن عيسى قال: «كان مالك بن أنس إذا أراد أن يجلس للحديث اغتسل وتبخر وتطيب، فإذا رفع أحد صوته في مجلسه زجره، قال: قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾، فمن رفع صوته عند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم».

ثالثاً: انتهاك محارم الله تعالى خَلوةً. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لَأعلَمنَّ أقوامًا من أمَّتي يأتونَ يومَ القيامةِ بحسناتٍ أمثالِ جبالِ تِهامةَ بيضاءَ، فيجعلُها اللهُ هباءً منثورًا، قال ثَوْبانُ رَضِيَ اللهُ عنه: يا رسولَ اللهِ، صِفْهم لنا، جَلِّهم لنا ألَّا نكونَ منهم، ونحنُ لا نعلَمُ، قال: أَمَا إنَّهم إخوانُكم، ومِن جِلْدَتِكم، ويأخُذونَ منَ اللَّيلِ كما تأخُذونَ، ولَكِنَّهم أقوامٌ إذا خَلَوْا بمحارمِ اللهِ انتهَكوها). [أخرجه ابن ماجة].

وقد قال الله تعالى في أمثالهم: ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝١٠٧ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء]

رابعاً: الرياء. ومن الأسباب التي تجعل العمل هباءً لا قيمة له؛ ذلك العمل الذي كان مبعثه ومنشؤه ثناءَ الناس ورؤيةَ الناس؛ فلقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: (أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ) [أخرجه مسلم] وفي رواية أخرى: (يقول الجبَّارُ تبارك اسمُه أنا أغنى الشركاءِ عنِ الشِّركِ فمن عمِل لي عملًا وأشركَ معي غيري **فأنا منه بريءٌ وهو للذي أشركَ)**. وقد: (جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقال: أرأيتَ رَجُلًا غَزا يَلتَمِسُ الأجْرَ والذِّكرَ، ما له؟ فقال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لا شَيءَ له. فأعادَها ثَلاثَ مِرارٍ ويَقولُ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لا شَيءَ. ثم قال: **إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لا يَقبَلُ مِنَ العَمَلِ إلَّا ما كان خالِصًا وابتُغِيَ به وَجهُه)** [أخرجه النسائي].

خامساً: التألِّي على الله عز وجل. وهذا من الجهل العظيم بمقام الله عز وجل؛ إذْ كيف يجرؤ إنسان أن يحجر على الله تعالى أو أن يتحكم في أفعاله سبحانه؛ فهو سبحانه: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء] و قد روى مُسلِمٌ في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أنَّ رَجُلًا قالَ: واللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلانٍ، وإنَّ اللَّهَ تَعالَى قالَ: مَن ذا الذي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أنْ لا أغْفِرَ لِفُلانٍ، فإنِّي قدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ، وأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ، أوْ كما قالَ) والحديث له قصة عند أبي داود: فقد (كان رجُلانِ في بَني إسرائيلَ مُتواخِيَين، فكان أحدُهما يُذنِبُ، والآخَرُ مُجتهِدٌ في العبادةِ، فكان المجتهِدُ لا يَزالُ يَرى الآخَرَ على الذَّنْبِ، فيقولُ: أقْصِرْ، فوَجَده يومًا على ذنْبٍ، فقال له: أقْصِرْ، فقال: خَلِّني ورَبِّي، أبُعِثْتَ علَيَّ رَقيبًا؟! فقال: واللهِ لا يَغفِرُ اللهُ لكَ، أو لا يُدخِلُك اللهُ الجنَّةَ، فقَبَض أرواحَهما، فاجتَمَعا عندَ ربِّ العالَمِين، فقال لهذا المجتهِدِ: أكُنتَ بي عالمًا، أو كُنتَ على ما في يَدي قادرًا؟! وقال للمُذنِبِ: اذهَبْ فادخُلِ الجنَّةَ برَحْمتي، وقال للآخَرِ: اذْهَبوا به إلى النَّارِ) وهذا قد أُعجِب بفعل نفسه أولاً، وجمع مع هذا الذنب احتقارَ الآخرين؛ فكان جزاؤه هذا.

سادساً: ترك صلاة العصر. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن تَرَكَ صَلَاةَ العَصْرِ فقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ) [أخرجه البخاري]، وهذه الصلاة هي الوسطى التي قال الله عنها: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة].

سابعاً: إتيان الكُهان. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن أتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عن شيءٍ، لَمْ تُقْبَلْ له صَلاةٌ أرْبَعِينَ لَيْلَةً) [أخرجه مسلم].

ثامنا: اتخاذ الكلاب في البيوت. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنِ اتَّخَذَ كَلْبًا، ليسَ بكَلْبِ صَيْدٍ، ولا غَنَمٍ، نَقَصَ مِن عَمَلِهِ كُلَّ يَومٍ قِيراطٌ) [أخرجه مسلم].

تاسعاً: سوء الأخلاق. وهذا السبب لا يتعلق بعدم القبول وإنما يتعلق بعدم الانتفاع بها بعد قبولها. فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ: إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتي يَأْتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأْتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ) [أخرجه مسلم]. ورُوي كذلك: (قال رجلٌ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّ فُلانةَ يُذكَرُ مِن كَثرةِ صَلاتِها وصَدقَتِها وصيامِها، غيرَ أنَّها تُؤذي جيرانَها بِلِسانِها؟ قال: هيَ في النَّارِ، قال: يا رَسولَ اللهِ، فإنَّ فُلانةَ يُذكَرُ مِن قِلَّةِ صيامِها وصَدقَتِها وصَلاتِها، وإنَّها تَتَصدَّقُ بالأَثوارِ مِن الأَقِطِ، وَلا تُؤذي جيرانَها بلِسانِها؟ قال: هيَ في الجنَّةِ) [أخرجه أحمد]. فقد ذهب أثر أعمال هؤلاء إلى غيرهم ولم ينتفعوا بها.

فعلينا المُحافظة على أعمالنا؛ فالله قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾.

والحمد لله رب العالمين

عاشراً: التوحيد.

العناصر:

المقدِّمة.

فضائل التوحيد.

(الموضوع)

لابد للعبد حتى يصح إيمانُه واعتقادُه ومن ثمَّ نجاتُه في الدنيا والآخرة؛ من اعتقاد:

أولاً: وحدانية الله تعالى في الملك والخلق والرزق والتدبير. فهو سبحانه وتعالى خالق وما سواه مخلوق، وهو الرازق وما سواه مرزوق، وهو مُدبِّر أمور خلقه ومُصرِّف أحوالهم سبحانه وتعالى. وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس].

ثانياً: وحدانية الله تعالى في العبودية. فهو وحده المعبود بحقٍّ وما سواه من المعبودات فعبادته باطلة؛ فقد قضى سبحانه أن لا نعبد إلا إياه فقال جلَّ ذِكْره: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾، وقد أرسل اللهُ رسلَه لذلك؛ فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء]، وهذا هو المتواتر على ألسنة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد جاء عنهم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل].

ثالثاً: وحدانيته في أسمائه وصفاته. فأسماؤه سبحانه وتعالى وصفاته بلغت الكمال والحسن والجلال فلا يُدانيها ولا يُساميها في ذلك أسماء وصفات المخلوقين. قال الله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم] وقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص] وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف]، فكل ما وصف اللهُ تعالى به نفسه أو وصفه به رسولُه صلى الله عليه وسلم لابد من إثباته لله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل مع اعتقاد وحدانيته تعالى في حقائق ومعاني تلك الأسماء وهذه الصفات؛ فقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى].

فالله تعالى واحد ليس له مثيلٌ، ولا عديل، ولا كفءٌ، ولا مساوٍ، ولا ظهير سبحانه وتعالى.

وهذا التوحيد أعدَّ الله تعالى لِمن حققه ولِمن عمل به وعاش عليه مِنحاً وعطايا جليله؛ منها:

أولاً: غفران الذنوب.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء] وفي الحديث القدسي: (قال اللهُ تعالَى: يا بنَ آدمَ إنَّك ما دعوتَني ورجوتَني غفرتُ لك على ما كان منك، ولا أُبالي، يا بنَ آدمَ لو بلغتْ ذنوبُك عنانَ السَّماءِ ثمَّ استغفرتَني غفرتُ لك، يا بنَ آدمَ لو أتيتَني بقِرابِ الأرضِ خطايا، ثمَّ لَقِيتَني لا تُشرِكُ بي شيئًا لأتيتُك بقِرابِها مغفرةً) [أخرجه الترمذي].

ومما يدل على أن التوحيد يُكفِّر الله تعالى به الذنوب ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم: (أنَّ اللهَ سيُخَلِّصُ رجلًا من أمتي على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامة فينشُرُ عليه تسعةً وتسعينَ سِجِلًّا، كلُّ سِجِلٍّ مثلُ مدِّ البصرِ ثم يقولُ: أتُنكِرُ من هذا شيئًا؟ أظلَمَكَ كَتَبتي الحافظونَ؟ يقولُ: لا يا ربِّ. فيقولُ: أفَلَكَ عُذرٌ؟ فيقولُ: لا يا ربِّ، فيقولُ: بلى إنَّ لكَ عندنا حسنةً وإنَّه لا ظلمَ عليكَ

اليومَ، فيُخرِجُ بِطاقةً فيها أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، فيقولُ: احضرْ وزنَكَ، فيقولُ: يا ربِّ ما هذهِ البِطاقةُ معَ هذه السِّجِلَّاتِ؟ فقال فإنك لا تُظلَمُ. قال: فتوضعُ السِّجِلَّاتُ في كِفَّةٍ والبطاقةُ في كِفَّةٍ فطاشتِ السِّجِلَّاتُ وثقُلتِ البِطاقةُ، ولا يَثقُلُ معَ اسمِ اللهِ شيءٌ) [أخرجه الترمذي وأحمد].

ثانياً: دخول الجنة على ما كان مِن العمل.

وفي ذلك حديثان؛ فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قولُه: (خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَوْمًا فَقَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبيُّ معهُ الرَّجُلُ، والنَّبيُّ معهُ الرَّجُلَانِ، والنَّبيُّ معهُ الرَّهْطُ، والنَّبيُّ ليسَ معهُ أحَدٌ، ورَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فقِيلَ: هذا مُوسَى وقَوْمُهُ، ثُمَّ قيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، ومع هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ ألْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بغيرِ حِسَابٍ. فَتَفَرَّقَ النَّاسُ ولَمْ يُبَيَّنْ لهمْ، فَتَذَاكَرَ أصْحَابُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فَقالوا: أمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا في الشِّرْكِ، ولَكِنَّا آمَنَّا باللَّهِ ورَسولِهِ، ولَكِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لا يَتَطَيَّرُونَ، ولَا يَسْتَرْقُونَ، ولَا يَكْتَوُونَ، وعلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. فَقَامَ عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: أمِنْهُمْ أنَا يا رَسولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أمِنْهُمْ أنَا؟ فَقَالَ: سَبَقَكَ بهَا عُكَاشَةُ) [أخرجه البخاري] وفي شرحٍ يُوضِّح سببَ تفضيلِهم بهذه المنقبة: أن «هُمْ في كلِّ أحوالِهِمْ ـ ومِنها ما سبَقَ ذِكرُهُ ـ يَتوكَّلونَ على اللهِ حَقَّ تَوكُّلِهِ، فيُفَوِّضون أمورَهم إليه تعالى في ترتيبِ المُسَبَّباتِ على الأسبابِ مع تهيِئَتِها؛ فاستَحَقُّوا بذلك أن يَدْخلوا الجنَّةَ بغيرِ حِسابٍ.»

والحديث الثاني: (مَن شَهِدَ أَنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وَأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأنَّ عِيسَى عبدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ منه، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ علَى ما كانَ مِنَ العَمَلِ ـ وفي رِوايةٍ ـ: مِن أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، أَيَّهَا شَاءَ) [أخرجه البخاري].

ثالثاً: الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة.

فقد جاء عَنْ عبدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، قالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هذِه الآيَةُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام]، شَقَّ ذلكَ علَى أصْحابِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وقالوا: أيُّنا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟! فقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ليسَ كما تَظُنُّونَ؛ إنَّما هو كما قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان]. [أخرجه البخاري].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ **وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ** يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔاۚ﴾ [النور] وقد قال الله تعالى أيضا: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل] فانظر إلى هذه النعمة التي ترتَّبتْ على الإيمان والتوحيد؛ وكذلك قال الله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ [قريش] وكفار قريشٍ كانوا يتعبدون بعبادات ولكنها لم تكن لله وإنما كانت للأصنام التي اتخذوها واسطة بينهم وبين الله تعالى؛ فالمقصود من الأمر بالعبادة هو التوحيد؛ أي فليوحدوا الله تعالى بعبادتهم ولا يصرفوها لغيره.

رابعاً: تفريج الكُرب في الدنيا والآخرة.

تحقيق التوحيد في قلب العبد وإظهار الالتجاء إلى الله تعالى في وقت الشدة والكَرب؛ يجعل الفرج بعد الكرب أكيدا، واليُسر بعد العُسر سريعا؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ عِنْدَ الكَرْبِ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ العَلِيمُ الحَلِيمُ، لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ ورَبُّ الأرْضِ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ). [أخرجه البخاري].

وكذلك ما حدث لنبي الله تعالى يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت؛ فقد قال الله تعالى عنه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾

خامسا: توحيد الله تعالى دُعاءُ كلِّ الأنبياء.

كل الأنبياء كان هذا الذِّكْرُ أفضلَ أذكارهم؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أفضلُ ما قُلْتُ **أنا والنَّبيونَ** عشيةَ عرفةَ: لا إلهَ إِلَّا اللهُ وحْدَهُ لا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ و لهُ الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ) [أخرجه الطبراني في الدعاء]

فهذا **نوح عليه السلام**؛ فقد جاء: (أنَّ نوحًا قال لابنِه عند موتِه: آمرُك بلا إلهَ إلا اللهُ؛ فإنَّ السَّمواتِ السبعَ والأَرَضين السبعَ لو وُضِعَت في كِفَّةٍ ووُضِعَت لا إلهَ إلا اللهُ في كِفَّة، رجَحَت بهنَّ لا إلهَ إلا الله، ولو أنَّ السَّمواتِ السَّبعَ والأرضينَ السَّبعَ كُنَّ في حَلقةٍ مُبهمةٍ فَصَمَتْهنَّ لا إلهَ إلَّا اللهُ) [أخرجه أحمد].

وهذا **موسى عليه السلام**؛ فقد جاء عنه: (قال موسى: يا ربِّ علِّمْني شيئًا أذكرْك به وأدعوك به؟ قال: قل: لا إله إلا اللهُ. قال: يا ربِّ كلُّ عبادِك يقول هذا. قال: قل لا إله إلا اللهُ. قال: إنما أريد شيئًا تخصُّني به. قال: يا موسى لو أنَّ السمواتِ السَّبعَ والأرضِينَ السَّبعَ في كِفَّةٍ ولا إله إلا اللهُ في كِفَّةٍ؛ مالَتْ بهم لا إله إلا اللهُ) [النسائي في السنن الكبرى].

بل في وصية من وصايا الأنبياء لأبنائهم وهم على فِراش الموت؛ تأتي الوصية بالتوحيد، فقد قال الله تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة]

ولكن .. هذا الفضل؛ وهذه العطايا؛ وهذه العظمة؛ وهذا الانتساب لهذا الركب الجليل ركب الموحدين؛ هل هو لكلِّ أحد لكل من تلفظ بالتوحيد ولم يعمل به؟ أم ماذا؟

أقول: جاء في بعض الآثار أن (مِفتاح الجنَّة هو شهادة أن لا إله إلا الله) وهو ضعيف؛ وقد أخرج البخاري عن وهب بن منبِّه تعليقا هذا القول: «أنه قيل له أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة قال: بلى ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتح لك وإلا لم يفتح لك» [رواه البخاري معلقا].

فلابد للمفتاح من أسنان .. وإلا لم يُفتح لك.

فمن جاء بهذا المفتاح ولم يعمل بما يستلزمه؛ فليس له حقٌّ في أن يُفتح له؛ لأنه إما أن يكون شبيها بالمنافقين عملوا ظاهرا وأضمروا الكفر باطنا، أو يكون به شبه بالمرجئة الذين عرفوا باطنا ولم يعملوا ظاهرا.

والحمد لله رب العالمين.

الضروريات الخمس

«فَقَدَ اتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ ـ بَلْ سَائِرُ الْمِلَلِ ـ عَلَى أَنَّ الشَّرِيعَةَ وُضِعَتْ:

لِلْمُحَافَظَةِ عَلَى الضَّرُورِيَّاتِ الْخَمْسِ، وَهِيَ:

الدِّينُ، وَالنَّفْسُ، وَالنَّسْلُ، وَالْمَالُ، وَالْعَقْلُ

وَعِلْمُهَا عِنْدَ الْأُمَّةِ كَالضَّرُورِيِّ»

(الإمام الشاطبي رحمه الله)

أولاً: الدين

العناصر:

أولاً: أهمّية الدين في حياة المُسلمين.

ثانياً: سُبُل المحافظة على الدين.

ثالثاً: أخطار تهدِّدُ الدين في النفوس.

خاتمة (دعاءٌ لإصلاح الدين)

(الموضوع)

من الضروريات التي هي كالرأس بالنسبة للجسد، والتي إذا فُقِدتْ أو تعرضتْ لأي نقص أو خلل أدى ذلك إلى نقص أو خلل في الحياة بمقدار هذا النقص أو ذك الخلل، فالعلاقة بينهما علاقة طردية تزداد بزيادته وتنقص بنقصه؛ هي ضرورة:

(الدينُ أو التديُّن بما أنزله الله تعالى في كتابه أو بينه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم).

وفي هذا اللقاء أذكر إن شاء الله تعالى ما يُبيِّن أهميةَ الدين في نفوس المسلمين، والسُّبلَ التي تُحافظ على هذه الضرورة وكذلك الأخطار التي تهدد استقراره في المجتمع أو تؤثِّر عليه سلباً.

أولاً: أهمّية الدين في حياة المُسلمين.

تظهر أهمية الدين في هذه النُّقاط التالية:

1 ـ **الإجابة على الأسئلة الوجودية.** فهناك أسئلةٌ مُلحَّةٌ على الإنسان لا يستطيع الإجابة عنها من خلال معطيات العلم الحديث، وإذا ما أراد الإنسان أن يهتدي إلى معرفتها فلابد من الرجوع إلى

حياض الدِّين وتصوراته عنها ففيه الشفاء والاهتداء. ومن هذه الأسئلة المركزية: (من أين جئنا؟)، (ولماذا جئنا؟)، (وإلى أين المصير؟)، (لماذا الفقر والغني؟)، (لماذا الصحة والمرض؟)، (لماذا الحرب والسِّلم؟)، (لماذا النجاح والفشل؟)، (لماذا السراء والضراء؟)، (لماذ المنع والعطاء؟)، بل: (لماذا الموت والحياة؟) .. وغيرها.

وكلُّها أسئلةٌ .. يسعى الإنسانُ بعقله وفِكره ووجدانه إلى أن يحقِّقَ فيها الاستقرار النفسي والمعرفي؛ فانعدام هذا الاستقرار النفسي والمعرفي أدى إلى انحراف كثير من الشباب وانزلاقهم في مهاوي الشياطين ومهالكم. فظهر ما يُسمَّى: بالإلحاد، وعبادة الشيطان، والمذهب الرُّبُوبي، والمذهب العلماني .. وغيرها من المذاهب الضالة والأفكار المنحرفة التي هي نتيجة من النتائج اللازمة والمترتبة على عدم ضبط الرؤية المعرفية لأمثال هذه الأسئلة الوجودية وغيرها.

2 ـ **ضبط الجانب الأخلاقي والغرائزي.** فقد وضع الله تعالى في الإنسان غرائزَ وشهواتٍ، وركَّبها فيه تركيبا بديعاً، فإذا ما تُرِك الإنسان وهذه الغرائز وتلك الشهوات بلا رابط أو ضابط فسوف ينزل بنفسه من درجات الإنسانية إلى دركات البهيمية. فمَن الذي يضبط له الغريزة الجنسية، أو غريزة الخوف، أو الحُبّ والكُره والبغض أو حبّ الفضول، أو الاشمئزاز .. وغيرها من الغرائز؟.

ومنِ الذي يحكم على امرأةٍ أنَّه يحلُّ له النكاح منها وأخرى لا يحل؟ فهذه من المحرمات وليست هذه كذلك؟ وغير ذلك!!. ومَن الذي يحكم على الإنفاق بأنه تبذير أو تقتير؟ أو على الغِيرة بأنها دَياثة أو شكٍّ، أو على الشجاعة بأنها تهوُّر أم جُبن؟ وهكذا في كل الفضائل؛ **إذْ ما من فضيلة إلا وهي بين رذيلتيْن!!.** من الذي يحكم على فِعل بأنه عدل وآخر بأنه ظلم، أو على أمْرٍ بأنه من المُساواة وآخر بأنه من الجور؟ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ ـ وفي روايةٍ: ـ "صالحَ" الأخلاقِ). هذا كلُّه لا يكون إلا عن طريق الدين.

3 ـ الموازنة بين حاجات الجسد وحاجات الروح. فلم يأت الدين بنفي ما يتعلق بالجسد ولا بنفي ما يتعلق بالحواس الإنسانية، وكذلك لم يأت بنفي ما يتعلق بالروح أو النفس الإنسانية؛ فلكلٍ من

الجسد والروح ضرورياته وحاجياته وتحسيناته فلا يعتدي حقٌّ هذه على تلك ولا تلك على الأخرى؛ فقد: (آخَى النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بيْنَ سَلْمانَ، وأَبِي الدَّرْداءِ، فَزارَ سَلْمانُ أبا الدَّرْداءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْداءِ مُتَبَذِّلَةً، فقالَ لَها: ما شَأْنُكِ؟ قالَتْ: أخُوكَ أبُو الدَّرْداءِ ليسَ له حاجَةٌ في الدُّنْيا، فَجاءَ أبُو الدَّرْداءِ، فَصَنَعَ له طَعامًا، فقالَ: كُلْ فإنِّي صائِمٌ، قالَ: ما أنا بآكِلٍ حتَّى تَأْكُلَ، فأكَلَ، فَلَمَّا كانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أبُو الدَّرْداءِ يَقُومُ، فقالَ: نَمْ، فَنامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فقالَ: نَمْ، فَلَمَّا كانَ آخِرُ اللَّيْلِ، قالَ سَلْمانُ: قُمِ الآنَ، قالَ: فَصَلَّيا، فقالَ له سَلْمانُ: إنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فأعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فأتَى النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَذَكَرَ ذلكَ له، فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: صَدَقَ سَلْمانُ) [أخرجه البخاري] فهناك حق لله وحق للنفس وآخر للأهل و .. .

4 ـ تشريعاتُه الضابطةُ لمعاملات الخلْق. فالخلقُ يتعاملون مع بعضهم البعض ولابد من ضابط لمعاملاتهم حتى لا يطغى الإنسان على حقِّ أخيه؛ إذ الإنسان بطبعه ظلومٌ جهول، وإذا لم يكن أمامه رادعٌ يردعه أو قوَّةٌ تصده عن غيِّه سيعتدي؛ فعن أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه؛ قال: (كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لي بالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِن خَلْفِي، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الغَضَبِ، قالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إذَا هو رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَإِذَا هو يقولُ: اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، قالَ: فأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِن يَدِي، فَقالَ: اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، **أنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ علَى هذا الغُلَامِ**، قالَ: فَقُلتُ: لا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا. [وفي رواية]: فَسَقَطَ مِن يَدِي السَّوْطُ مِن هَيْبَتِهِ) [أخرجه مسلم]، فلم يُخوِّفه النبي صلى الله عليه وسلم بسلطانه عليه أو بقانون أو بتشريع أو بدستور وإنما (بقدرة الله عليه!!).

وهذا في الجانب المعرفي العِلمي فقط؛ أمَّا في الجانب التشريعي فهناك الكفارات والزواجر والحدود والتعزيرات الكفيلة بضبط هذه الأخلاق.

5 ـ حديثه عن الغيبيات. الغيبيات ركن ركين من أركان الدين؛ فالقيامة وأهوالها، والجنة والنار وما فيهما، والملائكة والجن، وأحوال الأمم الماضية، والغيبيات التي تتعلق بالموت وما يتبعه وما يتقدم عليه منها، وغير ذلك من هذه الغيبيات .. كلُّها أمور تفرّد الدينُ بالحديث عنها ولم يُناقضْ

واقعاً ملموسا في حديثه ذلك؛ فلم يأت فيها بشيءٍ يخالف واقع الناس أو يُناقض عِلماً يقينياً تعلموه واعتمدوه؛ إذْ هي أخبار قائمة على خبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم؛ فمن آمن به آمن بها، ومن جحد نبوته ورسالته لم ينفعه الحديث عنها!!.

6 ـ ربْطه للمسلم بالآخرة. وهذه أهميةٌ كبرى فالدين الإسلامي في كثير من تشريعاته وآوامره يربط المُسلم بالآخرة؛ فتجد في نصوص الوحي الشريف تلك العبارة بكثرة؛ وهي: **(مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ)**؛ ويُردفها النبي صلى الله عليه وسلم بجواب شرطٍ متعدد الصور والأعمالِ، ومنها: **(فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، جائِزَتُهُ يَوْمٌ ولَيْلَةٌ، والضِّيافَةُ ثَلاثَةُ أيَّامٍ، فَما بَعْدَ ذلكَ فَهو صَدَقَةٌ، ولا يَحِلُّ له أنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حتَّى يُحْرِجَهُ)**، **(مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ)**، **(فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)**، وفي المعاملات الربوية: **(مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ فلا يَأْخُذَنَّ إلَّا مِثْلًا بمِثْلٍ)**، وكذلك **(فلا يَسقِ ماءهُ ولدَ غيرِهِ)**. وفي الذِّكْر الحكيم؛ قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين]

ثانياً: سُبُل المحافظة على الدين.

وهذه السُبل منها ما هو إيجابيٌّ ومنها ما هو سلبيٌّ؛ **فمن الإيجابيَّات** التي ينبغي أن تكون لأجل المحافظة عليه:

ـ جعْلُه شعارا ظاهراً. وهذا له أكبر الأثر في الحفاظ عليه؛ فإذا ما انزوى الدينُ في المجتمع وأصبح في ركنٍ بعيد لا يُلتَفت إليه؛ انمحى أثرُه وقلَّ تأثيرُه في نفوس الخلق، ثم وُجِّهت إليه السهام وأُلصقت به البلايا والرزايا وأصبح هو المتهمُ الأولُ في كل بليَّة، وشيئا فشيئا يندثر ويتلاشى، وأما إذا ما كان ظاهرا وواضحا وُضوح الشمس في سط النهار فلا شكَّ بأنه سيشتدُّ عودُه. فلابد من أن يكون ظاهرا في الطُّرقات والمساجد والمدارس والمعاهد والجامعات، والبيوت وفي البر والبحر والجو وفي كل مكان فالأرض كلُّها لله لا لأحد سواه؛ وقد ألمح النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى

بقوله: (إنَّ للإسلام صِوًى ومنارًا كمنار الطريقِ، منها أن تُؤمنَ بالله ولا تشركَ به شيئًا، وإقامةُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وصومُ رمضانَ، وحجُّ البيتِ، والأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عن المنكر، وأن تُسلِّمَ على أهلِك إذا دخلتَ عليهم، وأن تُسَلِّمَ على القومِ إذا مررتَ بهم، فمن ترك من ذلك شيئًا فقد ترك سهمًا من الإسلامِ، ومن تركهنَّ فقد ولَّى الإسلامَ ظهرَه) [الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ـ الألباني]. والمنارة والصوّة ـ وهي: ما غلُظ من الأرض وارتفع ـ فيهما معنى الظهور. "وقد قيل في المثل: الهجوم خير وسيلة للدفاع". فظهوره هجومه على غيره. واندثاره فيه دفاع ولا هجوم!!.

ـ **إشاعة يُسْره وسماحتِه وسَعتِه.** فقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أحَدٌ إلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وقَارِبُوا، وأَبْشِرُوا، واسْتَعِينُوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ) [أخرجه البخاري]. وعن عائشة رضي الله عنها أنه: (سألَها رَجُلٌ: هل كان رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَرفَعُ صَوتَهُ مِنَ اللَّيلِ إذا قرَأَ؟ قالت: نَعَمْ، رُبَّما رفَعَ، ورُبَّما خفَضَ. **قال: الحَمدُ لِلَّهِ الذي جعَلَ في الدِّينِ سَعةً.** قال: فهل كان يُوتِرُ مِن أوَّلِ اللَّيلِ؟ قالت: نَعَمْ، رُبَّما أوتَرَ مِن أوَّلِ اللَّيلِ، ورُبَّما أوتَرَ مِن آخِرِه. قال: **الحَمدُ لِلَّهِ الذي جعَلَ في الدِّينِ سَعةً)** [أخرجه أحمد في المسند]، فما أحوجنا إلى من يُيسِّر على الناس عِباداتهم فيكون عالما بمواطن الرُّخص ومواطن العزيمة، عالما فقيها يُعطي لكل حالٍ حكمَها وليس هو على طريقة الذين يُريدون سلخ الناس من دينهم؛ **فاليُسر يُسرٌ بما قاله الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.** وفي هذه القصة عِبرة؛ فها هي عائشة رضي الله عنها: **(**قالت يومئذٍ ـ يعني يومَ لعبِ الحبشةِ في المسجدِ ـ ونظرتْ عائشةُ إليهم **لِتعلمَ يهودُ أنَّ في دِيننا فُسحةً** إني أُرسلتُ بحنيفيةٍ سمحةٍ) [أخرجه أحمد] ويُروى مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وقصةُ لعب الحبشة بالحِراب في المسجد معروفةٌ.

ـ **الأخذُ على أيدي المُفسدين.** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ القائِمِ علَى حُدُودِ اللَّهِ والواقِعِ فيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا علَى سَفِينَةٍ، فأصابَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وبَعْضُهُمْ أسْفَلَها، فَكانَ الَّذِينَ في أسْفَلِها إذا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا علَى مَن فَوْقَهُمْ، فقالوا: لو أنَّا خَرَقْنا في نَصِيبِنا خَرْقًا ولَمْ نُؤْذِ مَن فَوْقَنا، فإنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أرادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وإنْ أخَذُوا علَى أيْدِيهِمْ نَجَوْا، ونَجَوْا جَمِيعًا) [أخرجه

البخاري]. فإذا لم يكن في ديننا رادعٌ لأهل الفساد لبغواْ وسعواْ في الأرض فسادا وهلاكاً؛ ولذلك كانت الحدود (كحدِّ الزنا والقذف والسرقة وشرب الخمر وقطاع الطريق والردة) والتعزيرات (التي يراها الإمام لأصحاب المعاصي التي لا حدَّ فيها ولا كفَّارة؛ وقد تصل إلى القتل!!) في الإسلام زواجر وكفارات. ومن الحِكم السائرة بين الناس "مَن أمِن العقوبةَ أساءَ الأدبَ"

ومن السبليات التي تؤثِّر عليه؛ ما يلي:

ـ **ارتكاب الفواحش والمجاهرة بها.** وهذا فيه تهديد لبقاء الدين واستقراره في النفوس؛ بل وفي المجتمعات، فإذا ما كثُر الخبثُ في بلد أو قرية أو مكان ما؛ كان هذا مؤذنُ بهلاكه، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النور] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ أُمَّتي مُعافًى إلَّا المُجاهِرِينَ، وإنَّ مِنَ المُجاهَرَةِ أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وقدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عليه، فَيَقُولَ: يا فُلانُ، عَمِلْتُ البارِحَةَ كَذا وكَذا، وقدْ باتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، ويُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عنْه) [أخرجه البخاري].

والناس إذا ما رأوا الفواحش وألفتْها عيونُهم .. هان عندهم الدينُ ووأصبحوا لا يقدِّرون اللهَ حقَّ قدره؛ فلذلك كان هؤلاء لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة، ولا يستحقون العافية ولا المعافاة.

ـ **اللعب بعقول الجماهير وعقائدهم.** كثيرٌ هؤلاء الذين يلعبون بعقول الجماهير؛ فهذا مُتَكلِّم في الدين وليس من أهله، وهذا مبتدع يدعوا إلى بدعته ليل نهار، وهذا مذيع في برنامج يسخر من الدين وحملته، وهذا لاعبٌ اتخذ عقولَ المسلمين ملاعب يلعب فيها بآرائه وكلامه وأخلاقه.. والغوغاء خلفه مُقلِّدون!!، فلهؤلاء جميعا.. قال رسول صلى الله عليه وسلم: (لَعَنَ اللَّهُ مَن غَيَّرَ مَنَارَ الأرْضِ) [صحيح مسلم] وإذا كان هذا لمن غير حدودَ الأرض ومعالمَها؛ فما بالنا بمن يلعب بعقول الناس أو يُغير عقائدَهم أو يُشككهم فيها، وأقول: (جاء صُبَيْغٌ التَّميميُّ إلى عمرَ بنِ الخطَّابِ فقال: يا أميرَ المؤمنين أخبِرْني عن {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا } قال: هي الرِّياحُ، ولولا أنِّي سمِعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُه ما قلتُه، قال: فأخبِرْني عن {الحَامِلَاتِ وِقْرًا} قال: هي السَّحابُ ولولا أنِّي سمِعتُ رسولَ

اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُه ما قلته، قال: فأخبِرْني عن {فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا } قال: هي الملائكةُ ولولا أنِّي سمِعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُه ما قلته، قال: فأخبِرْني عن {الْجَارِيَاتِ يُسْرًا } قال: هي السُّفنُ ولولا أنِّي سمِعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُه ما قلته، ثمَّ أمر به فضُرِب مائةً وجُعِل في بيتٍ، فلمَّا برَأ دعا به فضربه مائةً أخرَى وحمله على قتَبٍ وكتب إلى أبي موسَى الأشعريِّ: امنعِ النَّاسَ من مجالستِه، فلم يزلْ كذلك حتَّى أتَى أبا موسَى فحلف له بالأيْمانِ المُغلَّظةِ ما يجِدُ في نفسِه ممَّا كان يجِدُ شيئًا، فكتب في ذلك إلى عمرَ، فكتب عمرُ: ما إخالُه إلَّا قد صدق فخَلِّ بينه وبين مجالسةِ النَّاسِ) وهي قصة مشهورة.

أخيراً .. دعاء لإصلاح الدين.

ـ فقد (كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يقولُ: اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي دِينِي الذي هو عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لي دُنْيَايَ الَّتي فِيهَا معاشِي، وَأَصْلِحْ لي آخِرَتي الَّتي فِيهَا معادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لي في كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لي مِن كُلِّ شَرٍّ). [أخرجه مسلم].

ـ و(قلَّما كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقومُ من مجلِسٍ حتى يدعُوَ بهؤلاءِ الدَّعَواتِ لِأَصحابِهِ اللهمَّ اقسِمْ لنا مِنْ خشيَتِكَ ما تحولُ بِهِ بينَنَا وبينَ معاصيكَ، ومِنْ طاعَتِكَ ما تُبَلِّغُنَا بِهِ جنتَكَ، ومِنَ اليقينِ ما تُهَوِّنُ بِهِ علَيْنَا مصائِبَ الدُّنيا، اللهمَّ متِّعْنَا بأسماعِنا، وأبصارِنا، وقوَّتِنا ما أحْيَيْتَنا، واجعلْهُ الوارِثَ مِنَّا، واجعَلْ ثَأْرَنا عَلَى مَنْ ظلَمَنا، وانصرْنا عَلَى مَنْ عادَانا، ولا تَجْعَلِ مُصيبَتَنا في دينِنا، ولَا تَجْعَلْ الدنيا أكبرَ همِّنَا، ولَا مَبْلَغَ عِلْمِنا، ولَا تُسَلِّطْ عَلَيْنا مَنْ لَا يرْحَمُنا) [أخرجه الترمذي في السنن].

ـ وعلى المُسلم أن يسأل البراءةَ ويطلبها لدينه وعرضه؛ فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: (سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: وأَهْوَى النُّعْمانُ بإصْبَعَيْهِ إلى أُذُنَيْهِ، إنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ، وإنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ، وبيْنَهُما مُشْتَبِهاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهاتِ **اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ،** وعِرْضِهِ، ومَن وقَعَ في الشُّبُهاتِ وقَعَ في الحَرامِ، كالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أنْ يَرْتَعَ فِيهِ، ألا

وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألا وإنَّ حِمَى اللهِ مَحارِمُهُ، ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ) [البخاري ومسلم].

ـ وكذلك: (لم يكن رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يدَعُ هؤلاءِ الدَّعواتِ حين يُمسي وحين يُصبح اللهمَّ إني أسألُك العافيةَ في الدنيا والآخرةِ، **اللهمَّ إني أسألك العفوَ والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي،** اللهمَّ استُرْ عوْرتي وآمِنْ رَوْعاتي؛ اللهمَّ احفَظْني من بين يديَّ ومِن خلْفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذُ بعظَمتِك أن أُغتالَ مِن تَحتي) [أخرجه أبو داود].

ـ بل إن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (كان يقول للرجلِ إذا أرادَ سفرا ادْنُ منّي أودّعكَ كما كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يودعُنا فيقول **أستودعُ الله دينكَ،** وأمانتكَ، وخواتيمَ عملكَ) [أخرجه الترمذي].

فاللهم إنا نستودعك ديننَا فأنت خير من يحفظ الودائع،

فلا تجعل اللهم مصيبتنا في ديننا .. اللهم آمين.

ثانياً: النَّفْسُ.

العناصر:

المقدمة.

أولاً: نظرة الإسلام إلى النفس البشرية.

ثانياً: سُبل وِقاية النفس في الشريعة الإسلامية.

ثالثاً: تكريمُ النفس الإنسانية غايةٌ من غايات الإسلام العظيمة.

الخاتمة.

الموضوع

عندما خلق الله عز وجل الإنسان وبين أنه خليفة في الأرض؛ سألتِ الملائكة ربَّها سؤال استفهام عن الحكمة التي من أجلها خلق الله عز وجل هذا الإنسان؛ فقال: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ولبيان عظمة هذا المخلوق وأهميتِه؛ قال العلماء عن معنى هذه الخلافة: «أَنَّهُ خَلِيفَةٌ عَنِ اللَّهِ تَعالى في إقامَةِ شَرْعِهِ، ودَلائِلِ تَوْحِيدِهِ، والحُكْمِ في خَلْقِهِ» وهذا قول ابن مسعود، وقيل: «أَنَّهُ خَلَفُ مَن سَلَفَ في الأرْضِ قَبْلَهُ» وهو قول ابن عباس.

فالنفس البشرية هذه لها مكانة عظيمة جداً؛ إذْ هي مكانة منبثقةٌ من مكانة خالقها، ومنبثقة من شرف العمل المنوط به؛ مِن إقامة شرع الله وإقامة الدلائل على التوحيد، والحكم بين الناس.

فمخلوق هذه مكانته .. لابد من الاهتمام به اهتماما بالغاً؛ ولهذا كان اللقاء؛ من خلال هذه العناصر:

أولاً: نظرة الإسلام إلى النفس البشرية وأهميتها.

تتجلَّى نظرة الإسلام إلى هذه النفس البشرية في صورٍ من أهمها:

1 ـ خلقه الله تعالى بيده. فقد قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾. وقالَ عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ (خلقَ اللَّهُ **أربعةَ أشياءٍ بيدِهِ:** العَرشَ، والقلَمَ، وآدمَ، وجنَّةَ عَدنٍ، ثم قالَ لسائرِ الخلقِ: كُن فَكانَ) [مختصر العلو للذهبي].

2 ـ ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾. شرَّف الله هذه النفس الإنسانيةَ وأضافَ مادَّةَ حياتِها إلى نفسه؛ إضافةَ تشريفٍ .. كما أضاف المساجدَ إليه وكما أضاف ناقةَ صالح إليه، وكذلك غيرها من المُضافات، فليس المقصود من تلك الإضافة أنها جزءٌ من الله تعالى.

3 ـ جعل الله تعالى خلْقه في أحسن تقويم، ووهبه عقلاً؛ فضَّله به على سائر المخلوقات. ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين].

4 ـ وأرسل إليه رُسلَه وأنزل عليهم كتبَه هدايةً له وإرشادا، وسخر له البر والبحر والسماء والأرض والحيوانات. والأدلة على ذلك واضحات بيِّنات.

5 ـ الله تعالى في تشريعاته: (يُريد به اليُسرَ لا العُسرَ)، (يُريد أن يتوبَ عليه)، (ما جعل عليه في الدين من حرج)، (يُخفف عنه .. لأنه ضعيف) (لا حاجة له في عذابه إن شكر وآمن .. فهو البرُّ الرحيم).

6 ـ نفسُ الإنسان ليستْ مِلكاً له .. وإنما لخالقها وباريها. فقد يظنُّ الإنسان بجهله أو بطغيانه المادي أنه يملك نفسه التي بين جنبيه فيفعل فيها ما يشاء دون رقيب أو حسيب .. لا. فليس هذا له. فإن الذي خلقها .. ملكها، وليس للموهوبة له أن يتصرف فيها إلا بما أراده خالقها فقط. فق قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَن تَرَدَّى مِن جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهو في نَارِ جَهَنَّمَ

يَتَرَدَّى فيه خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَن تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ في يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَن قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ في يَدِهِ يَجَأُ بِهَا في بَطْنِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا) [أخرجه البخاري]. وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ﴾ [البقرة]، وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء] فليس للإنسان أن يتصرف في نفسه كيف شاء.

بل الأعجب من ذلك؛ أنه قد ورد **النهي عن المبيت على سطح ليس عليه جدران** تحمي صاحبها حال النوم: (مَن نام على إجَّارٍ ليس عليه ما يَدفَعُ قَدمَيه فخَرَّ، فقد بَرِئتْ منه الذِّمَّةُ، ومَن رَكِبَ البَحرَ إذا ارتَجَّ، فقد بَرِئتْ منه الذِّمَّةُ) [أخرجه أحمد]. وكذلك جاء **النهي عن السفر ليلا منفردا**؛ خشية الضرر الذي قد يلحق نفسَه؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ ما في الوَحْدَةِ ما أعْلَمُ، ما سارَ راكِبٌ بلَيْلٍ وحْدَهُ) [أخرجه البخاري].

وإذا أردنا أن نُوسِّعَ دائرةَ هذا المنهيات عن طريق القياس الشرعي؛ فسائقوا السيارات والمركبات عموما إذا ما تجاوزوا المُعتاد من السرعة على الطرقات، ومَن يُمارسون الطب وليسوا من أهله فيؤذون الناس، ومَن يركبون البحر مُعرضين أنفسهم للهلاك؛ وغيرها صورٌ كثيرةٌ داخلةٌ في هذا المعنى.

ثانياً: سُبل وِقاية النفس في الشريعة الإسلامية.

تعدَّدتْ سُبُل الوقاية للنفس الإنسانية؛ فمثلاً:

1 ـ تحريمُ منْعها من مُتطلبات الحياة والجسد: فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما علِم عن شخصٍ أنَّه: «نَذَرَ أنْ يَقُومَ ولَا يَقْعُدَ، ولَا يَسْتَظِلَّ، ولَا يَتَكَلَّمَ، ويَصُومَ»؛ فقال عليه السلام: (مُرْهُ: فَلْيَتَكَلَّمْ ولْيَسْتَظِلَّ ولْيَقْعُدْ، ولْيُتِمَّ صَوْمَهُ) [أخرجه البخاري]. وفي حديث الثلاثة الذي سألوا عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلمَّا أخبروا كأنهم تقالُّوها: (جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أزْوَاجِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقالوا: وأَيْنَ

نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؟! قدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قالَ أحَدُهُمْ: أمَّا أنَا فإنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أبَدًا، وقالَ آخَرُ: أنَا أصُومُ الدَّهْرَ ولَا أُفْطِرُ، وقالَ آخَرُ: أنَا أعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أتَزَوَّجُ أبَدًا، فَجَاءَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إليهِم، فَقالَ: أنْتُمُ الَّذِينَ قُلتُمْ كَذَا وكَذَا؟! أَمَا واللَّهِ إنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وأَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وأَرْقُدُ، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي) [أخرجه البخاري]. ويُوضِّح هذا المعنى هذه القصة التي حدثتْ بين صحابيين؛ فقد: (آخَى النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بيْنَ سَلْمانَ، وأَبِي الدَّرْداءِ، فَزارَ سَلْمانُ أبا الدَّرْداءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْداءِ مُتَبَذِّلَةً، فقالَ لَها: ما شَأْنُكِ؟ قالَتْ: أخُوكَ أبُوالدَّرْداءِ ليسَ له حاجَةٌ في الدُّنْيا، فَجاءَ أبُوالدَّرْداءِ، فَصَنَعَ له طَعامًا، فقالَ: كُلْ فإنِّي صائِمٌ، قالَ: ما أنا بآكِلٍ حتَّى تَأْكُلَ، فأكَلَ، فَلَمَّا كانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أبُوالدَّرْداءِ يَقُومُ، فقالَ: نَمْ، فَنامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فقالَ: نَمْ، فَلَمَّا كانَ آخِرُ اللَّيْلِ، قالَ سَلْمانُ: قُمِ الآنَ، قالَ: فَصَلَّيا، فقالَ له سَلْمانُ: **إنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فأعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ**، فأتَى النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَذَكَرَ ذلكَ له، فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: **صَدَقَ سَلْمانُ**) [أخرجها البخاري]. فالنوم والشرب والأكل والزواج، والاستظلال في الفيء، والقعود، والكلام، .. من لوازم الجسد فلا يُطغى عليه بمنعه إيّاها.

2 ـ تحريم التعدِّي عليها ولو بالقليل. وهذا التعدِّي له صور؛ منها:

ـ ارتكاب المحرمات والمنهيات التي أمرنا باجتنابها: مثل (المُسْكرات، والمخدِّرات، والتدخين، وتناول الميتات، والشذوذ الجنسي، والزنا، والسَّمَرُ بعد العشاء، ..) وغيرها من الأمور التي ثبت ضررها للبدن. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أولَ ما يُسألُ عنه يومَ القيامةِ ـ يعني العبدَ ـ من النعيمِ أن يُقالَ له ألم نُصِحَّ لك جسمك ونُرويك من الماءِ البارِدِ) [أخرجه الترمذي].

ـ التعدِّي على دمه أو إزهاق روحه. فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ في فُسْحَةٍ مِن دِينِهِ، ما لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا) [أخرجه البخاري]. وقال أيضا: (بحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ. كُلُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ حَرامٌ؛ دَمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ) [أخرجه مسلم]. وقال في خطبة الوداع: (إنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ علَيْكُم، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذ)

[أخرجه مسلم]. وقال أيضاً: (أَوَّلُ ما يُقْضَى بيْنَ النَّاسِ بالدِّماءِ) [أخرجه البخاري]. وقال كذلك: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ وما هُنَّ؟ قالَ: ...، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بالحَقِّ ..) [أخرجه البخاري]، بل إن الناظر في كلام الله عز وجل يجد هذه الآيةَ في سياق قصَّةِ ابني آدم وما فيها من عِبر: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾.

ـ **التعدِّي على أي جزء من بدنه.** فقد أهدر النبي صلى الله عليه وسلم ديَة ثنيَّتيْن وقعتا نتيجة عضَّةٍ وقعت باعتداء؛ فقد جاء: (أنَّ رَجُلًا عَضَّ يَدَ رَجُلٍ، فَنَزَعَ يَدَهُ مِن فَمِهِ، فَوَقَعَتْ ثَنِيَّتَاهُ، فَاخْتَصَمُوا إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: يَعَضُّ أحَدُكُمْ أخَاهُ كما يَعَضُّ الفَحْلُ؟ لا دِيَةَ لَكَ) [أخرجه البخاري].

ـ **ترويعُه بأيِّ شيء ولو قليلاً:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحِلُّ لمسلمٍ أن يُروِّعَ مسلمًا) [أخرجه أبو داود].

ـ **عدم ظلمها بأي نوع من أنواع الظلم.** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألَا مَن ظلَم مُعاهَدًا أو انتقَصه أو كلَّفه فوق طاقتِهِ أو أخَذ منه شيئًا بغَيرِ طِيبِ نَفْسٍ، فأنا حَجيجُهُ يومَ القِيامةِ) [أخرجه أبو داود]. وإذا كان هذا في المُعاهَد، فما بالنا بالنفس المُسلمة والأخوة الإيمانية وظلمها.

ثالثاً: تكريم النفس الإنسانية غاية من غايات الإسلام العظيمة.

وقد جاء تكريمها من وُجوه عِدَّة:

1 ـ لكونها نفسٌ: فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء]. وما سبق ذكره في العنصر الأول هي صور لهذا التكريم. وكذلك قد وقف النبي صلى الله عليه وسلم لِجنازة مرَّتْ فقيل له إنها جنازة يهودي؛ وتبعه على ذلك صحابيان جليلان، فقد: (كانَ سَهْلُ بنُ حُنَيْفٍ، وقَيْسُ بنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ

بالقَادِسِيَّةِ، فَمَرُّوا عليهما بجَنَازَةٍ، فَقَامَا، فقِيلَ لهما إنَّهَا مِن أَهْلِ الأرْضِ أَيْ مِن أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقالَا: إنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَرَّتْ به جِنَازَةٌ فَقَامَ، فقِيلَ له: إنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، **فَقالَ: أَليسَتْ نَفْسًا)** [أخرجه البخاري].

2 ـ ربْطُها بالسماء لا بالأرض. فلم يرض لها عُبوديةَ الكائنات؛ لا نبياً ولا مَلِكاً ولا عظيما ولا حيوانا ولا حجرا ولا شجراً، ولكنه أراد منها الإسلامَ دينا، وأراد منها التألُّهَ لخالقها لا لغيره. وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: (يا عِبادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلَّا مَن هَدَيْتُهُ، **فَاسْتَهْدُونِي** أَهْدِكُمْ، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ، **فَاسْتَطْعِمُونِي** أُطْعِمْكُمْ، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إلَّا مَن كَسَوْتُهُ، **فَاسْتَكْسُونِي** أَكْسُكُمْ، يا عِبَادِي، إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، **فَاسْتَغْفِرُونِي** أَغْفِرْ لَكُمْ) [أخرجه مسلم]. وهذه وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمّه: (أنه ركِبَ خلفَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يومًا فقال له رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : **يا غلامُ إني مُعَلِّمُكَ كلماتٍ احفظِ اللهَ يَحفظْكَ احفظِ اللهَ تجدْهُ تُجاهَكَ وإذا سألتَ فلتسألِ اللهَ وإذا استعنتَ فاستعنْ باللهِ واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبهُ اللهُ لك ولو اجتمعوا على أن يَضروك لم يَضروك إلا بشيٍء قد كتبهُ اللهُ عليك** رُفعتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ) [أخرجه أحمد في المسند].

3 ـ تشريعاتُ الإسلام للحفاظ عليها (دُنيا وأخرى). فقد قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم]، وقال: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾ [العنكبوت]، ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء] وهذا عهدٌ في شرائع النبيين قبل نبينا عليهم جميعا الصلاة والسلام: ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ٣٨ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ﴾ [النجم].

4 ـ أخلاق الإسلام .. ترفعها من دركات البهيمية إلى درجات الإنسانية. فها هو الحياء يسموا بها سموا لا يُساويها فيه خلق آخر، وهذا العدل، وذاك الكرم والسخاء، وهذا جلب الخير للغير، وهذه العِزةُ والأنفة في غير كِبر، وهذا إنصاف المظلوم والاقتصاص من الظالم، وهذه عفة المطعم والمنكح، .. وسِلسلة كبيرةِ من الأخلاق تنفض عن هذه النفس غبار الدنيا وترابها وتعرج بها مِعراجَ الطُّهر والشرف.

وإن أردتَّ أن تعلم هذا الأمر ـ أعني أمر الأخلاق ـ فانظر إلى ما عند الآخرين ممّن لم يدينوا بالإسلام .. وقد صدق القائل «وبضدِّها تتميز الأشياء».

(اللهم زكِّ نفوسنا أنت خير من زكّاها .. طهرْها أنت خير من طهرها)

والحمد لله رب العالمين

ثالثاً: النَّسْلُ (والعِرض)

المقدمة.

أولاً: نظرة الإسلام إلى النَّسْلُ.

ثانياً: سُبل وِقاية النَّسْلُ في الشريعة الإسلامية.

ثالثاً: تكثير النَّسل غاية من غايات الإسلام العظيمة.

الخاتمة.

(الموضوع)

من الضروريات التي حافظتْ عليها الشرائع محافظةً كبيرةً؛ "ضرورة النسل". ذلك لأن النسل هو الذي يُشكِّل الأمة في مُستقبلها وحاضرها.

أولاً: نظرة الإسلام إلى النَّسْلُ.

من ينظر في نصوص الوحي الشريف يجد قضيةَ الأبناء وصلاحَ أحوالهم قد شغلتْ أذهان الكثيرين من الأنبياء والصالحين وتابعيهم إلى يوم الدين؛ فمثلاً:

- نوحٌ عليه السلام وولده والحوار الذي دار بينهما وما فيه من الدلالات.
- إبراهيم عليه السلام والمبارَكون من نسله؛ فها هو يطلب من الله تعالى أن تكون الإمامة الدينية في ذريته فقد قال الله تعالى عن ذلك: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة]. ويطلب من الله تعالى الوهَّاب غلاما من الصالحين: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات]، ويكون هذا الغلام الصالح موصوفاً بـ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾

[مريم]، ويأتي حفيدُه من بعده يعقوبُ عليه السلام في وصيته لأبنائه: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِىۖ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾. وتكون قضيةُ النُّصح والتوجيه بالموقع الرفيع في هذا النسل المُبارك؛ فيعقوب عليه السلام لما علِمَ أبناؤه منه اهتمامَه بالنصيحة قدموها له على الحفظ في قصتهم مع أخيهم يوسف: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا **لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ** ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف] ويأتي حفيدُهم موسى عليه السلام وكذلك أمْرُ النصيحة عند أهله مهمٌّ: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ **لَهُۥ نَٰصِحُونَ**﴾ [القصص].

- وهذا زكريا عليه السلام ودعاؤه بالذرية الطيبة.
- وذاك لقمان الحكيم ونصائحه العتيقةُ لولده.
- وتلك الخشية المفطور عليها الآباء تجاه أبنائهم إذا ما تركوهم ضعافاً؛ وعلاجها: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء].
- وتلك وسيلة من الوسائل التي تُتيح للوالد الثوابَ الواصل له بعد موته إذا ما كان ولدُه صالحا؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ **وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له)** [أخرجه مسلم].

وغير ذلك من الأخبار والآثار التي يظهر منها أهمية الأولاد في الإسلام.

ثانياً: سُبل وِقاية النَّسْلِ في الشريعة الإسلامية. تعددتْ سُبل وقاية الإسلام للنسل؛ ومنها هذه السُّبُل:

1 ـ الزواج. فخُرُوج هذا النَّسل إلى هذه الحياة معلومَ النِّسبة (هذا أبوه وهذه أمُّه)؛ هو أُولى أساسيات الحِفاظ عليه، إذ كيف يمشي ويدبُّ برجليْه الأرض رافعاً رأسه إلى السماء ولم يَعلم من أي

ماءٍ تخلَّق أو من أي رحمٍ دُفع!! وانظر إلى هذا الترتيب في تلك الآية: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل]

2 ـ تحريم الزنا والطعن في الإنساب. وتحريمه معروف مشهور لا يخفى؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أيُّما امرأةٍ **أدخلتْ على قومٍ من ليسَ منهم،** فليست منَ اللَّهِ في شيءٍ، ولن يُدْخِلَها اللَّهُ جنَّتَهُ، **وأيُّما رجلٍ جحدَ ولدَهُ،** وَهوَ ينظرُ إليهِ، احتجبَ اللَّهُ عنه، وفضحَهُ على رؤوسِ الأوَّلينَ والآخرينَ) [أخرجه أبو داود] وقال أيضاً: (مَنِ ادَّعَى إلى غيرِ أَبِيهِ، وَهو يَعْلَمُ أنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ، فَالْجَنَّةُ عليه حَرَامٌ) [أخرجه البخاري] وهذا ابن عباس رضي الله عنهما يقول: (خِلالٌ مِن خِلالِ الجاهليَّةِ: الطَّعْنُ في الأنسابِ والنِّياحةُ. ونَسِيَ الثَّالثةَ، قال سُفيانُ: ويَقولونَ: إنَّها الاسْتِسقاءُ بالأنْواءِ) [أخرجه البخاري].

ويدخل في ذلك؛ تحريم التبنِّي، فقد قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ﴾ [الأحزاب]؛ إذْ كيف يُدعي ولدٌ لغير أبيه؟!.

3 ـ تحريم قتلها أو التعدي عليها بأي نوع من أنواع التعدِّي ولأيِّ سبب. وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء] وقد ذكرتِ الآيةُ السببَ المشهورَ ساعتَها؛ وإلا فخشية الفقر = خشية العار أو الابتلاء بهم أو خشية تحمُّل المسؤلية .. وغيره، فلا يجوز لأي سبب أن يُقتل هذا النسل. بل وكانت من بنود بيعة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة]

وانظر كذلك إلى هذا جنينٌ اعتُدي عليه؛ فيقضي فيه النبي صلى الله عليه وسلم قضاءً؛ إذْ: (اقْتَتَلَتِ امْرَأَتانِ مِن هُذَيْلٍ، فَرَمَتْ إحْداهُما الأُخْرَى بحَجَرٍ فَقَتَلَتْها وما في بَطْنِها، فاخْتَصَمُوا إلى النبيِّ

صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقَضَى **أَنَّ دِيَةَ جَنِينِها غُرَّةٌ، عَبْدٌ أَوْ وَلِيدَةٌ،** وقَضَى أَنَّ دِيَةَ المَرْأَةِ علَى عاقِلَتِها) [أخرجه البخاري].

ويأتي في سياق هذا الموضع أمْرٌ قد شاع وانتشر ألا وهو **الإجهاض** الذي هو التخلص من هذا النسل قبل أن يخرج إلى هذه الحياة مغادراً تلك البقعة التي لفظتْه فلم ترض به!! وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير]

وهذا **الصيامُ الذي هو أحد مبان الإسلام العِظام؛** يُرخَّص فيه للمرأة حاملاً كانت أو مُرضِعةً أن لا تصوم وتفطر؛ حتى تتقوى، فلا يتأثر هذا النسل ضعفاً أو نمُواً.

4 ـ تكليف الآباء برعاية هذا النَّسل. فقد قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**كُلُّكُمْ** رَاعٍ، وَ**كُلُّكُمْ** مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، **وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا،** ..) [أخرجه البخاري] وأُولى هذه الرعاية النُّصح والإرشاد؛ فلا تقتصر فقط على الطعام والشراب وحاجات الجسد، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ) [أخرجه البخاري]، وإنْ بَخِل الرجلُ بأمواله على بنيه كان للزوجة أن تأخذ من ماله دون علمه شريطة أن يكون الأخذ بالمعروف؛ فهذه هند رضي الله عنها تقول: (يا رَسولَ اللَّهِ إنَّ أبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ وليسَ يُعْطِينِي ما يَكْفِينِي ووَلَدِي، إلَّا ما أَخَذْتُ منه وهو لا يَعْلَمُ، فَقالَ: خُذِي ما يَكْفِيكِ ووَلَدَكِ، بالمَعروفِ) [أخرجه البخاري].

والنفقة على الأولاد من أُولى واجابات الرعاية لهم على والديهم؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه: (أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ ما تَرَكَ غِنًى، واليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وابْدَأْ بمَن تَعُولُ. تَقُولُ المَرْأَةُ: إمَّا أنْ تُطْعِمَنِي، وإمَّا أنْ تُطَلِّقَنِي، ويقولُ العَبْدُ: أطْعِمْنِي واسْتَعْمِلْنِي، ويقولُ الِابنُ: أطْعِمْنِي، إلى مَن تَدَعُنِي؟! فَقالوا: يا أبَا هُرَيْرَةَ، سَمِعْتَ هذا مِن رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؟ قالَ: لَا، هذا مِن كِيسِ أبِي هُرَيْرَةَ) [أخرجه البخاري]، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة.

وقد جاء عن سفيان الثوري؛ قولُه: «عليك بعمل الأبطال: الكسب من الحلال، والإنفاق على العيال» فإذا كان أمرُ المال ـ اكتساباً أو جمعاً؛ والذي يُعدُّ عصب الحياة ـ قد أُوكِل إلى الرجال بطبيعة الحال؛ فغادروا البيوتَ لأجله فتغربوا وارتحلوا وسافروا وتركوا أولادَهم وفلذاتِ أكبادهم في أيدي نسائهم .. هنا نقول: (وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا) فاسْتشعْرن أيتها النسوة تلك المسؤولية؛ التي لا يجوز معها الاشتغال (بالمُلهيات، ولا بالشاشات، ولا بالموضات، ولا بالفيديوهات، ولا بوسائل التواصل ـ بل التقاطع ـ الاجتماعي...) ألا فليتقين اللهَ تعالى فإنهن مسؤولات هل حفظنْ أم ضيعنْ؟.

فرعاية هذا النسل: ديناً، وعقلاً، وصحةً، ومَسكناً، وتعليماً.. وهكذا كل متطلبات الحياة الضرورية بقدر الوسع الذي قال الله تعالى عنه: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق] كلٌّ هذا واجب لهم على من يرعاهم.

ثالثاً: تكثير النَّسل غاية من غايات الإسلام العظيمة.

قد امتنَّ الله تعالى على قوم بقوله: ﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف] وعلى آخرين فقال: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء].

(جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ، فقالَ: إنِّي أصَبتُ امرأةً ذاتَ حسبٍ وجمالٍ، وإنَّها لا تلِدُ، أفأتزوَّجُها، قالَ: لا ثمَّ أتاهُ الثَّانيةَ فنَهاهُ، ثمَّ أتاهُ الثَّالثةَ، فقالَ: تزوَّجوا الوَدودَ الولودَ فإنِّي مُكاثرٌ بِكُمُ الأُممَ) [أخرجه أبو داود].

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه أنس بقوله: (اللَّهُمَّ أكْثِرْ مَالَهُ، ووَلَدَهُ، وبَارِكْ له فِيما أعْطَيْتَهُ) [أخرجه البخاري]؛ وفي بعض الروايات عند البخاري: (فَما تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ ولَا دُنْيَا إلَّا دَعَا

لي به؛ قالَ: **اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا ووَلَدًا، وبَارِكْ له فِيهِ.** فإنِّي لَمِنْ أكْثَرِ الأنْصَارِ مَالًا، **وحَدَّثَتْنِي ابْنَتي أُمَيْنَةُ: أنَّه دُفِنَ لِصُلْبِي مَقْدَمَ حَجَّاجٍ البَصْرَةَ بِضْعٌ وعِشْرُونَ ومِئَةٌ)** وهذا العدد من صُلبه..!!

فلو كانت كثرةُ الولد شقاءً أو فقراً ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم أن يدعوا له بها.

الخاتمة .. وفيها:

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان] ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝٤٠ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم] ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران].

وقد قال شوقي: **ياربِّ، <u>فكَثِّرْنا عدَدا</u> ... وابذُل لأُبوَّتِنا المَدَدا**

هَيِّئْ لهمُ ولنا رَشَدا ... ياربِّ، وخُذ بِيَد الوطن

والحمد لله رب العالمين

رابعاً: الْمَالُ

العناصر:

مُقدِّمة

أولاً: أهمية المال في حياة المُسلمين.

ثانياً: وسائل وضوابط في تحصيل المال الحلال.

ثالثاً: تشريعات لحفظ الأموال.

الخاتمة.

(الموضوع)

مُقدِّمة:

من القواعد الفقهية المقررة: (الوسائل لها أحكام المقاصد)؛ والمالُ وسيلةٌ من تلك الوسائل، التي تأخذ حُكم مقصدها، فمَن قصد بماله وجهَ الله تعالى، والدارَ الآخرة، والتقوِّيَ على العبادة، وفعل الخيرات والتقليلَ من المنكرات ..، فهذا الشخص ليس كمَن نوى بماله ضِدَّ ذلك، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّما الدُّنيا لأربعةِ نفرٍ عبدٍ رزقه اللهُ مالًا وعلمًا فهو يتَّقي فيه ربَّه ويصِلُ فيه رحِمَه ويعلمُ للهِ فيه حقًّا فهذا بأفضلِ المنازلِ، وعبدٍ رزقه اللهُ علمًا ولم يرزقْه مالًا فهو صادقُ النِّيَّةِ يقولُ لو أنَّ لي مالًا لعمِلتُ بعملِ فلانٍ فهو بنيَّتِه فأجرُهما سواءٌ، وعبدٍ رزقه اللهُ مالًا ولم يرزقْه علمًا يخبِطُ في مالِه بغيرِ علمٍ ولا يتَّقي فيه ربَّه ولا يصِلُ فيه رحِمَه ولا يعلمُ للهِ فيه حقًّا فهذا بأخبثِ المنازلِ، وعبدٍ لم يرزقْه اللهُ مالًا ولا علمًا فهو يقولُ لو أنَّ لي مالًا لعملتُ فيه بعملِ فلانٍ فهو بنيَّتِه فوِزرُهما سواءٌ) [أخرجه الترمذي وأحمد]. فالمقصود من من هذا الحديث: المُترتِّبُ على هذا المال وليس المال نفسه؛ فتحصيل أفضل المنزل بالمال والنية والأعمال الصالحة وتقوى الله تعالى كذلك.

لأجل هذا كان للمال في حياة المسلمين مكانةٌ .. وأيُّ مكانة!!. وهذا ما سوف يظهر إن شاء الله تعالى في ثنايا هذا الموضوع؛ من خلال النقاط التالية.

أولاً: أهمية المال في حياة المُسلمين.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء]؛ فقد جعل الله عز وجل المال في هذه الآية (قِوامَ الحياة). وقد سمَّاه الله تعالى في القرآن الكريم (الخير)؛ فقال جلَّ ذِكْره: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ ﴾ [البقرة]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات] والخير في كلا الآيتين هو المال. ولا يخفى ما تحمله هذه التسمية من معانٍ.

ومن أشرف المقامات: أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ وهو علَى المِنْبَرِ، وذَكَرَ الصَّدَقَةَ، والتَّعَفُّفَ، والمَسْأَلَةَ: (اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وابْدَأْ بمَن تَعُولُ، وخَيْرُ الصَّدَقَةِ عن ظَهْرِ غِنًى، ومَن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، ومَن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ) [أخرجه البخاري] ومعلوم أن اليد العليا .. المُعطيَةُ، والسفلى .. السائلةُ.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في جواب سؤال: (إنَّ هذا المالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فمَن أخَذَهُ بحَقِّهِ، ووَضَعَهُ في حَقِّهِ، **فَنِعْمَ المَعُونَةُ** هُوَ- وفي رواية: فَنِعْمَ **صَاحِبُ المُسْلِمِ** -، ومَن أخَذَهُ بغيرِ حَقِّهِ، كانَ كالَّذِي يَأْكُلُ ولا يَشْبَعُ) [صحيح مسلم] وفي رواية عند البخاري (وإنَّه مَن يَأْخُذُهُ بغيرِ حَقِّهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ ولَا يَشْبَعُ، ويَكونُ شَهِيدًا عليه يَومَ القِيَامَةِ).

وانظروا إلى هذه المنقبة؛ والتي لها سببان مذكوران في آنٍ والحد؛ قول النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر رضي الله عنه: (إنَّ مِن أمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ في **صُحْبَتِهِ ومالِهِ** أبا بَكْرٍ، ولو كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِن أُمَّتي لاتَّخَذْتُ أبا بَكْرٍ، إلَّا خُلَّةَ الإسْلامِ، لا يَبْقَيَنَّ في المَسْجِدِ خَوْخَةٌ إلَّا خَوْخَةُ أبِي بَكْرٍ) [أخرجه البخاري]، والمقصود بـ (أَمَنّ) ليس هو المِنَّة التي تُبطل ثواب العمل وإنما سماحة نفسه بماله لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

ويخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس من أصحابه: (وعلَى رأسِهِ أثَرُ ماءٍ، فقالَ لَهُ بَعضُهم: نراكَ اليومَ طيِّبَ النَّفسِ، فقالَ: أجَلْ والحمدُ للَّهِ **ثمَّ أفاضَ القومُ في ذِكْرِ الغِنى،** فقالَ: لا بأسَ بالغِنَى لمنِ اتَّقى، والصِّحَّةُ لمنِ اتَّقى خيرٌ منَ الغِنَى، وطيبُ النَّفسِ منَ النَّعيمِ) [أخرجه ابن ماجة في سننه].

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك ـ أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك عندما نزلت توبتهم ـ: وقد قال كعبٌ رضي الله عنه (إنَّ مِن تَوْبَتي أنْ أنْخَلِعَ مِن مَالِي صَدَقَةً إلى اللَّهِ وإلَى رَسولِ اللَّهِ، قَالَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ؛ فَهو خَيْرٌ لَكَ) [أخرجه البخاري] وقد جاء في شرحه لابن دقيق العيد: «فيه دليل على أن إمساكَ ما يحتاجُ إليه من المال أولى من إخراج كله في الصدقة».

فالمال وسيلة في حياة المُسلم لا يستطيع الاستغناء عنها، إذْ هو وسيلةٌ إلى: (ستر العورات لأداء الصلوات)، (إحصان النفس وعفّتها بالزواج)، (الحج والعمرة)، (الزكوات والصدقات)، (عِزَّة النفس وترفُّعها عن ذُلِّ السؤال)، (الصدقة الجارية)، (إفاضة المال على الإخوان، وإطعام الطعام، وتفريج الكربات، ..).

والمال وسيلة للمجتمع المُسلم في تحقيق عِزَّته ورِفعة شأنه بين الأمم؛ ففروض الكفايات وقبلها فروض الأعيان لن تكون بالصورة المرجوة إلا إذا كانت الأمَّةُ مُستغنيةً بهذا المال عن الأمم الأخرى؛ وهذا كله بعد إيمانها بالله عز وجل وتمسُّكها بعقيدتها وشريعتها.

وقد قال لقمان الحكيم لولده: «يا بُنَيَّ، اِستَغنِ بِالكَسبِ الحَلالِ عَنِ الفَقرِ، **فَإِنَّهُ ما افتَقَرَ أحَدٌ قَطُّ إلاّ أصابَهُ ثَلاثُ خِصالٍ: رِقَّةٌ في دينِهِ، وضَعفٌ في عَقلِهِ، وذَهابُ مُروءَتِهِ**، وأعظَمُ مِن هذِهِ الثَّلاثِ: **اِستِخفافُ النّاسِ بِهِ**» إحياء علوم الدين.

ثانياً: وسائل وضوابط تحصيل المال الحلال.

من وسائل تحصيل المال الحلال:

1 ـ الدعاء: فقد دعا النبيُّ صلى الله عليه وسلم بهذه الدعوات لأنس بن مالك رضي الله عنه: (قالَ: اللَّهُمَّ **أكْثِرْ مَالَهُ**، ووَلَدَهُ، وبَارِكْ له فِيما أعْطَيْتَهُ) [أخرجه البخاري] فالعبرة بكثرة المال مع البركة؛ لا بالكثرة فقط!. وقد قال الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ **وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ**﴾ [المائدة] ودعا أبو الأنبياء لذريته عند البيت الحرام قبله فقال: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ **وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** ﴾ [إبراهيم].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو: (اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى. وفي روايةٍ: وَالْعِفَّةَ) [أخرجه مُسلم]. فالغنى من أكبر أسباب الاستغناء عن الخلق.

وقد علَّم عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه دعاءً لمُكاتَبٍ عجز عن أداء ما يفكُّ به رقبتَه من ذُلِّ العبودية؛ وقد علمها إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلُ، فقال له قل: (اللَّهمَّ اكفني بِحلالِكَ عن حرامِكَ، وأغنِني بِفَضلِكَ عَمن سواكَ) [أخرجه الترمذي وأحمد].

وقد أرشدنا الله تعالى في كتابه أن نسأله من فضله؛ فقال الله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء] ومن الأدعية الجامعة في هذا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة]. فمن ضاقت به الأحوال والأمور عليه أن يلجأ إلى مَن خزائنُ جوده وكرمه لا تنفد.

2 ـ الأخذ بالأسباب: فقد قال الله جلَّ ذِكره ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ **فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ** وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة] وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا **فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا** وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك] وقد قال رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: (والذي نَفْسِي بيَدِهِ، لَأَنْ يَأْخُذَ أحَدُكُمْ حَبْلَه، فيَحْتَطِبَ علَى ظَهْرِهِ؛ خَيْرٌ له مِن أنْ يَأْتيَ رَجُلًا، فيَسْأَلَه، أعْطاهُ أوْ مَنَعَه) [أخرجه البخاري]، فلأن تجمع حطباً على ظهرك فتبيعَهُ فتغْنَمَ مِنْه ربحاً ولو قليلاً؛ خيرٌ لك من عطاءٍ يكون بذلِّ السؤال!!.

وهذا نبي الله داود عليه السلام؛ يقول عنه النبي محمد صلى الله عليه وسلم: (**ما أَكَلَ أَحَدٌ طَعامًا قَطُّ، خَيْرًا مِن أنْ يَأْكُلَ مِن عَمَلِ يَدِهِ، وإنَّ نَبِيَّ اللَّهِ داوُدَ عليه السَّلامُ، كانَ يَأْكُلُ مِن عَمَلِ يَدِهِ**) [أخرجه البخاري]؛ فكان ملِكاً ونبياً ومع ذلك لم يتَّكل على مُلكه أو نبوَّته بل كان يأكل من عمل يده، وليس هذا فحسب إذْ كان عمله في الحديد؛ وقد آلانه الله تعالى له.

فهناك أبواب كثيرة للعمل: إمَّا (بالأموال، أو بالأبدان، أو بالعقول)؛ وما عليك إلا أن تطرقَها سائلاً الله من فضله مُعْتمدا ومتوكلاً عليه، مُستحضراً في ذِهنك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لو أنكم تتوكّلونَ على اللهِ حقَّ توكلهِ، لرزقكُم كما يرزقُ الطيرُ، تغدُو خماصًا، وتروحُ بطانا) [أخرجه الترمذي وأحمد].

ومن **الضوابط المهمَّة** في تحصيل هذا المال الحلال:

1 ـ **المالُ .. مالُ اللهِ تعالى ونحنُ مستخلفون فيه.** قال الله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الحديد]

فاستحضار هذا المعنى في نفس المُسلم سيجعله في الحياة الاقتصادية مُنطلِقاً من مُراقبة الله عز وجل له، ممتثلاً للأوامِر منتهياً عن النواهيي؛ فهذا شأن المُستخلَف الذي معه المال؛ فكما يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: «هُوَ مَعَكُمْ **عَلَى سَبِيلِ الْعَارِيَةِ** .. فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ سَيَكُونُ مُخَلَّفًا عَنْكَ، فَلَعَلَّ وَارِثَكَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فِيهِ، فَيَكُونَ أَسْعَدَ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ مِنْكَ، أَوْ يَعْصِيَ اللَّهَ فِيهِ فَتَكُونَ قَدْ سَعَيْتَ فِي مُعَاوَنَتِهِ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ». فقد ترك المالُ غيرَك وأتى إليك، وعمَّا قريبٍ سيتركك إلى غيرك.

2 ـ **لا بد من سخاء النفس.** وقد قال حكيم بن حزام رضي الله عنه: (سَأَلْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فأعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فأعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فأعْطَانِي، ثُمَّ قالَ: يا حَكِيمُ، إنَّ هذا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فمَن أَخَذَهُ بسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ له فِيهِ، ومَن أَخَذَهُ بإشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ له فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ ولَا يَشْبَعُ ..) [أخرجه البخاري] فلابد من هذا السخاء؛ فـ« إنَّ مَن أَخَذ المالَ الذي يُبذَلُ له بغَيرِ

إلْحاحٍ في السُّؤالِ، ولا طَمَعٍ ولا حِرْصٍ، ولا إكراهٍ أو إحراجٍ للمُعطِي؛ كَثُر ونَمَا، وكان رِزْقًا حَلالًا يَشْعُر بِلَذَّتِه» ومن كان في أخذه مُستشرِفاً لم يُبارَك له فيه، ومِثلُه كمِثل من يأكل ولا يشبع.

3 ـ **الأخوَّة مُقدَّمة على المال.** وهذا أساس ركِين من أسس التعامل المادِّي في حياة المُسلمين؛ فلا يُقدِّم المُسْلِمُ حبَّ المال على أخيه؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(لا تَحاسَدُوا، ولا تَناجَشُوا**، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، **ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ علَى بَيْعِ بَعْضٍ**، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا. المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هاهُنا. ويُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. بحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ. كُلُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ حَرامٌ؛ دَمُهُ، **ومالُهُ**، وعِرْضُهُ**)** [أخرجه مسلم].

فالحسد: من دوافعه المال الموجود عند المحسود، **والنَّجش:** أن يزيد في السلعة من لايُريد شراءَها، **والبيع على بيع بعض، والخِطبة على خِطبة الأخ** ـ كما في حديث آخر ـ **ومال المُسلم عموما:** حرام على الآخرين أن يعتدوا عليه بأي وسيلة من وسائل التعدِّي.

وقد قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا﴾ [النساء]؛ فأيُّ وسيلةٍ فيها أكْلُ أموال الناس بالباطل مُحرَّمة لأنها قد تؤدّي إلى قتل النفس. والآية تحتمل قتل النفس حقيقة (كمنْ يقتلْ نفسه بحديدة أو بسُمٍّ يشربُه ..) وتحتمل: (لا يَقْتُلُ بَعْضُكم بَعْضًا) وهو قول ابن عباس وغيره. فكان أخوك بمنزلة نفسك التي بين جنبيك.

4 ـ للآخرين في أموالك حقٌ. ليس المقصود من هذا الضابط الحديثَ عن الزكاة أو الصدقة أو ما في معناهما؛ بل المقصود .. أنَّ استحضارَ حقوقِهم يجعلك في اكتساب الأموال ساعياً لك ولغيرك؛ لا لنفسك فحسب. وقد قال الله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء].

فذوو القُربى لهم حقٌّ؛ ومنه: قول النبي صلى الله عليه وسلم للذي أراد أن يتصدق بماله .. (إنَّكَ أنْ تَذَرَ ورَثَتَكَ أغْنِياءَ، خَيْرٌ مِن أنْ تَذَرَهُمْ عالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ) [أخرجه البخاري]، فمِن حقِّهم أن تسعى في إغنائهم وفي سدِّ حاجاتهم. لا أن تضيعهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كفى بالمرءِ إثمًا أن يضَيِّعَ من يَقُوتُ) [أخرجه أبو داود وأحمد].

وأمّا المساكين واليتامى وأصحاب الحاجات .. فحقوقهم معروفة معلومة.

ثالثاً: تشريعات لحفظ الأموال.

لعلَّ المذكورَ آنفاً قد أظهر لنا أهمية المال في حياة المسلمين؛ الأمرُ الذي يجعلنا محافظين عليه أشدَّ المحافظة، وقد شرّع الإسلام كذلك في سبيل المحافظة عليه شرائعَ متعددة وحرَّم كذلك تعاملات من شأنها التعدِّي على الأموال الآخرين.

فهذا **حدُّ السرقة** معلومٌ أمرُه؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [المائدة]. وهذا حدُّ الحِرابة ـ قطع الطريق أو ما يُشابه في الأزمان الحديثة من السطو المسلح على المؤسسات وغيرها ـ لمن أخذ المال فقط: ﴿ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾ [المائدة]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ البَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ) [أخرجه البخاري].

وكذلك من الأمور المحرمة حِفْظاً على الأموال: (الربا وأنواعه وصوره كثيرة، والبيعتين في بيعة، والرشوة، والقمار والميسر، وأكل الميراث، وأكل أموال اليتامى، والتعدِّي على الأموال العامة، وأثمان المُحرمات).

وخِتاماً .. فنسأل الله تعالى فيها البركة في أموالنا وأن يُوسِّع أرزاقنا.

خامسا: الْعَقْلُ

العناصر:

المقدمة.

الأول: العقل والحجَّة الشرعية.

الثاني: العقل والتكليف الشرعي.

الثالث: تشريعات للحفاظ على العقل.

الموضوع

مَن يُقلب صفحات القرآن الكريم يجد اهتماماً بالغاً بالعقل، ففيه كلماتٌ ستطرق سمعَه بين الحين والآخر؛ فمثلاً: (تعقلون ـ يعقلون ـ يعقلها ـ عقلوه ـ نعقل)، وكذلك كلمات: (الألباب) والتي تعني العقول، وكلمة (النُّهى) وتعني العقل، وكلمة (الحِجر) تعني: العقل. فكلها مواد تعني إحجامَ صاحبها عن المهالك ومنْعَه منها، وكذلك غيرُها من المواد التي تهتمُّ بإعمال الفِكر والتبصُّر والنَّظر فيما يراه الإنسان من مخلوقاتٍ وحوداثَ أمامَ عيْنيْه. كلُّ هذا يؤكد بوضوح على أهمية العقل في الخطاب الشرعي. وفي هذا اللقاء ـ إن شاء الله تعالى ـ يظهر بعضٌ من الجوانب التي تُوضِّح اهتمامَ الإسلام به.

الأول: العقل والحجَّة الشرعية.

من الأمور التي يتعجَّبُ المرءُ من ظهورها في القرآن الكريم؛ ما يدلُّ على أن الله تعالى أقام الحجَّة على الكافرين من قبيل عقولهم؛ فقال الله تعالى عنهم: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ وقد أورد الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لن يَهلِكَ النَّاسُ حتَّى يُعْذِروا مِن أنْفُسِهم)

[أخرجه أحمد وأبو داود]، وقال المفسرون في تفسيرها: «وقال الكفار: لو كُنّا نسمع سماعًا يُنْتَفع به، أو نعقل عقلَ من يميز الحق من الباطل». فأقام الله تعالى عليهم الحجة من أنفسهم.

وانظر كذلك إلى هذه الحجة العقلية في مقام الرسالة؛ إذ قد طلب الكفار من النبي صلى الله عليه وسلم قرآنا آخر أو أن يُبدِّل هذا القرآن؛ فأمره الله تعالى أن يقول لهم: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٖ ١٥ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرٗا مِّن قَبْلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فالحجة عليهم أنه لبِث فيهم بين ظهرانيهم مُدَّة من الزمن طويلة (أربعين عاما) لم يُعرف عليه كذبٌ أو خِيانةٌ وقد شهدوا له بذلك؛ فبأي عقلٍ يدِّعي هذا الشخص مثل هذا الادعاء، ثمَّ يُكذَّب فيه بعد ذلك، أو يُطلب منه ما يُناقض شهادتَهم عنه، وقد جاء في مواطن أخرى من القرآن الكريم التعبير عن النبي صلى الله عله وسلم **بأنه صاحبهم**؛ للدلالة على شِدَّة ملازمتهم له ومعرفتهم بأخباره وأحواله كما يعرف الصاحِب أخبار صاحبه؛ قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٖ شَدِيدٖ﴾ [سبأ] وقوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم]، وقوله كذلك: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٖ﴾ فأين عقولكم وقد كفرتم بهذا الذي تعلمون عنه ما تعلمونه عن أبنائكم قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة].

وقد جاء كذلك في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على حُجيَّة العقل واعتبار إدراكاته؛ بل وتقديمها على ظاهر أقوال النبي صلى الله عليه وسلم ذاتها؛ فقد: (بَعَثَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ **سَرِيَّةً**، فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الأنْصَارِ **وأَمَرَهُمْ أنْ يُطِيعُوهُ**، فَغَضِبَ، فَقالَ: أليسَ أمَرَكُمُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنْ تُطِيعُونِي؟ قالوا: بَلَى، قالَ: فَاجْمَعُوا لي حَطَبًا، فَجَمَعُوا، **فَقالَ: أوْقِدُوا نَارًا، فأوْقَدُوهَا، فَقالَ: ادْخُلُوهَا، فَهَمُّوا وجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا، ويقولونَ: فَرَرْنَا إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِنَ النَّارِ**، فَما زَالُوا حتَّى خَمَدَتِ النَّارُ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَبَلَغَ النَّبيَّ

صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقَالَ: لو دَخَلُوهَا ما خَرَجُوا منها إلى يَومِ القِيَامَةِ؛ الطَّاعَةُ في المَعروفِ) [أخرجه البخاري]؛ فانظر إلى أمر النبي لهم بطاعته؛ وإلى همِّهم بدخلوها تنفيذا لأمر أميرهم؛ وإلى الحجة العقلية الشرعية التي استقرتْ في أذهانهم فخالفوا بها أمره .. ثم انظر إلى إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لفعلهم. وكذلك: (أنَّ رَجُلًا كانَ يُتَّهَمُ بأُمِّ وَلَدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ: اذْهَبْ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ فأتَاهُ عَلِيٌّ فَإِذَا هو في رَكِيٍّ يَتَبَرَّدُ فِيهَا، فَقالَ له عَلِيٌّ: اخْرُجْ، فَنَاوَلَهُ يَدَهُ فأخْرَجَهُ، **فَإِذَا هو مَجْبُوبٌ ليسَ له ذَكَرٌ**، فَكَفَّ عَلِيٌّ عنْه، ثُمَّ أَتَى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، إنَّه لَمَجْبُوبٌ ما له ذَكَرٌ) [أخرجه مُسلم]، فهذا الذي يُتَّهم بأم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شكَّ أنها جُرأة على حرم رسول الله صلى الله عليه وصاحبها يستحق القتل؛ ولكن لمَّا تبيَّن علي رضي الله عنه من حاله إذ كيف يُظنُّ به ذلك وليست له آلة الذكورة!!. فلم يُطبِّق عليه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتل للحجة العقلية القطعية الظاهرة.

وانظر كذلك إلى تلك الحجة التي أقامها الله تعالى على اليهود والنصارى في ادعائهم عن إبراهيم أنه كان يهودياً أو نصرانيا؛ فقد قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٦٧ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فكيف يكون كما زعمتم ولم تُوجدوا إلا بعده بقرون متطاولة وأزمان متباعدة؟. فكيف يُنسب السابق لمذهب ابتدعه اللاحق. أفلا تعقلون!!؟. ولأجل ذلك فلستم له بأولياء إنما أولياؤه وأنصاره وأتباعه هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا والله تعالى ولي المؤمنين. فليس إبراهيم عليه السلام يهوديا ولا نصرانيا وإنما هو مُسلمٌ حنيفٌ مائلٌ عن الشرك عليه الصلاة والسلام.

وانظر كذلك إلى تلك الحجة التي أقامها أبو الأنبياء عليه الصلاة والسلام على قومه عبَدَةِ الأصنام؛ فقال: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ **أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾؛ فأين العقول التي عبَدت أصناما لا تنفع ولا تضر، ولا

تُبصر ولا تسمع ولا تُغني شيئا عن عابديها؟ فالذي يُعبَد هو الذي يملك هذه الأمور حتى إذا ما وقع العابد في ضِيق وكرب رفع عنه معبودُه ضِيقَه وكَرْبَه. وكذلك حُجتُه عليه الصلاة والسلام على عابدي الكواكب؛ فيها أكبر مظهر من مظاهر الاحتجاج العقلي لو كانوا يعقلون.

الثاني: العقل والتكليف الشرعي.

معلوم عند علماء الفقه هذا الحديث؛ وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (رُفِعَ القلمُ عن ثلاثةٍ: عن النائمِ حتى يستيقظَ، وعن الصبيِّ حتى يحتلمَ، وعن المجنونِ حتى يعقِلَ) [أخرجه أبو داود]، فالعقل هو مناط التكليف وهو الآلة التي يُدرِك بها معاني الخطاب التكليفي، والتي بها يتميز عن دركات البهيمية ويعلوا بها في درجات الإنسانية؛ إذْ إنَّ مَن فقد عقلَه سيكون في تصرفاته كالبهيمة التي لا تستحي من إبداء عوارها أما الناظرين. ولا ينفعه ساعتها أن يكون ذا مال، أو جِسْم ضخم، أو ذا أولاد، .. فكُلُّ هذه المكمِّلات تُزيِّن صاحبَها إذا كان عاقلاً، وكذلك لا تُغني عنه شيئا إن كان بلا عقل.

إضافة إلى ذلك أن المجنون لا يلزمه شيئٌ من العبادات؛ فقد رفع الله تعالى عنه التكليف؛ فلا يُطالب بصلاة والا صيام ولا حج، ولا يصح منه بيع ولا شراء ولا إجارة حتى ولو لأعيان ماله، وكذلك لا يصح منه مباشرة عقد من العقود عموما إذ هو مسلوب الولاية.

وانظر إلى هذه الصورة التي تحكي امرأة يعتريها من الغشيان والإغماء الذي يعتري المصروع؛ فعن عطاء بن أبي رباح قال: (قَالَ لي ابنُ عَبَّاسٍ: ألَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِن أهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلتُ: بَلَى، قَالَ: هذِه المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ؛ أتَتِ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فَقَالَتْ: إنِّي أُصْرَعُ، وإنِّي أتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: إنْ شِئْتِ صَبَرْتِ ولَكِ الجَنَّةُ، وإنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أنْ يُعَافِيَكِ، فَقَالَتْ: أصْبِرُ، فَقَالَتْ: إنِّي أتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لي ألَّا أتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا..) [أخرجه البخاري].

وكذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن الأربعة الذين يحتجون يوم القيامة؛ فيه دليل واضح على أهمية العقل في القضايا التكليفية ففيه قوله عليه الصلاة والسلام: (أربعةٌ يحتجون

يومَ القيامةِ، **رجلٌ أصمٌّ لا يسمعُ، ورجلٌ هرمٌ، ورجلٌ أحمقٌ، ورجلٌ مات في الفترةِ**. أما الأصمُّ فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلامُ وأنا ما أسمع شيئًا. وأما الأحمقُ فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلامُ والصبيانُ يحدفونني بالبعرِ. وأما الهرمُ فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلامُ وما أعقلُ. وأما الذي في الفترةِ فيقولُ ربِّ ما أتاني رسولٌ. فيأخذُ مواثيقَهم ليُطعْنَه. فيرسلَ إليهم رسولًا أنِ ادخلوا النارَ. فوالذي نفسي بيدِه لو دخلوها لكانَتْ عليْهِم بَردًا وسلامًا) [أخرجه أحمد في مسنده]. فلولا ما لحقهم من هذه العلل لما كانت لهم حجة عند الله عز وجل ولما كانوا مُعرَّضين لهذا الاختبار.

الثالث: تشريعات للحفاظ على العقل.

لمَّا كان العقل بهذه المثابة وهذه المكانة في الإسلام؛ فقد جاءت تشريعات إسلامية مُحكمة للحفاظ عليه من أي أذى. إذِ الاعتداء عليه اعتداء على الكيان الإنساني ونقله من درجات السمو الإنساني إلى دركات البهيمية؛ ومما يدل على ذلك:

- **تحريم الخمر والمُسكرات.** وتحريمها من الأمور الظاهرة في الإسلام نصَّاً وغايةً؛ فنصوص التحريم معلومة؛ فقد قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**لُعِنتِ** الخمرُ على عشرةِ أوجُهٍ: بعينِها، وعاصرِها، ومعتَصرِها، وبائعِها، ومُبتاعِها، وحاملِها، والمحمولةِ إليهِ، وآكِلِ ثمنِها، وشاربِها، وساقيها) [أخرجه ابن ماجة وأحمد]. فتحريم الخمر نصُّه ظاهر من كتاب الله تعالى ومن كلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: (السُّكْرُ منَ الكبائرِ) [البُصيري ـ اتحاف الخيرة]، وأمَّا أضراره فكثيرة؛ أخطرها ضرره على الدماغ وعلى مراكز الذكاء والتفكير عند الإنسان وأصحاب الطب على يقين

من هذا. وإضافة إلى ذلك؛ فإن أبا بكر رضي الله عنه لما سئل: (هل شربت الخمر في الجاهلية؟ قال: أعوذ بالله! فقيل له: ولِمَ؟ قال: كنت أصون عرضي، وأحفظ مروءتي).

- **وتحريمُ السِّحْر.** لأن الساحر يعمد إلى إلحاق الأذى بالناس إما في أموالهم أو أبنائهم أو أبدانهم أو عقولهم وكل هذا مُشاهد وملموس.
- **الدية واجبة للمَن اعتُدِي عليه فذهب عقله.** ومعنى هذا: أن الاعتداء على العقل بأي صورة من الصور التي تؤدي إلى ذهاب منفعته فقد أوجب الشرع في هذا الدِّية كاملة ففي الحديث وإن كان به ضعف إلا أن العمل عليه عند أهل العلم: (وفي العقلِ الديةُ مائةٌ من الإبلِ) [البيهقي في الكبرى].
- **النهي عن مخالطة أهل البدع حتى لا تُغيَّر أفكارهم.** فتغيير عقول الناس وأفكارهم وعقائدهم أمرٌ ليس بالهين؛ بل إن كان صاحبُه مُحقاً أخذَ الجزاء الكبير على تغييرهم. وإن كان صاحبه مُبطلاً فقد أخذ الذنب العظيم والعذاب الأليم؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (رَأَيْتُ عَمْرَو بنَ عامِرٍ الخُزاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ في النَّارِ، كانَ أوَّلَ مَن سَيَّبَ السَّوائِبَ...) [أخرجه البخاري] فليس بعد تغيير عقائد الناس وما عُقدتْ عليه قلوبهم ذنب.

ولكن ينبغي أن لا يغيب عن أذهاننا محدوديةَ العقلِ؛ فله حدود يسير في فلكها؛ فإذا ما تجازوها ضلَّ السبيل، وجنة على نفسه بعقله. وسبيله في ذلك كالحواس الإنسانية التي لها حدود ملموسة؛ فلا يرى الإنسان ولا يسمع ولا يَشُمُّ إلا ما يقع في حدود قدرته التي جُبل عليها. وكذلك العقل؛ فلا يستطيع العقل أن يخوض في الغيبيات مثلاً إلا إذا كان قائدُه الشرعَ الشريف.

والحمد لله رب العالمين

في

(الوارثون جنان الخلد)

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾

مُقدِّمة في:

الإرث الأخروي

العناصر:

المدخل.

أولاً: معنى "الإرث الأخروي".

ثانياً: أسباب الإرث الأخروي.

ثالثاً: موانع الإرث الأخروي.

(الموضوع)

أمور الناس في غاية العجب؛ إذْ تراهم يتعلقون بهذه الدار ويتناسوْنَ الآخرةَ دارَ القرارِ، ويتنازعون فيها عليها وكأنهم فيها مُخلَّدون، يتقاطعون ويتدابرون ويتحاسدون ويتباغضون؛ بل ويتقاتلون .. على نصيبهم منها، وما لهم فيها من متاع، ونسُوا نصيبَهم وحظَّهم وميراثَهم من الدار الآخرة والذي لا يصلون إليه إلا ببذل أسباب وانتفاء موانع وتحقق شروط.

وهذا هو محلُّ حديثنا ومحطُّ تِرحالنا؛ فهل لنا: نصيب نرِثُه في الآخرة؟، وممَّنْ نرِثُه؟. وقبل أن أجيب على هذه التساؤلات وغيرها أبدأ بِذكر آياتِ وأحاديثَ الإرث الأخروي، ثم مِثالٌ يوضِّح معالم هذا المراد:

قال الله تعالى في مطلع سورة "المؤمنون" بعد ذِكر جملة من الأوصاف: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون] وقال تقدَّست أسماؤه: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم]، وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾

[الشعراء]، ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف]، ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧٢ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ [الزخرف].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحدٍ إلا له مَنزِلانِ: منزلٌ في الجنَّةِ، ومنزلٌ في النَّارِ، فإذا مات فدخل النَّارَ، وَرِثَ أهلُ الجنَّةِ مَنزلَه، فذلك قولُه: هُمُ الْوَارِثُونَ) (أخرجه ابن ماجة).

هذه بعض نصوص الإرث الأخروي.

وأمَّا المثال؛ فانظروا .. ـ رحمني الله وإياكم ـ إلى:

«رجل في غُربة بعيدة عن وطنه يجمع الأموال كي يتزوج أو يُحصِّل أسباب المعيشة ورفاهيتِها؛ فمنَّ الله عليه بالرزق الحلال حتى كثُر مالُه ثم تزوج بامرأة ذات مالٍ وجمال بعد أن أعدَّ بيتاً جميلاً يسكنه، ثم قدَّر الله عليه أن يُنفِق بعض الأموال في طلب الذُّرية في عِلاج نفسه وزجه فرُزقا بالولد، فأخذا يُنفقان عليه ولا يبخلان؛ ومع ذلك لم تزل ثروة الوالد في نُموٍّ فكان فيها من أنواع المال: النقود والعقارات والسيارات والأنعام .. وعدِّدْ ما شئت من أصناف الخير.. وبعدما شبَّ الولد وبلغ سِنَّ الرشاد إذْ بالموتِ يأخذ أباه ثم في إثره أمَّه..

فما هو حال هذا الولد الرشيد بعد فراقهما .. دعْ عنكَ أمرَ الحُزنِ .. فليس هذا مُرادي.

هذه الثروة التي ورِثها هذا الشابُّ الرشيد من أبيه وأمِّه:

هل تَعِب فيها؟ .. لا.

هل تغرَّب لأجلها؟ .. لا.

هل أنفق على إنجاب نفسه؟ .. لا.

هل أنفق على نفسه حتى بلغ وترعرع؟ .. لا. بل ولا شارك فيها أدنى مُشاركة.

إذا فلماذا استحقَّها؟. لأن من أسباب الإرث البنوة. .. نعم .. ولكن السبب هذا؛ ليس راجعا إليه وإنما إلى مَنْ جمع تلك الثروة. فيا لها من ثروة بلا تعب!!» فالميراث؛ هو: ما أخذته بغير عِوض.

وكذلك .. ما الشأن إذا ما تعدَّى هذا الولد على سبب وجودِه في هذه الحياة (والِدَه)؛ فقتله مثلاً!! .. لا شك أنه قد قطع علاقة البُنوَّة بقاطع لا يستحق معه التركة، أو بقاطعٍ أعظم من قاطع القتل وهو اختلاف الدين ـ فعلاقة الدين أعظم من علاقة النسب ـ فكذلك لا يستحق التركة. أو كان الولد رقيقا عبداً مملوكاً لغيره ـ فحقٌّ سيده حينئذ أعظم؛ فلا مال للمملوك مع سيده ـ فلا يستحق المال الموروث من والده لأنه سيكون لسيده وليس له.

هذا مِثال؛ قصدتُّ منه إظهار العجب من اللفظ القرآني (الوارثون)؛ فهو فِعلاً كما قال الله تعالى.

فالذي خلق الجنة وجعل فيها ما فيها من أنواع النعيم هو الله تعالى، والذي خلقنا ورزقنا وأعاننا على عبادته هو الله عز وجل؛ ومع ذلك وعدنا بالجنة إرثا إن جئنا بالسبب الذي هو مُسبِّبُه. فسبحانه تعالى له الفضل وله المنَّة أولاً وآخراً[1].

أولاً: في معنى الإرث الأخروي.

أن الله سبحانه وتعالى أعدَّ الجنّة في الآخرة لعباده الصالحين تفضلا منه سبحانه بسبب أعمالهم الصالحة في الدنيا. وكذلك المؤمنون يرثون أماكن أهل النار التي كانت لهم في الجنة لو دخلوها. في هذا يقول ابن الجوزي في زاد المسير: «وقالَ بَعْضُهُمْ: لَمّا سُمِّيَ الكُفّارُ أمْواتًا بِقَوْلِهِ: ﴿أمْواتٌ غَيْرُ أحْياءٍ﴾. [النَّحْلِ:٢١]. وسَمّى المُؤْمِنِينَ أحْياءً بِقَوْلِهِ: ﴿لِيُنْذِرَ مَن كانَ حَيًّا﴾ [يس:٧٠] أوْرَثَ الأحْياءَ المَوْتى». وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ، دَفَعَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ إلى كُلِّ مُسْلِمٍ، يَهُودِيًّا، أوْ نَصْرانِيًّا، فيَقولُ: هذا فِكاكُكَ مِنَ النَّارِ) (أخرجه مسلم).

(1) ـ راجع الأقوال التي قِيلت في معنى الإرث في زاد المسير لابن الجوزي في موضع سورة الأعراف

ثانياً: أسباب الإرث الأخروي.

وطالما أنه إرث فلابد له من أساب؛ وهذه الأسباب يجمعها كلَّها عبادةُ الله عز وجل؛ ففي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: (كُنْتُ رِدْفَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ علَى حِمارٍ يُقالُ له عُفَيْرٌ، فقالَ: يا مُعاذُ، هلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ علَى عِبادِهِ، وما حَقُّ العِبادِ علَى اللَّهِ؟، قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّ حَقَّ اللَّهِ علَى العِبادِ أنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا به شيئًا، وحَقَّ العِبادِ علَى اللَّهِ أنْ لا يُعَذِّبَ مَن لا يُشْرِكُ به شيئًا، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ أفَلا أُبَشِّرُ به النَّاسَ؟ قالَ: لا تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا) (أخرجه البخاري ومسلم).

وهذا الحقُّ: إنما هو حقٌّ أوجبه الله على نفسه ولم يوجبه أحدٌ عليه سبحانه وتعالى كما قال جل ذِكره: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام] وهذا مِن قبيل قولِ النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: **إنَّ رَحْمَتي سَبَقَتْ غَضَبِي**) (أخرجه البخاري ومسلم).

ويدخل تحت هذا السبب أسبابٌ أخرى كثيرة وهذا هو أصلها؛ ومن هذه الأسباب كذلك: (الصلاح، والتقوى، والإيمان، الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحِفظ الفروج، ورعاية الأمانة والشهادة..)

فلابد وأن نعلم كما قال ابن القيم: «أنَّ الأعْمالَ أسْبابٌ مُوَصِّلَةٌ إلى الثَّوابِ والعِقابِ، .. وأنَّ الأعْمالَ الصّالِحَةَ مِن تَوْفِيقِ اللَّهِ وفَضْلِهِ ومَنِّهِ، وصَدَقَتِهِ عَلى عَبْدِهِ، إنْ أعانَهُ عَلَيْها ووَفَّقَهُ لَها، وخَلَقَ فِيهِ إرادَتَها والقُدْرَةَ عَلَيْها، وحَبَّبَها إلَيْهِ، وزَيَّنَها في قَلْبِهِ وكَرَّهَ إلَيْهِ أضْدادُها، ومَعَ هَذا فَلَيْسَتْ ثَمَنًا لِجَزائِهِ وثَوابِهِ، ولا هي عَلى قَدْرِهِ».

ولأجل ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لَنْ يُنَجِّيَ أحَدًا مِنكُم عَمَلُهُ، قالوا: ولا أنْتَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: ولا أنا، إلَّا أنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ برَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وقارِبُوا، واغْدُوا ورُوحُوا، وشَيءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، والقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا) (أخرجه البخاري) فالمنفيُ هو أن يكون العمل ثمنا أو جزاءً؛ وإنما هو سبب

من الأسباب الموصلة إلى هذا الثواب وعلى هذا يُحمل قول الله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾. فهذه الباء باءُ السببية وليست باءَ المعاوضة. فهناك فرق بين من يقول: (اشتريت الدار بألف) وبين من قال: (أخذت الدار بالإرث) فالأول: ثمنٌ والثاني سببٌ

ثالثاً: موانع الإرث الأخروي.

وهذه الموانع؛ منها موانع تَحجبُ صاحبَها حجبَ حرمانٍ فلا يدخلها أبدا بل هي محرمةٌ عليه، ومنها موانع تَحجب صاحبها حجب نقصان فلا يدخلها ابتداء قبل أن يُنقَّى أو يُقضى ما عليه.

أما الموانع التي تمنعُ صاحبَها منع حِرمان وتُحرَّمُ عليه الجنة فلا يدخلها أبدا فهو: **الشرك بالله تعالى.** وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: (سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: مَن ماتَ يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا دَخَلَ النَّارَ. وَقُلتُ أنا: ومَن ماتَ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ) (أخرجه البخاري ومسلم) **وهذا الشرك:** يُشْبه ذلك الولد الذي قطع علاقة بنوَّته من أبيه بقتله، والمُشرك: قد قطع علاقة عبوديته مع خالقه، أو أشرك في عبوديته لله تعالى إلاها آخر كالرقِّ ـ المانع للإرث ـ ولا يقبل الله تعالى معه شريكاً.

وما سوى ذلك من الذنوب فهي راجعة إلى مشيئة الله وعفوه ومغفرته أو عذابِه وعدله قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء].

وأمَّا الموانع التي تَمنع صاحبها وتحجبه حجب نقصان فلا يدخلها ابتداء قبل أن يُنقَّى أو يُقضى ما عليه. فهي الذنوب التي جاءت على لسان اشارع الحكيم مصدَّرة أو محكوم على صاحبها ـ وهو من المسلمين ـ بعدم دخول الجنة؛ من أمثال أصحاب الكبائر التي حكمت عليهم النصوص بالحرمان من الجنة وما زالوا في عِداد المسلمين.

كقول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنِ ادَّعَى إلى غيرِ أبِيهِ، وهو يَعْلَمُ فَالْجَنَّةُ عليه حَرَامٌ) وقوله: (مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الاسْتِطَالَةُ فِي عِرْضِ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ وَإِنَّ هَذِهِ الرَّحِمَ شِجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ قَطَعَهَا حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ). وقوله: (مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ الله لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) وقوله: (لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قاطِعٌ) وقوله: (لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتّاتٌ). وقوله: (لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوائِقَهُ)، وقوله: (ثلاثةٌ لا يدخُلون الجنَّةَ مدمنُ الخمرِ، وقاطعُ الرَّحِمِ، ومُصدِّقٌ بالسِّحرِ)[1] وغيرها من الأحاديث.

وعلى هذا المعنى يُحمَل قوله تعالى في سورة هود موضِّحاً معنى الاستثناء الذي في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ **إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ** عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ قال ابن الجوزي في زاد المسير: «والسّادِسُ: أنَّ الِاسْتِثْناءَ يَرْجِعُ إلى لُبْثِ مَن لَبِثَ في النّارِ مِنَ المُوَحِّدِينَ، ثُمَّ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ، والضَّحّاكُ، ومُقاتِلٌ. قالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: فَيَكُونُ الِاسْتِثْناءُ مِنَ الخُلُودِ مُكْثَ أهْلِ الذُّنُوبِ مِنَ المُسْلِمِينَ في النّارِ، فَكَأنَّهُ قالَ: إلّا ما شاءَ رَبُّكَ مِن إخْراجِ المُذْنِبِينَ إلى الجَنَّةِ، وخالِدِينَ في الجَنَّةِ إلّا ما شاءَ رَبُّكَ مِن إدْخالِ المُذْنِبِينَ النّارَ مُدَّةً».

أحبابي قِصَّة قصيرة ووصية: (قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ لرجلٍ ما تقولُ في الصَّلاةِ؟ قالَ: أتشَهَّدُ. ثمَّ أسألُ اللَّهَ الجنَّةَ وأعوذُ بِهِ منَ النَّارِ. أَمَا واللَّهِ ما أُحسنُ دندنتَكَ ولا دندنةَ مُعاذٍ قالَ حولَها نُدَنْدنُ) (ابن ماجة في سننه)

فنسأل الله تعالى الفردوس الأعلى من الجنة.

1 ـ وهذه كلها أحاديث صحيحة.

اللقاء الثاني

(الصالحون)

العناصر:

المدخل.

أولاً: تعريف الصالح والصلاح وأهميتُهما.

ثانياً: من هم الصالحون؟

ثالثاً: أوصاف الصالحين.

دعاء

(الموضوع)

وضَّحتْ نصوصُ الشرعِ الشريفِ أن الجنةَ دارٌ أعدها الله تعالى لعباده الصالحين؛ فقال جلَّ ذِكره: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء] وقد جاء في تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: «وَقَالَ مُجَاهِدٌ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿أَنَّ الأرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ قَالَ: **أَرْضُ الْجَنَّةِ**. وَكَذَا قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَمُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَير، وَالشَّعْبِيُّ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَالثَّوْرِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(**قالَ اللَّهُ أَعْدَدْتُ **لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ** ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولَا خَطَرَ علَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ **{**فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهمْ مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ**}** [السجدة: 17]**)** (أخرجه البخاري). وقد جعل الله تعالى الصالحين من أوليائه فقال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فمن هم الصالحون الذين يتولاهم الرحمن والذين يستحقون وِراثة جنات النعيم؟ وما هي أوصافهم؟ وهل كلُّ من ادعاها لنفسه يكون صادقا في دعواه؟

ولأهمية هذا الموضوع؛ لابد من بيان أمرين:

الأول: قضية الصلاح هي مِحور رسالات الأنبياء. قال الله تعالى عن موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف]، وقال تعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّما بُعِثتُ لأُتَمِّمَ صالِحَ الأخلاقِ) (أخرجه البخاري في الأدب المفرد).

الثاني: قد ادعى الإصلاحَ والصلاحَ ناسٌ هم من أبعد الخلق عنه، فانظر ـ مثلاً ـ قول الله تعالى عن **المنافقين:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة] وقولَه تعالى عن **فرعون:** ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ [غافر] فهو يخاف على دين المصريين من التبديل الذي جاء به موسى عليه السلام، أو أن يُظهر موسى الفساد في الأرض، ولا غرابة إذاً من قول تابعٍ من أتباع فرعون عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ .. سبحان الله!! وطالما أن الأمر بهذه المثابة فمن هو الصالح؟.

هو: «**الذي يقوم بحق الله تعالى وحق العباد**» فهو الذي يؤدي الفرائض والواجبات، وينتهي عن المحرمات ويُسارع في الخيرات، وهو كذلك يُراعي حقوق العباد عليه.

والصالح ضدُّه الفاسد قال تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ [البقرة] فالحكم بالصلاح والفساد إلى الله تعالى وليس إلى عباده؛ فمَن قال الله عنهم (فاسدون) فهم كذلك وإن ادعوا صلاحا وإصلاحا. ومن قال عنهم (صالحون) فهم كذلك وإن رُموا واتُّهموا بالفساد. وقد ذكر الله تعالى أناسا ووصفهم بالصلاح، وهم:

ثانياً: من هم الصالحون وأوصافهم؟.

الأنبياء. وصف الصلاح مُلازم لهؤلاء لا ينفك عنهم؛ فهم **الصالحون المُصلِحون الدَّاعون إلى الصلاح** فقد قال الله تعالى بعد ذِكْر جملةٍ منهم: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنعام] وقال أيضا: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ **عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ** فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم] وقال أيضا عن يونس عليه السلام: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم].

الذين يتمسكون بالكتاب. لأنهم يتمسكون بأساسِ الإصلاحِ وقانونِهِ ونِظامِه؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف] ولأجل ذلك كان جزاؤهم عظيماً ونعمةُ اللهِ عليهم كبيرةٌ، فهُم الرفيقُ الحسن الذي أنعم الله عليه، وأمرنا الله تعالى أن نسأله أن نكون معهم في صلواتنا فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء] ففي سورة الفاتحة نسأله تعالى أن يهدينا صراط الذين أنعم عليهم وهم هؤلاء.

المؤمنون. فالمؤمن صالح في نفسه يسعى لإصلاح غيره، وقد قال الله تعالى عن صالحي الجنِّ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن].

الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وهذه من أظهر علاماتهم وأبرز صفاتهم؛ فأمرهم بالمعروف إصلاح ونهيهم عن المنكر إصلاحٌ، قال سبحانه: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ **وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ** ﴾ [آل عمران].

المرأة الصالحة. وهي التي قامت بحق ربِّها سبحانه وتعالى عليها وكذلك قامت بحق زوجها، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء] ولأجل هذا أخبر النبي صلى الله علي وسلم فقال: (الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ) (أخرجه مسلم).

الذين يسعون بالإصلاح بين الناس. وعن أم كلثوم بنت عقبة أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: (ليسَ الكَذّابُ الذي يُصْلِحُ بيْنَ النَّاسِ، ويقولُ خَيْرًا ويَنْمِي خَيْرًا). قالَ ابنُ شِهابٍ: ولَمْ أسْمَعْ يُرَخَّصُ في شيءٍ ممَّا يقولُ النَّاسُ كَذِبٌ إلَّا في ثَلاثٍ: الحَرْبُ، والإصْلاحُ بيْنَ النَّاسِ، وحَديثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وحَديثُ المَرْأَةِ زَوْجَها..) (أخرجه مسلم). بل قال الله تعالى عن نجوى الناس: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ **إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ**﴾ [النساء].

ثالثاً: إشكالات .. ودفعها.

الصالح والابتلاء. هل معنى الوصف بالصلاح للمرء "أن يكون في عِصمة من الابتلاء"؟ والجواب على ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أشدُّ النَّاسِ بلاءً الأنبياءُ، **ثمَّ الصَّالحون**، إن كان أحدُهم ليُبتلَى بالفقرِ، حتَّى ما يجِدُ أحدُهم إلَّا العباءةَ التي يحويها، وإن كان أحدُهم ليفرَحُ بالبلاءِ كما يفرحُ أحدُكم بالرَّخاءِ) (أخرجه ابن ماجة) وعلى ذلك فقد ـ بل ـ يُصاب النبي أو الصحابي أو الصدِّيق أو المؤمن.. بالابتلاءات في الأموال أو الأنفس أو الأمراض أو في أي شيء.. وما هذا إلا رِفْعةٌ لدرجاته وعلوٌّ لمنزلته عند الله عز وجل.

أنهلك وفينا الصالحون؟. هل وُجود الصالحين في المجتمع عِصمة له من الهلاك؟ يُجيبنا على هذا السؤل هذا الأثر: (قالَتْ زَيْنَبُ بنْتُ جَحْشٍ: فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وفينَا الصَّالِحُونَ؟ قالَ: نَعَمْ؛ إذَا كَثُرَ الخَبَثُ) (أخرجه البخاري) فكثرة الخبث دليل على قِلَّة الصالحين، وأما إذا كانت القرية أو المدينة كلُّها أو غالبُها مُتمسكا بالصلاح داعيا إلية نابذا للفساد فهنا يتحقق قول الله عز وجل:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ وساعتَها لا يضرُّ وُجود بعض المُفسدين القليلين. والله أعلم.

مع الدعاء.

ولمكانة الصالحين العالية؛ دعا أنبياءُ الله تعالى عليهم الصلاة والسلام بهذه الدعوات: فعن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات] وعن يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف] وعن سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل].

وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي دِينِي الذي هو عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لي دُنْيَايَ الَّتي فِيهَا معاشِي، وَأَصْلِحْ لي آخِرَتي الَّتي فِيهَا معادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لي في كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لي مِن كُلِّ شَرٍّ) (أخرجه مسلم).

وكان من دعاء المسلم لأخيه المسلم إذا عطس: (إذا عَطَسَ أحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ: الحَمْدُ لِلَّهِ، ولْيَقُلْ له أخُوهُ ـ أوْ صاحِبُهُ ـ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فإذا قالَ له: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ ويُصْلِحُ بالَكُمْ) (أخرجه البخاري).

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا صالحين مُصلحين

آمين.

اللقاء الثالث

الطيبون

العناصر:

المدخل.

أولاً: الجنَّة طيبة .. وهي للطيِّبين.

ثانياً: أوصاف الطيبين.

ثالثا: ليس بعد الحلال الطيب إلا الحرام الخبيث.

(الموضوع)

من صفات وارثي جنّات النعيم؛ (أنهم طيبون). وبذلك صرَّحتْ نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية على قائلها أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم، فقد قال جلَّ ذِكرُه وتقدَّستْ أسماؤه: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٠ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣١ **ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ** يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل] وقال سبحانه أيضا: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا **سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ** فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر]. فمن هم الطيبون؟ وما هي أوصافهم؟ ولماذا كانتِ الجنَّةُ لهم دون غيرهم؟ وهذا هو اللقاء.

أولاً: الجنة طيبة .. وهي للطيبين.

فالجنة .. تربتها طيبة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رأيتُ إبراهيمَ ليلةَ أُسرِيَ بِي، فقال: يا مُحمَّدُ أقْرِئْ أُمَّتَكَ السلامَ، وأخبرْهِمْ **أنَّ الجنةَ طيبةُ التُّربةِ،** عَذبةُ الماءِ، وإنَّها قِيعانٌ، وغِراسُها لا حوْلَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ) (أخرجه الترمذي).

وكلامها طيب لا لغو فيه ولا تأثيم. قال الله تعالى عن أهل الجنة: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [الحج]

ومساكنها طيبة. قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا **وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ** وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة].

فلما كانت الجنة بهذه الأوصاف (كلامها ومساكنها وتربتها طيبة)؛ فناسب أن لا يدخلها إلا الطيبون؛ وهم:

الذين طابتْ قلوبهم بمعرفة الله عز وجل، وطابتْ ألسنتهم بِذكره، وجوارحهم بطاعته. وقد جعلهم الله تعالى خيار عباده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خيارُ عبادِ اللهِ عندَ اللهِ الموفونَ الْمُطَيِّبُونَ) (أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد وله قصة)

فينبغي على من يريد أن يكون في هذه الدار الطيبة أن يكون كلامه ككلامهم ومسكنه كمسكنهم وحركات جوارحه وسكناته كحركاتِهم وسكناتِهم .. وفي كلِّ شيء بهذه الصفة (طيِّبةٌ).

ثانياً: أوصاف الطيبين.

قبل أن أذكر هذه الأوصاف؛ لابد من التأكيد على هذا المعنى؛ وهو ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّبًا) (أخرجه مسلم). وهذه الأوصاف أجناس من الطيبات التي لا يقبل الله تعالى غيرَها؛ فالطيبون هم:

• **الذين يأكلون الطيبات:** فقد أمر الله عز وجل بذلك فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، وفي الأثر عن عثمان رضي الله عنه: «وعِفُّوا إذْ أعَفَّكمُ اللهُ عزَّ وجلَّ، وعليكم منَ المطاعِمِ بما طاب».

• **الذين يتكلمون الكلام الطيب:** وأطيب ما يتكلمون به هو ذكر الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا **كَلِمَةً طَيِّبَةً** كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ وهي كلمة التوحيد. وكذلك هم الذين لا يُنفرون الناس ولا يقنِّطوهم من رحمة الله تعالى؛ بل يُسمعونهم ما يحبون: فـ(لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، **وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ قالوا: وَما الفَأْلُ؟ قالَ: كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ)** (أخرجه البخاري)، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام عن الجنة ومُستحقيها: (إنَّ في الجنَّةِ غرفةً يُرى ظاهرُها من باطنِها وباطنُها من ظاهرِها فقالَ أبو موسَى الأشعريُّ لمن هيَ يا رسولَ اللَّهِ قالَ لمن **أطابَ الكلامَ** وأطعمَ الطَّعامَ وباتَ قائمًا والنَّاسُ نيامٌ) (أخرجه أحمد وغيره .. وفي الصحيح لمن ألان الكلام). وذلك كلُّه لأن الله تعالى لا يصعد إليه إلا الطيب: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر].

• **الذين يتصدقون بالطيبات:** فلا يقصدون بصدقتهم خبيثَ أموالِهم بل يُخرجون من طيِّبها، فتطيب أموالهم بذلك الخارج الطيب؛ قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللهَ لم يَفرِضِ الزَّكاةَ إلَّا ليُطَيِّبَ ما بَقِيَ من أموالِكم) (أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين).

• **الذين ينكحون الطيبات الطاهرات العفيفات.** فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ۚ﴾ [النور] وقد أمر الله تعالى بنكاح مَنْ طابت أوصافهم منهنَّ فقال: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ﴾ [النساء].

• **ذوو الحياة الطيبة في الدنيا.** فقد قال الله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل] والحياة الطيبة تشمل وجوه

الراحة على أي جهة كانت؛ فقد قال العلماء في تفسيرها: "القناعة، والرزق الحلال والعبادة، والعمل بالطاعة، والانشراح بها ..

ثالثا: ليس بعد الحلال الطيب إلا الحرام الخبيث.

وهذه في طبيعة التشريع الإسلامي؛ إذ ليس بعد الطيب إلا الخبيث، وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم مُحللاً للطيبات ومُحرِّما للخبائث، فما ثمَّ عِندنا إلا طيب حلال أو خبيث حرام؛ فقد قال جلَّ ذِكره في وصف المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف].

وأمَّا غيرُنا فقد حرَّم الله تعالى عليهم بعض الطيبات عقوبة لهم بسبب بَغْيِهم وظلمهم وأكلهم لأموال الناس بالباطل؛ فقال الله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۝١٦٠ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء] وقال جلَّ ذِكره: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾ [الأنعام].

وعلى المؤمنين أن يعلموا "أن الله تعالى جعل من حكمة أفعاله في خلقه ما يميز به بين الخبيث والطيب؛ فقال تعالى في أحداث غزوة بدر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝٣٦ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الأنفال] ولأجل ذلك ينبغي على المؤمنين أن لا يغتروا بالخبيث وإن كان كثيرا ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة] فحتى وإن أعجبك فلا تغتر به!!.

دعاء:

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ **قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ** إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ إذا صلَّى الصُّبحَ حينَ يُسلِّمُ: **اللَّهمَّ إنِّي أسأَلُكَ عِلمًا نافعًا، ورزقًا طيِّبًا،** وعمَلًا مُتقبَّلًا**)** (أخرجه أحمد وابن ماجة).

فنسأل الله تعالى أن يُطيِّبَ قلوبَنا وألسنتنَا وجوارحَنا وذرياتِنا وأرزاقَنا ونساءَنا وحياتَنا إنه سميع قريب مجيب.

والحمد لله رب العالمين

اللقاء الرابع: المتَّقون

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾

العناصر:

المدخل

أولاً: التقوى؛ تعريفها، ومنزلتُها.

ثانياً: أوصاف المتقين.

ثالثاً: أمورٌ .. نتقيها!!

رابعاً: كيف نحقق تقوى الله عز وجلَّ؟.

(الموضوع)

تعددتْ نصوص القرآن الكريم دلالةً على أن جزاء المتقين الجنة؛ فقد جعلها الله تعالى كرامةً لهم ومُستقرا؛ فقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى **وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ** تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا **تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟** وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد] ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى **وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ** كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا﴾ [الفرقان] ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا **مَن كَانَ تَقِيًّا**﴾ [مريم] ﴿**إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ** فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الدخان]. ونصوص القرآن في ذلك كثيرة؛ فالمتقون موعودون بالجنة، وهي إرثٌ جعله الله لهم؛ ولهم فيها كذلك المقام الأمين؛ بل وجعل سبحانه وتعالى الآخرة كلَّها محصورة عليهم فقال تعالى: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾. فهذه النصوص المُتكاثرة تستوجب علينا وقفةً مع هذه الخصلة الحميدة والصفة الشريفة؛ في بيان كنهها ومكانتها ومنزلتها وأوصاف أصحابها.. وغير ذلك، وذلك في العناصر التالية:

أولاً: تعريفها، ومنزلتها ومكانتها.

التقوى: من مادة (وقى يقي وِقايةً)؛ والوقاية: «حفظ الشيء مما يؤذيه ويضرّه»؛ وفي التنزيل: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النحل] فالله سبحانه وتعالى: « جعل لكم قمصانًا وثيابًا من القطن وغيره تدفع عنكم الحر والبرد، وجعل لكم دروعًا تقيكم بأس بعضكم في الحرب، فلا ينفذ السلاح إلى أجسامكم» ـ من المختصر في التفسير ـ وعلى ذلك: «صار التقوى في تعارف الشرع: حِفظ النفس عما يؤثِم وذلك بترك المحظور ويتم ذلك بترك بعض المباحات» ـ كما في مفردات الراغب الأصفهاني ـ. وقال ابن رجب رحمه الله تعالى: « أصل التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره .. وقايةً تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته، واجتناب معاصيه». وقد جاء في تعاريفها أقوال كثيرة عن السلف الصالح لا تخرج عن هذا الحدِّ .. والله أعلم.

وأمَّا منزلتها ومكانتها: فلها في الإسلام أعلى المنازل وأشرف الأماكن؛ فهي:

ـ **وصية الله للأولين والآخرين؛** فقال سبحانه:﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء].

ـ **خير زاد يتزود به المرء للقاء ربه:** ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة].

ـ **شرطُ قبول الأعمال؛** فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة].

ـ **الغاية من جميع العبادات؛** فقد قال تقدَّستْ أسماؤه في أول أمرٍ في القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة].

ـ **وأهلها هم أولياء شعائر الله تعالى.** فهم أولياء البيت الحرام؛ فقد نفى الله تعالى وِلاية المشركين للبيت الحرام إذْ قد صدُّوا الناس عنه، وأثبتها للمؤمنين فقال: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال] وهم كذلك أولياء الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فقال عليه الصلاة والسلام: (إن أولى الناسِ بي المتقون، من كانوا؛ وحيثُ كانوا) (أخرجه أحمد)

ـ **والمتقون هم الوفود المكرمون** على الله عز وجل؛ فقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم].

ثانياً: أوصاف المتقين[1].

للمتقين أوصاف كثيرة؛ وسوف أقتصر على بعض النصوص التي جمعتْ قدراً كثيرا من أوصافهم؛ أمثال:

قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة].

فمن أوصافهم: «تحقيق أركان الإيمان ـ إنفاق الأموال في وجوه الخير بالزكوات والصدقات وغيرهما ـ الوفاء بالعهد ـ الصبر ـ الصدق»

وقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ

(1) أحِبُّ أن تُذكر هذه الخصال سردا؛ فكلُّ خصلة منها تحتاج إلى لقاء بمفرده، وليس هذا مقصود اللقاء.

عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران]. فزادت هذه الآيات أوصافاً أُخر؛ منها: «كظم الغيظ ـ والعفو والصفح عن الناس ـ تحقيق مقام الإحسان ـ وإذا ما وقعوا في معصية عادوا مُسرعين إلى الله فلم يُصروا على معصية».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ۝١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [الذاريات]. وكذلك زادتْ هذه الآيات أوصافاً إضافة إلى ما سبق ؛ أنهم: «يُلازمون قيام الليل، يستغفرون بالأسحار، يُؤدُّون الحقوق إلى أهلها».

ثالثاً: أمورٌ .. نتقيها!!.

وطالما أن التقوى ـ كما سبق بيانه ـ هي حِفظ الإنسان نفسه عن ما يكون سببا في هلاكها في الدين والدنيا؛ فقد وردت نصوص شرعية توضِّح جملة من الأمور التي ينبغي أن نحذرها ونتَّقيَها؛ ومنها:

1 ـ **النار.** قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم]، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(اتَّقُوا النَّارَ ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ)** أخرجه البخاري.

2 ـ **يوم القيامة.** قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة] وهي آخر آيات القرآن نزولاً!.

3 ـ **الدنيا والنساء.** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كيفَ تَعْمَلُونَ، **فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛** فإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ في النِّسَاءِ. وفي روايةٍ: لِيَنْظُرَ كيفَ تَعْمَلُونَ). (أخرجه مسلم).

4 ـ **الشبهات**. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ، وإِنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ، وبيْنَهُما مُشْتَبِهاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، **فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وعِرْضِهِ**، ومَن وقَعَ في الشُّبُهاتِ وقَعَ في الحَرامِ) (أخرجه البخاري).

5 ـ **الظلم والشُّح**. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**اتَّقُوا الظُّلْمَ**، فإنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يَومَ القِيامَةِ، **واتَّقُوا الشُّحَّ**، فإنَّ الشُّحَّ أهْلَكَ مَن كانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ علَى أنْ سَفَكُوا دِماءَهُمْ واسْتَحَلُّوا مَحارِمَهُمْ) (أخرجه مسلم). وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر، التغابن]

6 ـ **الأرحام**. قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء]. أي: واتقوا قَطْع الأرحام التي تربط بينكم فلا تقطعوها.

7 ـ **الفِتنة العامة**. قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال] فهي مِحنة لا يُخَص بها أهل المعاصي ولا مَن باشر الذنب فحسب، بل تصيب الصالحين معهم!!.

8 ـ وأخيراً .. بل هو الأول: **الله عز وجل**. قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران] فالله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدَّثر]. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «**هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُخاف مِنْهُ**، وَهُوَ أَهْلٌ أَنْ يَغفر ذَنْبَ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَنَابَ. قَالَهُ قَتَادَةُ».

رابعاً: كيف نحقق تقوى الله عز وجلَّ؟.

نحققها بأمور؛ من أهمها:

1 ـ **العِلم اليقيني بالرجوع إلى الله تعالى**. قال الله عز وجل: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُۗ﴾ [البقرة] وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[البقرة].

2 ـ **تحقيق معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى.** فإذا تعبَّد العبد لربه بهذه الأسماء دعاءً وتوسلاً وإحصاءً وعمل بمقتضاها قذف ذلك ـ ولابد ـ تقوى الله في قلبه. قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾، وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [ثلاثتها بالبقرة] وغيرها الكثير والكثير.

3 ـ **العلم بكتابة أعمالنا وإحصائها علينا.** قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة] وقال: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الأنفطار].

4 ـ **نقدِّرُ الله تعالى حقَّ قدره.** فكلما عظَّم الإنسان ربه حقَّ التعظيم والتقدير كلما كان لله أتقى؛ وعلى طاعته أحرى، وعن معصيت ربه أبعدُ وأنقى. فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر]. ولكن كثيراً ممن قلَّتْ خشيتُهم لله تعالى بجهلهم واغترارهم؛ قد جعلوا اللهَ تعالى أهون الناظرين إليهم فاستخْفُوا من الناس بقبائحهم بينما بارزوا الله عز وجل بها.

أحبابي دائما هذا الدعاء على ألسنتنا: (اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَن زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا) (أخرجه مسلم).

والحمد لله رب العالمين

اللقاء الخامس

المؤمنون

العناصر:

مُقدمة.

أولاً: تعريف الإيمان (تعريفه، وأوصافه، والفرق بينه وبين الإسلام، وزيادته ونقصانه..).

ثانياً: أوصاف المؤمنين (المتعدية واللازمة).

ثالثاً: شرطية الإيمان في قبول الأعمال.

رابعاً: تحريم الجنة على غير المؤمنين.

دعاء.

الموضوع

تعددتْ نصوص الوحي الكريم بالدلالة على أن للجنةِ أصحاباً اختصهم الله تعالى بها ولها؛ وهم المؤمنون، فقال جلَّ ذِكره وتقدَّستْ أسماؤه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [هود]، وكذلك ذكر الله سبحانه وتعالى المؤمنين وفلاحَهم وأوصافهم؛ ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون]. وإذا كان الأمر بهذه المثابة وبهذه الدرجة فلابد من معرفة الأمور التي تتعلق بالإيمان؛ من حيث: تعريفُه، وما يترتب عليه والأوصاف الدالة على إيمان أصحابها، وأثر الإيمان في قبول الأعمال وغير ذلك من الأمور. وهاك هيَ:

أولاً: تعريف الإيمان.

عِندما سُئِل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان في حديث جبريل عليه السلام؛ أجاب بقوله: (الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر: خيره وشره). (أخرجه مسلم). وعرَّفه علماء السلف بقولهم: (الإيمان: قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعملٌ بالجوارح والأركان) وعلى ذلك: "فالمعنى الذي يستحق به العبد المدح والولاية من المؤمنين هو إتيانه بهذه الأمور الثلاثة: التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح" كما قاله الإمام النووي في شرحه على مسلم.

ـ **له أركان:** والمقصود بها إمَّا هذه **الأركان أو الوسائل** التي يتأتَّى بها؛ وهي: (القلب واللسان والجوارح)، أو أمّا الأركان التي توضِّحُ شكله وماهيته؛ فهي الستة السابقة في حديث جبريل.

ـ **له محلٌّ يسكنه:** ألا وهو **القلب.** قال الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل] وقال: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [الحجرات] وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة]. وحديث جبير بن مطعم: (سَمِعْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: يَقْرَأُ في المَغْرِبِ بالطُّورِ، وذلكَ أوَّلَ ما وقَرَ الإيمَانُ في قَلْبِي) (أخرجه البخاري)

ـ **له شُعبٌ ومراتب تتفاضلُ فيما بينها.** قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [فاطر] **و**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإيمانُ بضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بضْعٌ وسِتُّونَ شُعْبَةً، **فأفْضَلُها** قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، **وأَدْناها** إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ). (أخرجه مسلم).

ـ **له طعمٌ:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَن رَضِيَ باللَّهِ رَبًّا، وبالإسْلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ رَسولًا) (أخرجه مسلم).

ـ **له حلاوةٌ:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ) (أخرجه البخاري).

ـ **له آياتٌ ودلائل:** وهي كثيرة؛ إذْ ما من عملٍ من أعمال الإسلام العِظام إلا وهو علامة من علامات صدقه في قلوب العباد؛ منها: حبُّ الصحابة رضي الله عنهم؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (آيَةُ الإيمانِ حُبُّ الأنْصارِ، وآيَةُ النِّفاقِ بُغْضُ الأنْصارِ) (أخرجه البخاري).

ـ **ويُنزع عن صاحبه ويعود إليه:** عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا يَزْنِي العَبْدُ حِينَ يَزْنِي وَهو مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهو مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ حِينَ يَشْرَبُ وَهو مُؤْمِنٌ، وَلَا يَقْتُلُ وَهو مُؤْمِنٌ. قالَ عِكْرِمَةُ: قُلتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: كيفَ يُنْزَعُ الإيمَانُ منه؟ قالَ: هَكَذَا؛ وَشَبَّكَ بيْنَ أَصَابِعِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا، فإنْ تَابَ عَادَ إلَيْهِ هَكَذَا، وَشَبَّكَ بيْنَ أَصَابِعِهِ) (أخرجه البخاري) ويُفسر هذا الحديث أكثر هذه الرواية عند أبي داود: (إذا زنى الرجلُ خَرَجَ منه الإيمان، كان عليه كالظُّلَّةِ، فإذا انقَطَعَ رَجَعَ إليه الإيمانُ). والذي نُزِع عنه في تلك الحالة هو كمال الإيمان فأصحاب الكبائر معهم أصلُه؛ إلا إذا استحلوا فيكفرون باستحلالهم.

ـ **ويزيد وينقص:** قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال] وقال: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة] وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ﴾ [الفتح] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكمَلُ المُؤمِنِينَ إيمانًا أحسَنُهم خُلُقًا) (أخرجه أبو داود).

ـ **يَخْلق ويَتجدّد:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الإيمانَ ليَخلَقُ في جوفِ أحدِكم كما يَخْلَقُ الثوبُ، فاسأَلوا اللهَ أن يُجدِّدَ الإيمانَ في قلوبِكم) (أخرجه الطبراني والحاكم).

ـ **الفرق بينه وبين الإسلام:** الإسلامُ له الأعمال الظاهرة من الصلاة والصيام والزكاة والحج وقبل ذلك الشهادتين، وأما الإيمان فله الأعمال الباطنة وأساسها الأركان الستةُ السابقُ ذِكرها؛ **وهذا الفرق عند اجتماعهما في مكان واحد من النصوص الشرعية** كقول الله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [الحجرات]، وأما **عند انفراد أحدهما عن الآخر فالواحد منهما يشمل الاثنين معاً** مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران]. فهذه الآية تشمل عمل الظاهر وعمل الباطن.

ثانياً: أوصاف المؤمنين. أوصاف أهل الإيمان كثيرة منها:

1 ـ يظنون بإخوانهم خيرا قال الله تعالى: ﴿ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا﴾ [النور] قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: (لا يحلُّ لامرئ مسلم يسمع من أخيه كلمة يظنُّ بها سوءًا، وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجًا) [الآداب الشرعية لابن مفلح].

2 ـ ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ [الأنفال].

3 ـ ومنها: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة] .

4 ـ ومنها: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ [المجادلة].

5 ـ ومنها: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر].

6ـ يُحبُّون لإخوانهم ما يحبونه لأنفسهم؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) (أخرجه البخاري).

7 ـ ومنها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ. قيلَ: ومَن يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: الذي لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوائقَهُ) (أخرجه البخاري).

8ـ ومنها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ) (أخرجه البخاري).

9ـ ومنها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكْمَلُ المؤمنين إيمانًا أَحْسَنُهم خلقًا) (أخرجه أبو داود).

(فالظنُّ الحسن بإخوانهم، ووجل القلب عند سماع الذِّكْر، والتوكل على الله تعالى، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ومُولاة المؤمنين ومحبَّتهم كمحبة نفوسهم، ومُعادة الكافرين ولو كانوا من أقرب الأقربين لهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، والاستغفار للمؤمنين والمؤمنات، وخُلو قلوبهم من الغل والضغينة للمؤمنين) ومنها: (عدم إيذاء جيرانهم، وإكرام ضيوفهم، والكلام بالخير إذا ما ترجَّحت مصلحة الكلام؛ وإلا فالصمت، وحُسن أخلاقهم إذْ كمال إيمانهم بهذا ..)(1) وغيرها الكثير والكثير.

---

(1) ـ وأحِبُّ للداعية أن يَسْرُد هذه الآيات والأحاديث سردا .. ثم يعلق عليها إجمالا .. وإلا فكل صفة تستدعي في مجال الوعظ والتذكير لقاءات وليس لقاءً ..!!

ثالثاً: شرطيةُ الإيمان في قبول الأعمال.

لابد للعمل من شروط حتى يُقبل؛ **منها:** الإخلاص لله تعالى و**متابعة** النبي صلى الله عليه وسلم، وقبلهما: **إيمان في قلب العبد بالله ربًا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا.** وإلا فأعماله كلها ليس لها وزنٌ في الآخرة؛ ولو كانت في أعْلى درجات الصلاح!!.

وهذا الشرط جاء صريحا في كتاب الله تعالى في مواطن كثيرة؛ منها: قول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ **وَهُوَ مُؤْمِنٌ** فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل]، وقوله: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ **ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟** وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد] بل جاء حبوط العمل عن المشركين بسبب شركهم: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر].

عن عائشة رضي الله عنها: (قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ابنُ جُدْعانَ كانَ في الجاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، ويُطْعِمُ المِسْكِينَ، فَهلْ ذاكَ نافِعُهُ؟ قالَ: لا يَنْفَعُهُ، إنَّه لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتي يومَ الدِّينِ) (أخرجه مسلم). وهذا في إطعام الطعام وصلة الأرحام.

وحتَّى لو كان العمل هو "الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم!!!! فأبو طالب خالدٌ مخلدٌ في النار؛ فلم ينفعه دِفاعُه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا في تخفيف عذابه فقط لا في نجاته. فقد مات كافراً. **وهذه مسألة كُبرى لِمن فقهها.**

رابعاً: تحريم الجنة على غير المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بي أحَدٌ مِن هذِه الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، ولا نَصْرانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ ولَمْ يُؤْمِنْ بالَّذِي أُرْسِلْتُ به، إلَّا كانَ مِن أصْحابِ النَّارِ) (أخرجه مسلم).

دعاء:

عبد الله بن مسعود: (اللَّهُمَّ إنِّي أسأَلُكَ إيمانًا لا يرتَدُّ، ونَعيمًا لا ينفَدُ، ومُرافقةَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، في أَعلى غُرَفِ الجنَّةِ، جنَّةِ الخُلدِ) (أخرجه أحمد في المسند).

عن عبد الله بن عمرو: (إنَّ الإيمانَ لَيَخْلَقُ في جَوْفِ أحدِكُمْ كَما يَخلَقُ الثّوبُ .. فاسْألُوا اللهَ تعالَى: أنْ يُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلوبِكمْ) (صحيح الجامع: الألباني).

ومن الأدعية القرآنية: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران].

ومن دعاء المؤمنين لبعضهم البعض: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ [محمد] و ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنًا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا﴾ [نوح].

وفي الختام (كانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ يُكثِرُ أن يقولَ: يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ) أخرجه الترمذي.

فاللهم ثبِّتْ قلوبَنا على طاعتك .. آمين.

اللقاء السادس

المعرضون عن اللغو

العناصر:

أولاً: مقدمةٌ وتعريفٌ للغو.

ثانياً: من صفات المؤمنين.

ثالثاً: مجالس اللغو حتى نبتعد عنها.

رابعاً: البديل.

الموضوع

أولاً: مقدمة وتعريف اللغو.

وصف الله تعالى الوارثين جنات النعيم بأوصاف كثيرة؛ وكلها أوصاف شريفة عالية، ومنها هذا الوصف (عن اللغو معرضون)؛ فهُم بعيدون كلَّ البعد عن اللغو وعن مظاهره؛ فقد قال الله تعالى عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون] وقال سبحانه في صفات عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾ [الفرقان] وجعل كذلك من صفات المُسلمين: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [القصص] بل جعل الله تعالى من مظاهر النعيم لهم في الجنة أنهم: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾ [الواقعة] وقال: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا﴾ [النبأ]. فإذا كان المسلمون والمؤمنون وعبادُ الرحمن بعيدين عن اللغو وعن مظاهره، بل وجعل الله تعالى لهم في الجنة مظهراً من مظاهر نعيمهم فيها أنهم لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا بل ولا تأثيماً فآذانهم في منأى عنه دنيا وآخره. **فما هو هذا اللغو؟!**

اللغو: قال أبو جعفر بن جرير الطبري بعد ذِكر عدد من الأقوال في تفسير موضع سورة الفرقان: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي، أن يقال: إن الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم إذا مروا باللغو مرّوا كراما، **واللغو في كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل، أو ما يستقبح** فسبُّ الإنسانِ الإنسانَ بالباطل الذي لا حقيقة له من اللغو. **وذِكرُ النكاح بصريح اسمه مما يُستقبح** في بعض الأماكن، فهو من اللغو، **وكذلك تعظيم المشركين آلهتهم** من الباطل الذي لا حقيقة لما عظموه على نحو ما عظموه، **وسماع الغناء مما هو مستقبح في أهل الدين،** فكل ذلك يدخل في معنى اللغو، .. فإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وإذا مرّوا بالباطل فسمعوه أو رأوه، مرّوا كراما، مرورهم كراما في بعض ذلك بأن لا يسمعوه، وذلك كالغناء. وفي بعض ذلك بأن يعرضوا عنه ويصفحوا، وذلك إذا أُوذوا بإسماع القبيح من القول، وفي بعضه بأن يَنْهَوْا عن ذلك، وذلك بأن يروا من المنكر ما يغير بالقول فيغيروه بالقول. وفي بعضه بأن يضاربوا عليه بالسيوف، وذلك بأن يروا قوما يقطعون الطريق على قوم، فيستصرخهم المُراد ذلك منهم، فيصرخونهم، وكلّ ذلك مرورهم كراما».

ثانياً: من صفات المؤمنين.

من صفات المؤمنين أنهم يصونون ألسنتَهم وآذانَهم وجوارحَهم عن أي مظهر من مظاهر اللغو؛ بل يسعون جاهدين في تخليص عباداتهم ومعاملاتهم منه؛ فمثلاً:

صلاة الجمعة: من شروط تحصيل كامل ثوابها؛ أن تبتعد عن اللغو؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَومَ الجُمُعَةِ: أَنْصِتْ، والإِمَامُ يَخْطُبُ، فقَدْ لَغَوْتَ) (أخرجه البخاري)؛ بل جاء في فضائلها فضل لم يُعهد مثلُه في نصوص الشرع!!، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من غسَّلَ واغتسلَ، وغدا وابتَكَرَ، ودَنا منَ الإمامِ، **ولم يلغُ**، كانَ لَهُ بِكُلِّ خطوةٍ عَملُ سنةٍ؛ صيامُها وقيامُها) (أخرجه النسائي).

وفي **الصيام وزكاة الفطر**: (عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ فرضَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ زَكاةَ الفطرِ طُهرةً للصَّائمِ **منَ اللَّغوِ والرَّفثِ** وطعمةً للمساكينِ من أدَّاها قبلَ الصَّلاةِ فَهيَ زَكاةٌ مقبولةٌ ومن أدَّاها بعدَ الصَّلاةِ فَهيَ صدقةٌ منَ الصَّدقاتِ) (أخرجه أبو داود).

وفي **التجارة**؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ هذه السُّوقَ يُخالِطُها **اللَّغْوُ والكذبُ**، فشُوبوها بالصَّدقةِ) (أخرجه النسائي).

وفي **تطهير مجالسهم** مما قد يشوبها من اللغو واللغط؛ قال رسول الله صلى اله عليه وسلم: (من جلس في مجلسٍ فكثُر فيه **لغَطُه** فقال قبل أن يقومَ من مجلسِه ذلك سبحانك اللهمَّ وبحمدِك أشهدُ أن لا إله إلا أنتَ أستغفرُك وأتوبُ إليك إلا غُفِرَ له ما كان في مجلسِه ذلك) (أخرجه الترمذي).

وفي وصفٍ عامٍ للمؤمن؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليسَ المؤمنُ بالطَّعَّانِ ولا اللَّعَّانِ ولا الفاحشِ ولا البَذيءِ) (أخرجه الترمذي).

ومن أوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم: (كانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ يُكْثرُ الذِّكرَ، **ويُقلُّ اللَّغوَ**، ويطيلُ الصَّلاةَ، ويقصِّرُ الخطبةَ، ولا يأنَفُ أن يمشيَ معَ الأرمَلةِ والمسكينِ، فيَقضيَ لَهُ الحاجةَ) (أخرجه النسائي).

ثالثاً: مجالس اللغو حتى نبتعد عنها.

من مجالس اللغو التي ينبغي على المسلم أن يجتنبها؛ هذه المجالس:

- **المجالس التي فيها الاستهزاء بآيات الله وشرائعه ودينه.** فقد قال الله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا **فَلَا تَقْعُدُواْ** مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ **[النساء]**. وقد قال الله تعالى عن أبي الأنبياء: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ **[مريم]** وهذا الاعتزال ضروري للمسلم حتى لا يُكثِّر سوادهم أو يُصاب بما أصيبوا به من الكفر والضلال أو البدعة.

• **المجالس التي تصرف الناس عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

لأن من أوصاف الكافرين أنهم يتواصوْن باللغو في آيات الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت] وهذا اللغو له صور متعددة؛ تختلف باختلاف زمانها ومكانها، **قديما وحديثا:** بالتلفيق والتدليس والتشويش والتهميش والكذب على أهل الدين وعلى القائمين بخدمته.

بل كان من الأسباب الرئيسة التي أوردتهم جهنم؛ فقال تعالى عنهم: ﴿عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ **وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ** ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وقال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ **ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ** ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المدثر].

• **مجالس الغيبة والنمية والكذب والزور والبهتان.** لأن جلوسك فيها هو إقرارٌ منك على نفسك بمشاركتهم فيما هم عليه. فإما أن تمتثل حديث النبي صلى الله عليه وسلم القائل فيه: **(**من ذبَّ عن عِرضِ أخيه بالغِيبةِ كان حقًّا على اللهِ أن يُعتِقَه من النَّارِ**)** **(**أخرجه أحمد**)**. أو تفارق ذلك المجلس؛ قال الإمام النووي: «اعلم أنه ينبغي لمن سمع غِيبةَ مسلم أن يردّها ويزجرَ قائلَها، فإن لم ينزجرْ بالكلام زجرَه بيده، فإن لم يستطع باليدِ ولا باللسان، **فارقَ ذلكَ المجلس**، فإن سمعَ غِيبَةَ شيخه أو غيره ممّن له عليه حقّ، أو كانَ من أهل الفضل والصَّلاح، كان الاعتناءُ بما ذكرناه أكثر».

• **مجالس الفسق والفجور بكل أشكالها.** كتلك المجالس التي فيها إشاعة المنكرات وكشف العورات والتعدِّي على المحرمات. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام].

رابعاً: البديل.

البديل؛ إما أن يكون كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعقبة بن عامر لمَّا قال: **(**قلتُ يا رسولَ اللهِ ما النَّجاةُ قال أمسِكْ عليكَ لسانَكَ، وليسعْكَ بيتُك، وابكِ على خطيئتِكَ**)** **(**أخرجه الترمذي**)**.

وإما أن يكون باستبدالها بالمجالس النافعة؛ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(**وَما اجْتَمع قَوْمٌ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عليهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَن عِنْدَهُ، وَمَن بَطَّأَ به عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ به نَسَبُهُ**)** (أخرجه مسلم**)**.

وقد قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ **أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ** ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء]. فلا خير إلا في هذه.

وهذا هو البديل لمن أراد السبيل .. والله أعلم.

اللقاء السابع

المحافظون على الصلاة

العناصر:

المقدمة.

أولا: منزلة الصلاة من الدين.

ثانياً: في المحافظة عليها.

ثالثاً: استهانة الناس بها.

رابعاً: حكم تاركها.

(الموضوع)

المقدمة:

من أبرز صفات وارثي جنات النعيم؛ أنهم يُحافظون على صلواتهم فلا يُضيعونها بل ولا يُؤخرونها عن أوقاتها، فهي الصِّلة التي تربطهم بمعبودهم، وهي اللقاء الذي يُعدّون فيه العدّة للقاء محبوبهم، وهي التي يستروحون فيها ويستظلون بها في أسفار غربتهم في تلك الحياة.

وقد جاءت نصوص كثيرة تدل على دخول المصلِّين الجنة وأنهم أهلها؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ۝٣٥﴾ [المعارج]، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صلَّى البَردينِ دخلَ الجنَّةَ) (أخرجه البخاري)، وقال أيضا: (مَن غَدَا إلى المَسْجِدِ ورَاحَ، أعَدَّ اللَّهُ له نُزُلَهُ مِنَ الجَنَّةِ كُلَّما غَدَا أوْ رَاحَ) (أخرجه البخاري)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمن أراد أن يكون رفيقه في الجنة: (فأَعِنِّي علَى نَفْسِكَ بكَثْرَةِ السُّجُودِ) (أخرجه مُسلم).

وقال أيضاً: (خَمسُ صلواتٍ كتبهُنَّ اللهُ على العبادِ، فمَن جاء بهنَّ، ولم يُضَيِّعْ منهنَّ شيئًا استِخفافًا بحقِّهِنَّ؛ كان لهُ عند اللهِ عهدٌ أن يُدْخِلَه الجنَّةَ، ومن لَم يأتِ بهنَّ، فلَيس لهُ عند اللهِ عهدٌ؛ إن شاءَ عذَّبَه، وإن شاء أدخلَه الجنَّةَ) (أخرجه أبو داود).

فهذه النصوص وغيرها الكثير .. والكثير؛ تدل على أن الصلاة من أعظم الأسباب الموجبة لدخول الجنة، وهذا يجعلنا في حاجة ماسة إلى بيان منزلتها وأهمية المحافظة عليها وخطورة الاستهانة بها، وحكم تاركها. فأقول مُستعينا بالله:

أولاً: منزلة الصلاة من الدين.

للصلاة في ديننا منزلة عظيمة؛ فلقد افتتح الله تعالى أعمال الفالحين وختمها بالصلاة؛ فقال سبحانه: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ .... وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون] وجعلها كذلك من أوصاف الراسخين في العلم؛ فقال جلَّ ذِكره: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء]. فالصلاة:

أ ـ ركنٌ من أركان الإسلام. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بُنِيَ الإِسْلَامُ علَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، وإقَامِ الصَّلَاةِ، وإيتَاءِ الزَّكَاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضَانَ) (أخرجه البخاري).

ب ـ عمود الإسلام. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنهما (ألا أُخْبِرُك برأسِ الأمرِ وعمودِه وذُروةِ سَنامِه؟) قلتُ: بلَى يا رسولَ اللَّهِ، قالَ: (رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعمودُه الصَّلاةَ، وذُرْوَةِ سَنامِه الجهادُ) (أخرجه الترمذي).

ج ـ أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنَّ أوَّلَ ما يُحاسَبُ النّاسُ به يومَ القيامةِ مِن أعمالِهم الصَّلاةُ، قال: يقولُ ربُّنا عزَّ وجلَّ لملائكتِه ـ وهو أعلَمُ ـ:

انظُروا في صلاةِ عبدي أتَمَّها أم نقَصَها؟ فإنْ كانتْ تامَّةً كُتِبتْ له تامَّةً، وإنْ كان انتقَصَ منها شيئًا، قال: انظُروا، هل لعبدي مِن تطوُّعٍ؟ فإنْ كان له تطوُّعٌ قال: أَتِمُّوا لعبدي فريضتَه مِن تطوُّعِه. ثمَّ تؤخَذُ الأعمالُ على ذاكم) (أخرجه أبو داود).

هـ ـ آخر عُرى الإسلام نقضاً. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتُنْقَضَنَّ عُرَى الإسلامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فكلَّما انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ الناسُ بِالَّتِي تَلِيها، فأولُهُنّ نَقْضًا الحُكْمُ، وآخِرُهُنَّ الصَّلاةُ) (أخرجه أحمد).

و ـ أحبُّ الأعمال إلى الله تعالى؛ فقد قال عبد الله بن مسعود: (سَأَلْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلى اللَّهِ؟ قالَ: الصَّلَاةُ علَى وقْتِهَا قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: برُّ الوَالِدَيْنِ قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: الجِهَادُ في سَبيلِ اللَّهِ قالَ: حدَّثَني بهِنَّ، ولَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي). (أخرجه البخاري).

ز ـ ولِعُلوِّ منزلتها ورِفعة شأنها؛ جعل الله تعالى لها من الفضائل والآثار ما يكون سببا في المُحافظة عليها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَلا أدُلُّكُمْ علَى ما يَمْحُو اللَّهُ به الخَطايا، ويَرْفَعُ به الدَّرَجاتِ؟ قالُوا بَلَى يا رَسولَ اللهِ، قالَ: إسْباغُ الوُضُوءِ علَى المَكارِهِ، وكَثْرَةُ الخُطى إلى المَساجِدِ، وانْتِظارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّباطُ) (أخرجه مسلم). وقال: (أَرَأَيْتُمْ لو أنَّ نَهْرًا ببَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ منه كُلَّ يَومٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هلْ يَبْقَى مِن دَرَنِهِ شيءٌ؟ قالوا: لا يَبْقَى مِن دَرَنِهِ شيءٌ، قالَ: فَذلكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بهِنَّ الخَطَايَا) (أخرجه مسلم). وقال معدان بن أبي طلحة اليعمُري: (لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَقُلتُ: أَخْبِرْنِي بعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ به الجَنَّةَ؟ أَوْ قالَ قُلتُ: بأَحَبِّ الأعْمَالِ إلى اللهِ، فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقالَ: سَأَلْتُ عن ذلكَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: عَلَيْكَ بكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فإنَّكَ لا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بهَا دَرَجَةً، وحَطَّ عَنْكَ بهَا خَطِيئَةً) (أخرجه مسلم).

ثانياً: في المحافظة عليها.

من الأوصاف التي أثنى الله تعالى بها على عباده وارثي جنات النعيم؛ وصف المحافظة على الصلاة ـ إضافة على ما سبق ـ؛ فقال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة] فالأمر بالمحافظة عليها عموما؛ ثم الوسطى خصوصا، حتى وإن كان في وقت حرب وخوف!!. فكيف نكون محافظين عليها أو كيف نحقق هذا الوصف الشريف؟.

بداية .. لابد من استحضار بعض الأمور التي تُعين على المحافظة؛ مثل:

ـ **جاء الوعيد الشديد لمن تهاون بها فأخرها عن أوقاتها؛** فقال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم] وقال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾ [الماعون]. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ فِتْيَانِي أَنْ يَسْتَعِدُّوا لي بحُزَمٍ مِن حَطَبٍ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا يُصَلِّي بالنَّاسِ، ثُمَّ تُحَرَّقُ بُيُوتٌ علَى مَن فِيهَا) (أخرجه مسلم).

ـ **وصف النفاق ملازمٌ للمتكاسلين عن إقامتها في أوقاتها:** ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء]، وقال عبد الله بن مسعود: (لقَدْ رَأَيْتُنَا وَما يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلَاةِ إلَّا مُنَافِقٌ قدْ عُلِمَ نِفَاقُهُ، أَوْ مَرِيضٌ، إنْ كانَ المَرِيضُ لَيَمْشِي بيْنَ رَجُلَيْنِ حتَّى يَأْتِيَ الصَّلَاةِ، وَقالَ: إنْ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ عَلَّمَنَا سُنَنَ الهُدَى، وإنَّ مِن سُنَنَ الهُدَى الصَّلَاةَ في المَسْجِدِ الذي يُؤَذَّنُ فِيهِ) (أخرجه مسلم).

ـ **رتَّب الله تعالى على المحافظة عليها أجورا كبيرة؛** فمن ذلك؛ قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من صلَّى للهِ أربعينَ يومًا في جماعةٍ، يدرك التَّكبيرةَ الأولى، كُتِبَ له براءَتانِ: براءةٌ من النَّارِ، وبراءةٌ من النِّفاقِ) (أخرجه الترمذي).

أما عن كيفية تحقيق المحافظة عليها؛ فلذلك أمور وخطوات تُتَّبع:

- اشتغال القلب بالهمِّ الأخروي؛ وتعلُّقُه بالمساجد وكأنه قِنديلٌ من قناديلها الذي يستمدُّ وَقودَه منها، فهو المُنتفع بها وليستْ هيَ.
- التعاون على البرِّ والتقوى؛ ومن ذلك الاستعانة بالأتقياء الأنقياء الذين اتخذوا المساجد بيوتاً يأوون إليها ويأنسون بها. فبأي صورة من صور التعاون على أداء الصلاة في أوقاتها (كالهاتف مثلاً).
- استخدام الوسائل الحديثة في الاستيقاظ؛ كالمنبِّهات التي لا يخلو منها بيت.
- النوم على طهارة؛ والمحافظة على أذكار النوم.

3 ـ استهانة الناس بها:

لهذه الاستهانة صورٌ كثيرة عند الناس؛ منها: تأخيرها عن أوقاتها، جمعها مع بعضها بغير سبب، وكتضييع بعضها فيمرُّ عليه اليوم أو الأيام ولا يُصلى بعض الفرائض، وكادِّعاء الكثير بأن المصلِّين هم الذين لا يقومون بالأعمال من أصحاب المعاشات أو كِبار السّن وأمَّا غيرهم فلا حرج عليهم إذ هم أصحاب المهامِّ!!! ... ومن صورها كذلك: خُلوّها من الشباب وممن هم دون الخمسين من أعمارهم.

وهذه صورةٌ من الصور التي يجب استحضارها في هذا المكان؛ وهي ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة]. فعن جابر رضي الله عنه قال: (أَقْبَلَتْ عِيرٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَثَارَ النَّاسُ إِلَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ: "وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا)، (أخرجه البخاري). فيجب على العبد أن يوقِن بقضية الرزق وأنها من عند الله، الذي هو خير الرازقين. فلا ينشغلنَّ أحد عن الصلاة بتحصيل رزقه.

ومن كتاب "لماذا نصلي؟": «**وقال حاتم الأصم:** مصيبة الدين أعظم من مصيبة الدنيا، ولقد ماتت لي بنت فعزَّاني أكثر من عشرة آلاف، وفاتتني صلاة الجماعة فلم يُعزني أحد!.

فهو ينقِمُ على الناس قلة اعترافهم بالصلاة، وكان منهم من يبكي عندما تفوته تكبيرة الإحرام مع الجماعة. ومنهم: من كان يمرض إذا فاتته الصلاة مع الجماعة، **ومنهم:** من قارب التسعين من عمره ولم يصل الفريضة منفرداً إلا مرتين، ويقول: وكأني لم أصلهما. و**منهم:** من لم تفته صلاة الجماعة أربعين سنة إلا مرة واحدة حين ماتت والدته واشتغل بتجهيزها.

وهذا **سعيد بن المسيب** يقول فيه تلميذه أبو وداعة: لم ير منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد. وهذا **سليمان بن مهران الأعمش** يقول فيه وكيع بن الجراح: كان الأعمش قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى».

4 ـ حكم تاركها:

تارك الصلاة **إما أن يتركها جاحدا وُجوبَها وفرضيتَها فهذا كافر مرتد** بإجماع المسلمين.

أما **التاركُ لها كسلا** فهو على خلاف بين العلماء؛ إما: (إنه فاسِقٌ عاص مرتكبٌ لكبيرة من الكبائر وليس بكافر)، وإمَّا أنه: (كافر خارج عن ملة الإسلام).

ولا أُحِب أن نخوض التفاصيل التي خاضها العلماء لترجيح قول على آخر؛ وإنما أقول لتارك الصلاة بعض الأحاديث التي تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم لعلها أن تُحرِّك في نفسه ساكنا؛ فلقد عليه الصلاة والسلام:

ـ (إنَّ بيْنَ الرَّجُلِ وبيْنَ الشِّرْكِ والْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاةِ) (أخرجه مسلم).

ـ (العَهدُ الذي بَينَنا وبَينَهُم الصلاةُ، فمن تَرَكَها فَقَد كَفَرَ) (أخرجه الترمذي).

ـ (مَن صَلَّى صَلَاتَنَا واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذلكَ المُسْلِمُ الذي له ذِمَّةُ اللَّهِ وذِمَّةُ رَسولِهِ، فلا تُخْفِرُوا اللَّهَ في ذِمَّتِهِ) (أخرجه البخاري). فهذه مقومات وعلامات للمسلم؛ فمن لم يأت بها فليس من أهل الإسلام.

وأختم بقول الله تعالى: ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٩ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢ **قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ** ۝٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ﴾ [المدثر]. فما سلكوا سقر إلا بأمور منها (لم نك من المصلين)

فالله اجعلنا من المحافظين عليها، القائمين بها وعليها .. اللهم آمين.

والحمد لله رب العالمين

اللقاء الثامن

الخاشعون في الصلاة

العناصر:

أولاً: الخشوع: (ماهيتُه، وآلاته، وأوصاف الخاشعين).

ثانياً: أهمية الخشوع في الصلاة.

ثالثاً: الأسباب المعينة على الخشوع.

رابعاً: نماذج للخاشعين في صلاتهم.

الموضوع

1 ـ الخشوع: (ماهيتُه، وآلاته، وأوصاف الخاشعين).

قد وصف الله تعالى الذين يستحقون الإرث الأخروي بدخول الجنة؛ بأنهم في صلاتهم خاشعون؛ فقال جل ذِكره: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ ... أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ [المؤمنون]، وجعل سحانه وتعالى أمرَ الصبرِ والصلاةِ كبيراً إلا على الخاشعين فقال: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ **إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ**﴾ [البقرة] والخاشعون كذلك لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا: ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ **لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۗ** أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [آل عمران]، ووصْفُ الخشوعِ كذلك من أوصاف الأنبياء: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء]. وكذلك فالخاشعون أعدَّ الله لهم مغفرة وأجرا عظيما: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ **وَٱلۡخَٰشِعِينَ**

وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب].

فالخشوع .. وصف من الأوصاف التي ينبغي على المسلم أن يسعى في تحقيقها والاتصاف بها؛ فهو وصف للأنبياء وأتباعهم. وعلى ذلك فما هو؟

قال ابن جُزي في التفسير: «الخشوع حالة في القلب من الخوف والمراقبة والتذلل لعظمة المولى جل جلاله، ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون، والإقبال على الصلاة، وعدم الالتفات والبكاء والتضرع... والصواب: أنه أمر زائد على حضور القلب، فقد يحضر القلب ولا يخشع». كمن يحضر الصلاة بجسده وينشغل عنها بعقله وقلبه؛ فكذلك قد يحضر القلب ولا يخشع.

والمتتبع لنصوص القرآن الكريم يرى أن الخشوع له آلات وأعضاء يقوم بها ويظهر عليها؛ فالقلب هو المحل الذي يسكنه الخشوع فإذا سكنه ظهرتْ آثارُه على الجوارح كما مرَّ في التعريف؛ وقد قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد]، وإذا خشع القلب تبعتْه الجوارح كلّها؛ وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم: (إذَا رَكَعَ قالَ: اللَّهُمَّ لكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، **خَشَعَ لكَ سَمْعِي وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي وَعَصَبِي)** (أخرجه مسلم).

وإذا كان الخشوع ينتج عنه حالة من الخوف والهلع والتذلل؛ فليس هناك مقام هو أولى بهذه الأوصاف من مقام القيامة وعرصاتها، فقد قال تعالى عن حالة القلوب يومئذ: ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ﴾ [النازعات] وأما عن خشوع **الصوت** فيها: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾ [طه]. ويكون كذلك في **البصر**: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم] ويكون كذلك في **الوجوه**: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ [الغاشية] وفي الحالة العامة كلّها؛ قال جلَّ ذِكره عن قوم: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا

خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيٍّۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ﴾ [الشورى].

وأريدك أن تستحضر معي خشوع الجوارح وانكسارها وتذللها في عرصات القيامة؛ فلا تنظر هذه الأعين إلى عورة من العورات المُنكشفة بل ولا تُهَمْهِم في نفوسها بالحديث عن ذلك؛ فالأمر جلل، والخطب عظيم. ﴿مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾ [إبراهيم].

وإذا كان الخشوع بهذه المثابة؛ من حيث المعنى والآلة؛ فما هو الخشوع الذي نُريده في الصلاة وما أهميته.

2 ـ أهمية الخشوع في الصلاة.

قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: (ما مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاةٌ مَكْتُوبَةٌ فيُحْسِنُ وُضُوءَها **وخُشُوعَها ورُكُوعَها**، إلَّا كانَتْ كَفَّارَةً لِما قَبْلَها مِنَ الذُّنُوبِ ما لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وذلكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ). (أخرجه مسلم). وقال رسول الله أيضاً: (إنَّ الرجُلَ لَيَنصرِفُ وما كُتِب له إلَّا عُشرُ صلاتِه، تُسعُها، ثُمنُها، سُبعُها، سُدسُها، خُمسُها، رُبعُها، ثُلثُها، نِصفُها) (أخرجه أبو داود).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لجبير بن نفير: (إن شئتَ لأحدِّثنَّكَ بأوَّلِ عِلمٍ يُرفَعُ منَ النَّاسِ **الخشوعُ يوشِكُ أن تدخُلَ مسجدَ جماعةٍ فلا ترَى فيهِ رجلًا خاشعًا**) (أخرجه الترمذي). وليس في هذه الرؤية إشكالٌ؛ فإذا ما خشع القلبُ سكنتِ الجوارحُ واطمأنتْ فيصحُّ ساعتها أن نصف رجلاً بالخشوع، وقد جاء عن الصحابة أنهم وصفوا رجلاً بقولهم (فَدَخَلَ رَجُلٌ علَى **وجْهِهِ أثَرُ الخُشُوعِ**، فَقالوا: هذا رَجُلٌ مِن أهْلِ الجَنَّةِ ..) (أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن سلام)

ولأهمية الخشوع في الصلاة واستحضار معانيها كانت هناك أوصاف وأفعال نهى عنها الشارع الحكيم وذمَّ فاعليها؛ أمثال:

ـ **التكاسل في أداء الصلاة وإقامتها وعدم الإقبال عليها إقبال المُحبِّ**؛ فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء].

ـ **زخرفة المساجد وتشييدها**. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أُمِرتُ بتَشييدِ المساجِدِ)، وقال ابنُ عباسٍ: لتُزَخْرِفُنَّها كما زَخرَفَتِ اليهودُ والنَّصارى) (أخرجه أبو داود). وقد (قَامَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يُصَلِّي في خَمِيصَةٍ ذَاتِ أعْلَامٍ، فَنَظَرَ إلى عَلَمِهَا، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قالَ: اذْهَبُوا بهذِه الخَمِيصَةِ إلى أبِي جَهْمِ بنِ حُذَيْفَةَ، وائْتُونِي بأَنْبِجَانِيِّهِ، فإنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفًا في صَلَاتِي) (أخرجه مسلم). فهي سبب للإلهاء في الصلاة.

ـ **التشويش بالقراءة على المُصلين**. وعن أبي سعيدٍ قالَ اعتَكفَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ في المسجدِ فسمِعَهم يجْهَرونَ بالقراءةِ فَكشفَ السِّترَ وقالَ: (ألا إنَّ كلَّكم مُناجٍ ربَّهُ فلا يؤذِيَنَّ بعضُكم بعضًا ولا يرفعْ بعضُكم على بعضٍ في القراءةِ أو قالَ في الصَّلاةِ) (أخرجه أبو داود).

ـ **عدم الاطمئنان في أدائها**. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نَهى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن نَقْرةِ الغُرابِ، وافتراشِ السَّبُعِ، وأنْ يُوَطِّنَ الرجُلُ المكانَ في المسجدِ كما يُوَطِّنُ البعيرُ) (أخرجه أبو داود). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: (سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: تِلْكَ صَلَاةُ المُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حتَّى إذَا كَانَتْ بيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ، قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إلَّا قَلِيلًا) (أخرجه مسلم).

ـ **عند حضور الطعام وانشغال القلب بالأمور الضرورية**. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا صَلَاةَ بحَضْرَةِ الطَّعَامِ، ولَا هو يُدَافِعُهُ الأخْبَثَانِ) (أخرجه مسلم).

3 ـ الأسباب المعينة على الخشوع.

الأسباب المعينة على تحقيق الخشوع في الصلاة كثيرة ؛ منها على سبيل المثال:

- **استحضار معنى** (لا يُكتب للعبد من صلاته **إلا ما عقل منها)** وقد سبق الحديث.
- **استشعار الحوار الإلهي في سورة الفاتحة؛** فقد: (قالَ اللَّهُ تَعالَى: قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وبيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، ولِعَبْدِي ما سَأَلَ، فإذا قالَ العَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ}، قالَ اللَّهُ تَعالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وإذا قالَ: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، قالَ اللَّهُ تَعالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وإذا قالَ: {مالِكِ يَومِ الدِّينِ}، قالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وقالَ مَرَّةً فَوَّضَ إلَيَّ عَبْدِي، فإذا قالَ: {إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ} قالَ: هذا بَيْنِي وبيْنَ عَبْدِي، ولِعَبْدِي ما سَأَلَ، فإذا قالَ: {اهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ صِراطَ الَّذِينَ أنْعَمْتَ عليهم غيرِ المَغْضُوبِ عليهم ولا الضَّالِّينَ} قالَ: هذا لِعَبْدِي ولِعَبْدِي ما سَأَلَ) (أخرجه مسلم). وكذلك استحضار (إقبال الله عز وجلَّ عليك؛ فلا تصرفنَّ وجهك ووجهتك عنه سبحانه وتعالى)
- تنوع الآيات المقروءة في الصلاة؛ فلا يقتصر على سور بعينها يكررها كل صلاة، ومحاولة التفهُّم لمعانيها.
- المحافظة على السنن الرواتب؛ لا سيما السنن القبلية للصلوات فإنها تؤهلك لاستحضار الخشوع في الصلاة.
- الدعاء؛ فهو الباب الذي لا يُغلق. فعلينا بدعاء الله تعالى. وأن يجعلنا من الخاشعين في صلواتهم ونُكرر ونُلح على الله تعالى بذلك؛ فنسأله الخشوع في الصلاة ونستعيذ به من قلب لا يخشع، وكذلك نستعيذ به من خشوع المنافقين؛ وقد قال ابن القيم: «وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم وهو حذيفة، يقول: إياكم وخشوع النفاق، فقيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع، ورأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا طأطأ رقبته في الصلاة، فقال: يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب، ورأت عائشة رضي الله عنها شبابا يمشون ويتمارون في مشيتهم، فقالت لأصحابها: من هؤلاء؟ فقالوا: نُسَّاك، فقالت: كان عمر بن الخطاب إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع، وإذا أطعم أشبع، وكان هو الناسك حقا، وقال الفضيل بن عياض: كان يكره أن يري الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه، وقال حذيفة رضي الله عنه: أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم

الصلاة، ورب مصل لا خير فيه، ويوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيهم خاشعا، وقال سهل: من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان».

4 ـ نماذج للخاشعين في صلاتهم.

للصالحين مع الصلاة في صلواتهم أحوال ينبغي علينا أن نقف معها وقفات طِوال؛ فذِكرُ أخبارهم وعباداتهم يُعطي النفس وَقودا يستعين به بعد الله تعالى على تغيير أحواله من السيء إلى الحسن ومنه إلى الأحسن:

ـ فهذا عروة بن الزبير قد دبَّ المرض في رِجله: «فأجمعوا على أن العلاج الوحيد هو قطعها قبل أن يَسريَ المرض إلى الرِّجل كلِّها حتى الوَرِك، وربما أكلتِ الجسمَ كله، فوافق عروةُ بعد لأْيٍ على أن تُنْشَر رِجله، **وعَرض عليه الأطباء إسقاءه مُرْقِدًا؛ حتى يغيب عن وعيه فلا يشعر بالألم، فرفض عروة ذلك بشدة قائلاً: لا والله، ما كنت أظن أحدًا يشرب شرابًا، أو يأكل شيئًا يُذهِب عقلَه، ولكن إن كنتم لا بُدَّ فاعلين فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة؛ فإني لا أحس بذلك ولا أشعر به**، فقطعوا رجله من فوق الأكلة من المكان الحي؛ احتياطًا أن لا يبقى منها شيء، **وهو قائم يصلي**، فما تضوَّر ولا اختلج»

ـ وهذا أخوه عبد الله بن الزبير: «وقال عمر بن عبد العزيز يوما لابن أبي مليكة: صف لنا عبد الله بن الزبير. فقال: والله ما رأيت جلدا قط رُكب على لحم، ولا لحما على عصب، ولا عصبا على عظم مثلَه، ولا رأيت نفسا ركبت بين جنبين مثل نفسه، ولقد مرت آجرة من رَمْي المنجنيق بين لحيته وصدره، فو الله ما جشع ولا قطع لها قراءته، ولا ركع دون ما كان يركع، **وكان إذا دخل في الصلاة خرج من كل شيء إليها، ولقد كان يركع فيكاد يقع الرخم على ظهره، ويسجد فكأنه ثوب مطروح** .. وروي أن ابن الزبير كان يوما يصلي فسقطت حية من السقف تطوقت على بطن ابنه هاشم، فصرخ النسوة، وانزعج أهل المنزل، واجتمعوا على قتل تلك الحية، فقتلوها وسَلِمَ الولدُ. فعلوا هذا كله وابن الزبير في الصلاة لم يلتفت، **ولا درى بما جرى لابنه حتى سلَّم**».

وهذا مُسلم بن يسار رحمه الله تعالى: «قال عنه ابنه عبد الله بن مسلم: كان إذا صلَّى كأنه ودٌّ [أي وتد] لا يميل لا هكذا، ولا هكذا.

وقيل عنه: كان مسلم بن يسار إذا صلَّى كأنه ثوب مُلقى، وكان يقول لأهله إذا دخل في الصلاة: **تحدَّثوا فلستُ أسمع حديثكم**، وذُكر أنه وقع حريق في داره وهو يصلِّي، فلما ذُكِرَ له قال: ما شعرتُ».

وهذه النماذج قليلة والخاشعون في أمة محمد صلى الله عليه وسلم كثيرون.

وهنا أقول: أين نحن من هذه النماذج؟. أين مَن: «يعبثون بثيابهم في الصلاة، ويعبثون بأصابعهم وأيديهم وأرجلهم، وهواتفهم، أين من ينشغلون بكل شيءٍ في الصلاة ولا يُشغلون بالصلاة عن كلِّ شيء؟ أين هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء..»

أحبابي: أولُ ما يحاسبُ بهِ العبدُ يومَ القيامةِ الصَّلاةُ، فإنْ صَلَحَتْ، صَلَحَ سائِرُ عَمَلِه، وإنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سائِرُ عَمَلِه.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عِصمةُ أمرنا.

آمين.

اللقاء التاسع

(المؤدون الزكاة)

العناصر:

مُقدِّمة.

أولاً: منزلة الزكاة من الدين.

ثانياً: من فضائل الزكاة.

ثالثاً: عقوبات مانعي الزكاة.

(الموضوع)

تعددت نصوص الكتاب والسنة في بيان وصفٍ من أوصاف أهل الجنة؛ وهو: (أداؤهم للحق الواجب عليهم في أموالهم من الزكوات وكذلك الصدقات)؛ فمن هذه النصوص:

قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون]. وفي وصْف المُصلِّين يقول جلَّ ذِكرُه: ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝٢٥﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ﴾ [المعارج]. وفي وصف المتقِّين يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ۝١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ [الذاريات]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خمسٌ مَن جاءَ بهنَّ مع إيمانٍ؛ دخل الجنَّةَ: من حافظَ على الصَّلواتِ الخمْسِ: على وضوئِهنَّ وركوعهنَّ وسجودِهنَّ ومواقيتِهنَّ، وصامَ رمضان، وحجَّ

البيتَ إنِ استطاعَ إليه سبيلًا، وأعطى الزَّكاةَ طيِّبةً بها نفسُه) [أخرجه أبو داود]. فلابد في تحقيق هذا الثواب من العمل الذي يجيءُ مع الإيمان.

2 ـ منزلة الزكاة من الدين:

أ ـ هي من الوصايا الربَّانية للأنبياء والمرسلين؛ فقد قال الله تعالى عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾ [مريم] وعن عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾ [مريم].

ب ـ من مقتضيات أخوة الدين؛ فقد قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة]. ولأجل هذه الأخوة الدينية كان مانِعُها مُعرضاً نفسَه للقتال من الإمام وولي الأمر؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ، ويُؤْتُوا الزَّكاةَ، فإذا فَعَلُوا، عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهُمْ، وأَمْوالَهُمْ إلَّا بحَقِّها، وحِسابُهُمْ علَى اللَّهِ) [أخرجه مسلم].

وقد طبَّق هذا الأمرَ الخليفةُ الأولُ والصِّدِّيقُ الأكبرُ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضي الله عنه في حروب المرتدين مانعي الزكاة ف: (لَمَّا تُوُفِّيَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ واسْتُخْلِفَ أبو بَكْرٍ، وكَفَرَ مَن كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، قالَ عُمَرُ: يا أبا بَكْرٍ، كيفَ تُقاتِلُ النَّاسَ، وقدْ قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فمَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فقَدْ عَصَمَ مِنِّي مالَهُ ونَفْسَهُ إلَّا بحَقِّهِ، وحِسابُهُ علَى اللَّهِ قالَ أبو بَكْرٍ: واللَّهِ لَأُقاتِلَنَّ مَن فَرَّقَ بيْنَ الصَّلاةِ والزَّكاةِ، فإنَّ الزَّكاةَ حَقُّ المالِ، واللَّهِ لو مَنَعُونِي عَناقًا كانُوا يُؤَدُّونَها إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لَقاتَلْتُهُمْ علَى مَنْعِها قالَ عُمَرُ: فَو اللَّهِ ما هو إلَّا أنْ رَأَيْتُ أنْ قدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أبِي بَكْرٍ لِلْقِتالِ، فَعَرَفْتُ أنَّه الحَقُّ) [أخرجه البخاري].

ج ـ ركن من أركان الإسلام؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسم: (بُنِيَ الإِسْلَامُ علَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، وإقَامِ الصَّلَاةِ، وإيتَاءِ الزَّكَاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضَانَ). [أخرجه البخاري].

د ـ أخَذ النبيُّ صلى الله عليه وسلم البيعةَ من أصحابه عليها؛ فقال جرير بن عبد الله البجلي: (بَايَعْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ علَى إقَامِ الصَّلَاةِ، وإيتَاءِ الزَّكَاةِ، والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ). [أخرجه البخاري].

3 ـ من فضائل الزكاة:

ـ كتب الله تعالى رحمتَه التي وسِعتْ كلَّ شيءٍ لأهلها؛ فقال: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف].

ـ أن الله يُطهِّر بها صاحبها؛ فقد قال الله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مُعللاً تحريمَ الصدقةِ عليه وعلى آله: (إنَّ هذِه الصَّدَقاتِ إنَّما هي أوْساخُ النَّاسِ، وإنَّها لا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ، ولا لِآلِ مُحَمَّدٍ) [أخرجه مُسلم].

ـ دليل وبرهان على صدق الإيمان في القلوب؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ المِيزانَ، وسُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ ـ أَوْ تَمْلأُ ـ ما بيْنَ السَّمَواتِ والأرْضِ، والصَّلاةُ نُورٌ، **والصَّدَقَةُ بُرْهانٌ**، والصَّبْرُ ضِياءٌ، والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها، أوْ مُوبِقُها). [أخرجه مسلم].

ـ تُساهم في علاج الأمراض الاجتماعية؛ كالسرقة والزنا والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل، وهذا أمرٌ ظاهر؛ فهذه المرأة التي راودها ابنُ عمِّها على شرفها وعِفَّتِها فامتنعت فلمَّا وقعتْ في سَجن الحاجة والعوز ساومها على الذي امتنعت منه أولاً فرضيَتْ. (وقالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لي بنْتُ عَمٍّ،

كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فأَرَدْتُهَا عن نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حتَّى أَلَمَّتْ بهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فأعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ ومِئَةَ دِينَارٍ علَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وبيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ، حتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قالَتْ: لا أُحِلُّ لكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وهي أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا ما نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ) [أخرجه البخاري].

وهذا الرجل الذي قال: (لَأَتَصَدَّقَنَّ بصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا في يَدِ سَارِقٍ، فأصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ علَى سَارِقٍ فَقالَ: اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا في يَدَيْ زَانِيَةٍ، فأصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ علَى زَانِيَةٍ، فَقالَ: اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ، علَى زَانِيَةٍ؟ لَأَتَصَدَّقَنَّ بصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا في يَدَيْ غَنِيٍّ، فأصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ علَى غَنِيٍّ، فَقالَ: اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ، علَى سَارِقٍ وعلَى زَانِيَةٍ وعلَى غَنِيٍّ، فَأُتِيَ فقِيلَ له: أَمَّا صَدَقَتُكَ علَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عن سَرِقَتِهِ، وأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عن زِنَاهَا، وأَمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فيُنْفِقُ ممَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ). [أخرجه البخاري].

ولستُ بذلك مُبررا لكل لأصحاب المعاصي معاصيَهم التي كان سببها الفقر؛ ولكنها قد تكون، وبخاصّة إذا قلَّ الإيمانُ في القلوب، وضعفت النفوس عن تحمُّل الابتلاءات؛ فجزعتْ ولم تصبر.

ـ أن الله تعالى يُظلُّ صاحبها في ظله يوم لا ظِلَّ إلا ظله: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى في ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: .. **ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ فأخْفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ**، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) [أخرجه البخاري].

ـ أن الله يُربِّيها لصاحبها ويُنمِّيها؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن تَصَدَّقَ بعَدْلِ تَمْرَةٍ مِن كَسْبٍ طَيِّبٍ، ولَا يَقْبَلُ اللَّهُ إلَّا الطَّيِّبَ، وإنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ) [أخرجه البخاري]. وقال الله تعالى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي

ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة] وقال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةًۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة].

ـ وكذلك فهي لا تُنقص المال بل تزيده: (ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِن مالٍ، وما زادَ اللَّهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إلَّا عِزًّا، وما تَواضَعَ أحَدٌ للَّهِ إلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ) (أخرجه مسلم).

وغير ذلك من الفوائد الكثير والكثير...

4 ـ عقوبات مانعي الزكاة.

الناظر في نصوص الشريعة يجدُ عقوباتٍ في الدنيا وعقوباتٍ في الآخرة للذي لم يؤدِّ زكاةَ ماله؛ فمن ذلك:

ـ **المجاعة في الدنيا**. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما منع قومٌ الزكاةَ؛ إلا ابتلاهم اللهُ بالسِّنينَ) [أخرجه الطبراني].

ـ **والعذاب الشديد في الآخرة**؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة] وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [آل عمران] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن آتاهُ اللَّهُ مالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكاتَهُ مُثِّلَ له مالُهُ يومَ القِيامَةِ شُجاعًا أقْرَعَ له زَبِيبَتانِ يُطَوَّقُهُ يومَ القِيامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بلِهْزِمَتَيْهِ ـ يَعْنِي بشِدْقَيْهِ ـ ثُمَّ يقولُ أنا مالُكَ أنا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلا: (لا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ) الآيَةَ) [أخرجه البخاري]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا: (ما مِن صاحِبِ كَنْزٍ لا يُؤَدِّي زَكاتَهُ، إلَّا أُحْمِيَ عليه في نارِ جَهَنَّمَ، فيُجْعَلُ صَفائِحَ فيُكْوَى بها جَنْباهُ، وجَبِينُهُ حتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بيْنَ عِبادِهِ، في يَومٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ ألْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ، إمَّا إلى الجَنَّةِ، وإمَّا إلى النَّارِ، وما مِن صاحِبِ

إبِلٍ لا يُؤَدِّي زَكاتَها، إلَّا بُطِحَ لها بقاعٍ قَرْقَرٍ، كَأَوْفَرِ ما كانَتْ، تَسْتَنُّ عليه، كُلَّما مَضَى عليه أُخْراها رُدَّتْ عليه أُولاها، حتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بيْنَ عِبادِهِ، في يَومٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إمَّا إلى الجَنَّةِ، وإمَّا إلى النَّارِ، وما مِن صاحِبِ غَنَمٍ، لا يُؤَدِّي زَكاتَها إلَّا بُطِحَ لها بقاعٍ قَرْقَرٍ، كَأَوْفَرِ ما كانَتْ فَتَطَؤُهُ بأَظْلافِها وتَنْطَحُهُ بقُرُونِها، ليسَ فيها عَقْصاءُ ولا جَلْحاءُ، كُلَّما مَضَى عليه أُخْراها رُدَّتْ عليه أُولاها، حتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بيْنَ عِبادِهِ في يَومٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ممَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إمَّا إلى الجَنَّةِ، وإمَّا إلى النَّارِ). [أخرجه مسلم].

أخي .. ما معك من الأموال إنما هو فضل من الله وإحسانٌ عليك؛ بل أنت مُستخلف فيه، فلا تبخل ولا تكن منُوعاً وأحسن كما أحسن الله إليك. فقد قال الله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الحديد].

اللقاء العاشر

(رعايةُ الأمانة)

العناصر:

الأول: تعريف الأمانة.

الثاني: أهميتها وشموليتها.

الثالث: الأمانة والموصوفون بها.

(الموضوع)

قد جعل الله تعالى من صفات وارثي جنَّات النعيم أنهم لآماناتهم وعهدهم راعون؛ فقال جلَّ ذِكره وتقدست أسماؤه: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ .. وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ .. أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون].

أولاً: تعريف الأمانة. قيل في تعريفها: (كلُّ حقٍّ لزمك أداؤه وحِفظه)، وقيل: (كل ما افتُرِض على العباد فهو أمانة؛ كصلاة وزكاة وصوم وأداء دين، وأوكدها ردُّ الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار). فالفروض والحقوق اللازمة عليك: هي أمانة، كذلك العبادات بأنواعها، كذلك ما استأمنك عليه الناس من الأموال والودائع والأسرار. وهذا يؤدي بنا إلى الحديث عن شموليتها:

ثانيا: أهميتها وشمولها.

الأمانة في الإسلام لها أهميةٌ عظمى ومكانة سامية؛ فلأهميتها هذه كلَّف الله تعالى بها الإنسان دون غيره من المخلوقات، فذلك المخلوق الضعيف هو الذي تولَّى حِملها؛ بينما رفضت وأبت الجبال الراسيات والسموات والأرض؛ وهذا المعنى الشمولي السابقِ ذِكرُه؛ يؤكِّده قولُ الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا

جَهُولٗا ۝٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا﴾ [الأحزاب]، وقولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال] وكذلك كان: (النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أعْرَابِيٌّ فَقالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُحَدِّثُ، فَقالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ ما قالَ فَكَرِهَ ما قالَ. وقالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حتَّى إذَا قَضَى حَدِيثَهُ قالَ: أيْنَ – أُرَاهُ – السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟ قالَ: هَا أنَا يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قالَ: كيفَ إضَاعَتُهَا؟ قالَ: إذَا وُسِّدَ الأمْرُ إلى غيرِ أهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) (أخرجه البخاري).

وعن حذيفة بن اليمان قال: (حَدَّثَنا رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أحَدَهُما، وأنا أنْتَظِرُ الآخَرَ؛ حَدَّثَنا: **أنَّ الأمانَةَ نَزَلَتْ في جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجالِ**، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ. وحَدَّثَنا عن رَفْعِها قالَ: يَنامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأمانَةُ مِن قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أثَرُها مِثْلَ أثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ، فَيَبْقَى أثَرُها مِثْلَ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ علَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَراهُ مُنْتَبِرًا وليسَ فيه شَيءٌ، **فيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبايَعُونَ، فلا يَكادُ أحَدٌ يُؤَدِّي الأمانَةَ**، فيُقالُ: إنَّ في بَنِي فُلانٍ رَجُلًا أمِينًا، ويُقالُ لِلرَّجُلِ: ما أعْقَلَهُ! وما أظْرَفَهُ! وما أجْلَدَهُ! وما في قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن إيمانٍ. ولقَدْ أتَى عَلَيَّ زَمانٌ وما أُبالِي أيَّكُمْ بايَعْتُ؛ لَئِنْ كانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الإسْلامُ، وإنْ كانَ نَصْرانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ ساعِيهِ، فأمَّا اليَومَ فَما كُنْتُ أُبايِعُ إلَّا فُلانًا وفُلانًا) (أخرجه البخاري). فنسأل الله تعالى أن يحفظ علينا ديننا وأن لا نكون ممن قُبضت الأمانة من قلوبهم.

ومما يدل على أهميتها كذلك:

أن الله تبارك وتعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ قال ابن جرير الطبري بعد أن ذكر جملةً من أقوال المفسرين: «قال أبو جعفر: فتأويل الكلام إذن: يا أيها الذين آمنوا، لا تنقصوا الله حقوقَه عليكم من فرائضه، ولا رسولَه من واجب طاعته

عليكم، ولكن أطيعوهما فيما أمراكم به ونهياكم عنه، لا تنقصوهما "وتخونوا أماناتكم"، وتنقصوا أديانكم، وواجبَ أعمالكم، ولازمَها لكم "وأنتم تعلمون"، أنها لازمة عليكم، وواجبة بالحجج التي قد ثبتت لله عليكم».

ومما يدل على أهميتها: أنها من الصفات اللازمة للنَّبي ـ أي نبيٍ ـ. ففي قصة هرقل مع أبي سفيان: (أَخْبَرَنِي أبو سُفْيَانَ، أنَّ هِرَقْلَ قَالَ له: سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَزَعَمْتَ: أنَّه أمَرَكُمْ بالصَّلَاةِ، والصِّدْقِ، والعَفَافِ، والوَفَاءِ بالعَهْدِ، **وأَدَاءِ الأمَانَةِ**، قَالَ: **وهذِه صِفَةُ نَبِيٍّ**.) (أخرجه البخاري).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَجْمَعُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ المُؤْمِنُونَ حتَّى تُزْلَفَ لهمُ الجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فيَقولونَ: يا أبانا .. **وتُرْسَلُ الأمانَةُ والرَّحِمُ، فَتَقُومانِ** جَنَبَتَيِ الصِّراطِ يَمِينًا وشِمالًا ..) (أخرجه مسلم) وقيامهما لمطالبة كل من يمرُّ على الصراط بحقهما.

وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً: (أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانتْ فيه خَصلةٌ منهنَّ كانتْ فيه خَصلةٌ من النفاقِ حتى يدَعَها: **إذا ائْتُمِنَ خان**، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر) (أخرجه البخاري).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربعٌ إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدُّنيا: حِفظُ أمانةٍ وصدقُ حديثٍ وحُسنُ خَليقةٍ وعِفَّةُ طُعمةٍ). (أخرجه أحمد)

(لا يَجتَمِعُ الإيمانُ والكُفرُ في قلبِ امرئٍ، ولا يجتمعُ الصدقُ والكَذِبُ جميعًا، ولا تَجتَمِعُ الخيانةُ والأمانةُ جميعًا) (أخرجه أحمد).

وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من ضدِّها فقال: (اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ منَ الجوعِ؛ فإنَّهُ بئسَ الضَّجيعُ، وأعوذُ بِكَ منَ الخيانةِ؛ فإنَّها بئستِ البِطانةُ) (أخرجه أبو داود وغيره).

وعلى ذلك .. فالظاهر الواضح من هذه النصوص؛ أن الأمانة هنا لا تتعلق بالأموال فحسب بقدر ما هي تشمل كثيرا من الأمور الدينية والدنيوية غير الأموال وحفظها، وقد قال الطبري بعد ذكر

أقوال التابعين في الآية: «إنه عُنِي بالأمانة في هذا الموضع: **جميع معاني الأمانات في الدين وأمانات الناس وذلك أن الله لم يخص بقوله ﴿عَرَضْنَا الأمَانَةَ﴾ بعض معاني الأمانات لما وصفنا»** فهناك من أنواع الأمانات:

(الأمانة في الدين وفرائضه، والأمانة في العلاقات الزوجية، والأمانة في المسئولية والقيادة، والأمانة في حفظ الجوارح، والأمانة في حفظ الودائع، والأمانة في المجالس، والأمانة في الكلمة..).

- ففي **العلاقة الزوجية أمانة؛** بل هي من أعظم صور الأمانة: ففي حجة الوداع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (.. فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ..)(أخرجه مسلم). هذا عموما في الزواج، وفي العلاقة الزوجية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ مِن **أَعْظَمِ الأمَانَةِ** عِنْدَ اللهِ يَومَ القِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إلى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا) (أخرجه مسلم).
- **أمانة المجالس وأسرارها.** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا حدَّثَ الرَّجُلُ بالحديثِ ثُمَّ التَفَتَ فهي أمانةٌ) (أخرجه أبو داود).
- **وفي سياسية الناس وقيادتهم.** ففي الصحيح أن أبا ذرٍّ قال : (قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قالَ: فَضَرَبَ بيَدِهِ علَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قالَ: يا أَبَا ذَرٍّ، إنَّكَ ضَعِيفٌ، وإنَّهَا أَمَانَةُ، وإنَّهَا يَومَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إلَّا مَن أَخَذَهَا بحَقِّهَا، وَأَدَّى الذي عليه فِيهَا) (أخرجه مسلم).
- **والأمانة في حفظ الودائع وردِّها إلى أصحابها:** وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء] وقول الله تعالى في آيات أحكام الدَّيْن: ﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ﴾ [البقرة] وكذلك في حديث جابر بن عبد الله بن حرام **وقد كان على والده دينٌ؛** فلما كان وقت جداد النخل وأراد أن يرى الغرماءُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم؛ شفاعةً به عندهم ـ وكانوا يهوداً ـ .. ففي

الحديث .. (فَما زَالَ يَكِيلُ لهمْ **حتَّى أدَّى اللَّهُ أمَانَةَ والِدِي)** (صحيح البخاري). وقد ذَكر الله تعالى فضيلةً لبعضٍ من أهل الكتاب إذا أمِنهم إنسان على قِنطار أدَّاه إليهم وإن أمِن بعضا منهم على دينار لا يؤده إليهم؛ فقال جلَّ ذِكره: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ فسبحان من كان بالعدل موصوفاً!!.

- **أمانة الكلمة (نُصحاً، وشهادةً، ومشورةً ..)** فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ﴾ [البقرة]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المستشارُ مؤتمنٌ) (أخرجه الترمذي)، وقال أيضا: (مَنْ قالَ عَلَيَّ ما لَمْ أَقُلْ، فَلْيَتَبَوَّأْ بَيْتًا في جَهَنَّمَ، ومَنْ أَفْتَى بِغَيْرِ عِلْمٍ كان إِثْمُهُ على مَنْ أَفْتاهُ، ومَنْ أَشارَ على أَخيهِ بِأَمْرٍ يَعْلَمُ أنَّ الرُّشْدَ في غَيْرِهِ فَقَدْ خانَهُ) (أخرجه أبو داود) وقال رسول صلى الله عليه وسلم (كبُرَت خيانةً أن تحدِّثَ أخاكَ حديثًا هوَ لَكَ بِهِ مصدِّقٌ، وأنتَ لَهُ بِهِ كاذبٌ) (أخرجه أبو داود .. وهو ضعيف). ومن أكبر أنواع الخيانة في الكلمة ما جاء في قصة حاطبٍ وكِتابه إلى قريش: (فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ما حَمَلَكَ علَى ما صَنَعْتَ قالَ حاطِبٌ: واللَّهِ ما بي أنْ لا أكُونَ مُؤْمِنًا باللَّهِ ورَسولِهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، **أرَدْتُ أنْ يكونَ لي عِنْدَ القَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بها عن أهْلِي ومالِي**، وليسَ أحَدٌ مِن أصْحابِكَ إلَّا له هُناكَ مِن عَشِيرَتِهِ مَن يَدْفَعُ اللَّهُ به عن أهْلِهِ ومالِهِ فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: صَدَقَ ولا تَقُولوا له إلَّا خَيْرًا فقالَ عُمَرُ: إنَّه قدْ خانَ اللَّهَ ورَسوله والمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فقالَ: **أليسَ مِن أهْلِ بَدْرٍ؟ فقالَ: لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إلى أهْلِ بَدْرٍ؟ فقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ، فقَدْ وجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ**، أوْ: فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ فَدَمعتْ عَيْنا عُمَرَ، وقالَ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ) (أخرجه البخاري) وهذه لأهل بدر؛ وأما سواهم فهي خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين.

- **أمانة الجوارح .. فهي وديعة ومُستَنطقة.** وسوف تُسأل عنها: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء] فسوف تؤدِّي هذه الجوارح أماناتٍ يجحدُها صاحبُها؛ قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النور]

وقال تبارك اسمه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [فصلتْ].

- **الأمانة في التجارة.** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (التاجرُ **الأمينُ الصَّدوقُ** المسلمُ: مع النَّبِيِّينَ، والصِّدِّيقينَ، والشُّهَداءِ يومَ القيامةِ) (أخرجه ابن ماجه في سننه).

ثالثاً: الأمانة والموصوفون بها.

ـ **الله .. هو مَن تُحفظ عنده الودائع:** فقد: (كان النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ إذا ودَّعَ رجلًا أخذَ بيدِهِ فلا يدعُها حتَّى يكونَ الرَّجلُ هوَ يدَعُ يدَ النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ ويقولُ "أستودِعُ اللَّهَ دينَكَ وأمانتَكَ وآخرَ عملِكَ وفي روايةٍ "وخواتيمَ عملِكَ") (أخرجه أبو داود)

ـ **وصف الله تعالى بها الأنبياء؛** فقال جلَّ ذِكره وتقدستْ أسماؤه عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم جميعا الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾ [الشعراء]. وعن موسى عليه السلام: ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [القصص]، وعن يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ [يوسف] ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان معروفا عند قومه بالصادق الأمين" وقال عن نفسه: (ألَا تَأْمَنُونِي وأَنَا أمِينُ مَن في السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا ومَسَاءً) (أخرجه البخاري).

ـ **جبريل** عليه السلام: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ [الشعراء].

ـ **المؤمنون:** فقد قال الله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ .. وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون] (المُسلِمُ مَن سَلِمَ المُسلِمونَ مِن لسانِهِ ويَدِهِ، **والمُؤمِنُ مَن أمِنَهُ النَّاسُ علَى دِمائِهِم**

وأموالِهِم) (أخرجه الترمذي في سننه). و(عن مصعب بن سعدٍ قال: المؤمنُ يطبعُ على الخلالِ كلِّها إِلَّا الخيانةَ والكذبَ) (الإيمان لابن أبي شيبة).

ـ **المصلُّون:** فقد ذكر الله تعالى من أوصاف المصلين أنهم يحافظون عليها: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ۝٢١ **إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ** .. وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [المعارج].

فالواجب علينا أن نُوَسِّع مفهوم الأمانة كما رأينا، وأن نقتدي بأنبياء الله تعالى عليهم الصلوات والسلام الموصوفين بالأمانة، ونسأله سبحانه وتعالى أن يُثَبِّتَها في قلوبنا.

اللقاء الحادي عشر

(مراعاة العهود)

العناصر:

الأول: التعريف بالعهد (والوعد).

الثاني: أنواع العهود (عهدٌ بيننا وبين الله تعالى، وعهد مع العباد).

الثالث: من أوصاف أهل الإيمان (الوفاء بالعهد).

الرابع: من أوصاف أهل المعصية (نقض العهود).

الموضوع:

يُعرف معنى العهد: بـ (الوصية)، و(الأمان)، (الحِفاظ ورعاية الحرمة) و(الذِّمَّة). وهو حِفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال، وعهد فلان إلى فلان أي ألقى إليه العهد وأوصاه بحفظه.

أنواع العهود:

العهد الذي بين الله وبين عباده:

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ٦٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ٦٣ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [يس] وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف] وقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام].

فالعهد الذي بين الله تعالى وبين عباده أنه سبحانه وتعالى: أمرهم بعبادته ووصاهم بها ونهاهم عن عبادة غيره؛ فكلُّ مظهرٍ من مظاهر عبادة غير الله تعالى إنما هو عِبادة للشيطان.

وإذا كان هذا هو عهده إلى العباد؛ فكذلك هو حقُّه عليهم كما جاء في حديث معاذ رضي الله عنه قال: (كُنْتُ رِدْفَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ علَى حِمارٍ، يُقالُ له: عُفَيْرٌ، قالَ: فقالَ: يا مُعاذُ، تَدْرِي ما حَقُّ اللهِ علَى العِبادِ؟ وما حَقُّ العِبادِ علَى اللهِ؟ قالَ: قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّ حَقَّ اللهِ علَى العِبادِ أنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، ولا يُشْرِكُوا به شيئًا، وحَقَّ العِبادِ علَى اللهِ عزَّ وجلَّ أنْ لا يُعَذِّبَ مَن لا يُشْرِكُ به شيئًا، قالَ: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أفَلا أُبَشِّرُ النَّاسَ، قالَ: لا تُبَشِّرْهُمْ فيَتَّكِلُوا). فهو عهدٌ بينه سبحانه وتعالى وبين عِباده، وهو حقُّه كذلك عليهم؛ بل وما خلقهم إلا له؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات].

وهناك عهدٌ جعله الله تعالى لِصِنف من الناس لا ينال غيرَهم: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة]. فالإمامة في الدين ليستْ للظالمين؛ بل هي لعباد الرحمن الذين قالوا في دعائهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان].

العهد الذي بيننا وبين العِباد:

لا تخلوا معاملات الإنسان العهود أو العقود التي بينه وبين إخوانه المسلمين وغيرهم؛ وهو مأمور فيها بالوفاء. فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ﴾ [البقرة] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾ [المائدة] وقال: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء]. وقد قال سبحانه في ردِّ زعم الزاعمين من أهل الكتاب أنه ليس عليهم في الأميين (العرب) سبيل إي: إثم أو جناح: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران].

حتى ولو كان هذا العهد مع غيرنا ممن خالفونا في ديننا وأخلاقنا؛ فقد قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: (ما مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قالَ: فأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قالوا: إنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: ما نُرِيدُهُ، ما نُرِيدُ إلَّا المَدِينَةَ، فأخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إلى المَدِينَةِ، وَلَا نُقَاتِلُ معهُ، فأتَيْنَا رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فأخْبَرْنَاهُ الخَبَرَ، فَقالَ: انْصَرِفَا، **نَفِي لهمْ بعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عليهم)** [أخرجه مُسلم].

من أوصاف أهل الإيمان (الوفاء بالعهد):

وهذه الصفة قد امتدح الله تعالى بها عِبادَه المؤمنين في غير ما موضع من كتابه؛ فقال جلَّ ذِكره: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾ [الرعد] وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة] وقال: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب] وقال تعالى في وصف أهل الإيمان وأهل الصلاة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ في موضعيْ "المؤمنون والمعارج".

وفي خبر أبي سفيان ـ قبل إسلامه ـ مع هرقل عظيم الروم: عندما سأله عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ وفيه: (أَخْبَرَنِي أبو سُفْيَانَ، أنَّ هِرَقْلَ قَالَ له: سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَزَعَمْتَ: أنَّه أمَرَكُمْ بالصَّلَاةِ، والصِّدْقِ، والعَفَافِ، والوَفَاءِ بالعَهْدِ، وأَدَاءِ الأمَانَةِ، قَالَ: وهذِه صِفَةُ نَبِيٍّ)[أخرجه البخاري].

من أوصاف أهل المعصية (نقض العهود).

وإذا كان الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين؛ فنقض العهود والعقود وعدم مراعاتها من أوصاف المنافقين والفاسقين والكافرين من اليهود والنصارى وغيرهم؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة] وقال عن أهل الكتاب: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ

مِّنْهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة] وقال عن أكثر الأمم التي أُرسلتْ إليها الرسل: ﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠١ وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف] وقال عن المنافقين: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [التوبة] وقال أيضا: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة]. وفي الحديث: (أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ومَن كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حتَّى يَدَعَهَا: إذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وإذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذَا خَاصَمَ فَجَرَ)[أخرجه البخاري].

أثر الوفاء بالعهود في الدنيا والآخرة: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة]، وقال: ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الفتح] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة] ومن الآثار المترتبة على الوفاء بالعهود لا سيما العهد الإلهي؛ قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور] وليس بين الوعد أو العهد كبير فرق.

وأثر نقضها في الدنيا والآخرة: قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد]، وقال تقدَّستْ أسماؤه: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٥٥ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ

ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٥٧ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال] وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا جَمع اللَّهُ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ يَومَ القِيامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ، فقِيلَ: هذِه غَدْرَةُ فُلانِ بنِ فُلانٍ) [أخرجه مُسلم].

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الموَفَّين بعهدهم إذا عاهدوا .. آمين

اللقاء الثاني عشر

الحافظون فروجهم

العناصر:

المقدمة.

أولاً: آيات وأحاديث في حفظ الفروج.

ثانياً: من أي شيءٍ نحفظها؟.

ثالثاً: من فضائل حفظ الفروج.

رابعاً: تشريعات لحفظ الفروج.

(الموضوع)

من الصفات التي امتدح الله بها المؤمنين والمؤمنات والتي رتَّب عليها الثواب العظيم والأجر الحسن الجزيل؛ حفظ الفروج. وهي صفةٌ تحرصُ عليها النفوس الحُرَّةُ بل وترى في إزهاق النفوسِ والأرواحِ دونها مَنْقبةً عظيمةً ومكانةً ساميةً. فلا تفرِّط فيها بأي نوع من التفريط. وكيف لا يكون أمرها كذلك وهي من صفات وارثي جِنان الخلد. فمن النصوص التي توضِّح ذلك:

أولاً: آيات وأحاديث في حفظ الفروج:

جاء في كتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ما يُجلِّي هذه المكانة ويُظهرها: فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون] ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَوَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ

وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب] ولمَّا كانت هذه الصفةُ هي الأبرز والأوضح؛ في قصة مريم عليها السلام؛ ذكرها الله عنها فقال: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء] وفي موضع آخر قال عنها: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾[التحريم]. بل وجاء الأمر بحفظها وبالأسباب المؤديةِ إلى ذلك؛ فقال جلَّ ذِكره: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور]. فغضُّ البصر سبب من الأسباب الرئيسةِ المؤدية إلى حِفظ الفروج.

وأما من سنة النبي صلى الله عليه وسلم:

فقد قال عليه الصلاة والسلام: (أتدرونَ ما أكثرُ ما يُدخلُ الناسُ النارَ؟ قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلم، قال: فإنّ أكثر ما يُدخلُ الناسُ النارَ الأجوفانِ: الفرجُ والفمُ، أتدرونَ ما أكثرُ ما يُدخلُ الناسُ الجنّةَ؟ قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلمُ ، قال: فإن أكثرَ ما يُدخلُ الناسُ الجنةَ تَقْوى اللهِ وحُسْنُ الخلقِ) [أخرجه الترمذي وأحمد]، وجاء: (أنَّ غلامًا شابًّا أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فقال: يا نبيَّ اللهِ أتأذنُ لي في الزنا؟ فصاح الناسُ به، فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قَرِّبوهُ، ادْنُ فدنا حتى جلس بين يديْهِ، فقال النبيُّ عليه الصلاةُ والسلامُ : أتحبُّه **لأُمِّكَ** فقال: لا، جعلني اللهُ فداك، قال: كذلك الناسُ لا يُحبُّونَه لِأمَّهاتِهم، أتحبُّه **لابنتِك؟** قال: لا، جعلني اللهُ فداك قال: كذلك الناسُ لا يُحبُّونَه لبناتِهم، أتحبُّه **لأختِك؟** وزاد ابنُ عوفٍ حتى ذكر **العمَّةَ والخالةَ**، وهو يقولُ في كلِّ واحدٍ لا، جعلني اللهُ فداك، وهو صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم يقولُ كذلك الناسُ لا يُحبُّونَه: فوضع رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم يدَه على صدرِه وقال: اللهمَّ طهِّرْ قلبَه واغفر ذنبَه وحصِّنْ فَرْجَه فلم يكن شيءٌ أبغضَ إليه منه) [أخرجه أحمد]، وقال عليه الصلاة والسلام: (مَن يَضْمَن لي ما بيْنَ لَحْيَيْهِ وما بيْنَ رِجْلَيْهِ، أضْمَنْ له الجَنَّةَ) [أخرجه البخاري]، وقال شكلُ بنُ حميد: (أتيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فقلتُ يا رسولَ اللهِ عَلِّمْني

تَعَوُّذًا أَتَعَوَّذُ به قال فأخذ بكَفِّي فقال قل اللهم إني أعوذُ بك من شرِّ سمعي ومن شرِّ بصري ومن شرِّ لساني ومن شرِّ قلبي ومن شرِّ مَنِيِّي يعني فَرْجَه) [أخرجه الترمذي في سننه].

ثانياً: من أي شيءٍ نحفظها؟.

يُقال: "الاستثناء دليل العموم"، فإذا ما أُمِرنا بحفظ الفروج أمراً عاما ثم جاء الاستثناء من هذا العموم؛ فيكون حفظها من كل شيء واجباً إلا ما كان بين الرجل وزوجته، أو بينه وبين مِلك يمينه؛ وليس هذا وفقط: بل إن زوجتَك ومِلكَ يمينِك أنت مقيدٌ معهما بقيود لا تتعداها.

وعلى كلِّ حال فمن أفراد هذا العموم؛ أمور ينبغي أن نحفظ فروجنا منها، وهي:

- **النظر إليها:** فـ(عن بهزِ بنِ حكيمٍ عن أبيه عن جدِّه قال قلتُ يا رسولَ اللهِ عوراتُنا ما نأتي منها وما نذرُ؟ قال احفظْ عورتَك إلا من زوجتِك أو ما ملكت يمينُكَ. قال قلتُ يا رسولَ اللهِ إذا كان القوم بعضُهم في بعضٍ قال إنِ استطعتَ أن لا يَرينَّها أحدٌ فلا يَرينَّها قال قلتُ يا رسولَ اللهِ إذا كان أحدُنا خاليًا قال اللهُ أحقُّ أن يُستحيا منهُ منَ الناسِ) [أخرجه الترمذي في سننه] وعن جرهد: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه كشف عن فخذه، فقال: غط فخذك، فإن الفخذ من العورة) [سنن الترمذي].
- **الزنا وكل وسيلة تؤدِّي إليه:** قال الله تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾ [الفرقان] وقال: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء]، بل وقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم البيعة على النساء وكان مما بايعهنَّ عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الممتحنة].
- **فعل قوم لوط (الشذوذ الجنسي عموما):** تلك الجريمة التي جمع الله لأهلها من العذاب والهلاك ما لم يجمعه لأمة كافرة قبلها ولا بعدها؛ فطمس عيونهم وأرسل عليهم حجارة من سجيل،

وخسف بقراهم فجعل عاليها سافلها؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت] ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود] وقال أيضا: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [القمر] فهذه الفعلة الشعناء والقبيحة النكراء؛ التي تدنست فيها الفِطرة فذهبت مذهباً غيرَ الذي هداها الله تعالى إليه.

ثالثاً: من فضائل حفظ الفروج:

- **دخول الجنة:** قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ... أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا صلَّت المرأةُ خمسَها وصامت شهرَها وحفِظت فرجَها وأطاعت زوجَها قيل لها ادخُلي الجنَّةَ من أيِّ أبوابِ الجنَّةِ شئتِ) [أخرجه أحمد]، وجاء في وصف أهل الجنة: (وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، **وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ** ذُو عِيَالٍ) [أخرجه مُسلم].
- **تفريج الكُربات:** في قصة سارة عليها السلام: (فَقَامَتْ تَوَضَّأُ وتُصَلِّي، فَقالَتْ: اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ آمَنْتُ بكَ وبِرَسولِكَ، وأَحْصَنْتُ فَرْجِي، إلَّا علَى زَوْجِي فلا تُسَلِّطْ عَلَيَّ الكَافِرَ) [أخرجه البخاري في صحيحه]، وفي حديث الثلاثة الذين انطبقتْ عليهم الصخرة؛ وفيهم: (وقالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِن بَناتِ عَمِّي كَأَشَدِّ ما يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّساءَ، فقالَتْ: لا تَنالُ ذلكَ مِنْها حتَّى تُعْطِيَها مِئَةَ دِينارٍ، فَسَعَيْتُ فيها حتَّى جَمَعْتُها، فَلَمَّا قَعَدْتُ بيْنَ رِجْلَيْها قالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ ولا تَفُضَّ الخاتَمَ إلَّا بحَقِّهِ، فَقُمْتُ وتَرَكْتُها، فإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنِّي فَعَلْتُ ذلكَ ابْتِغاءَ وجْهِكَ، فافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قالَ: فَفَرَجَ عنْهمُ الثُّلُثَيْنِ) [أخرجه البخاري في صحيحه].

- **في ظل الرحمن يوم لا ظل إلا ظله:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ في ظِلِّهِ، يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: .. ، **وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إلى نَفْسِهَا، قالَ: إنِّي أَخَافُ اللَّهَ،** وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأخْفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما صَنَعَتْ يَمِينُهُ) [أخرجه البخاري].
- **مغفرة الذنوب.** قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب].

رابعاً: تشريعات لحفظ الفروج.

إن المتدبر في نصوص الشريعة يجد حفظ الفروج مُحاطاً بِسياج متينٍ من الشرائع والأحكام؛ وهذا لأنه يتعلق بضرورةٍ من الضروريات الخمس؛ والتي هي: (النَّسل). **فالنَّسل:** وما يتعلق به من إلحاق الأبناء بآبائهم، وانتساب الفروع إلى الأصول والحفاظ على فراش الزوجية من التدنُّسِ، وما يترتب على عدم الحِفاظ عليه من إلحاق العار والمَسبَّة بالأهل والعشيرة؛ كل هذه أمور تُبين أهمية التشريعات التي وُضِعتْ لأجله والتي منها:

(حدُّ الزنى، وحدُّ القذف، وتشريع اللعان، حفظ البصر، والاستئذان، وعدم الخلوة بالنساء أو الدخول عليهن بغير محرمٍ، وتحريم سفر المرأة بغير محرم، وتحريم مُصافحة المرأة الأجنبية) وأدلة هذه التشريعات معروفة معلومة لمن أراد.

وأخيراً .. دعاء:

دعاءٌ في قصة الفتى الذي أراد أن يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الزنا: (اللَّهمّ اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحَصِّنْ فرْجَه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء).

(فاللهم اغفر ذنوبنا وحصِّن فروجنا وطهِّر قلوبنا)

اللقاء الثالث عشر

النفس المُسلمة

العناصر:

المقدمة.

أولاً: تعريف الإسلام وآلاتُ الاستسلام.

ثانياً: الإسلام دين الأنبياء جميعاً.

ثالثاً: فضل الإسلام.

رابعاً: أوصاف المسلمين.

خامساً: أدعية من مِشكاة النبوة.

(الموضوع)

الجنَّةُ .. دارٌ جعلها الله تعالى لعباده المُسلمين فلا يدخلها غيرهم؛ وهذا ما جاء مُصرَّحا به في آيات الذكر الحكيم وعلى لسان سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم. فقد قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ **بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ** فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة]. وكذلك جاء الخُسْران في الآخرة مُترتِّبا على من ابتغى ديناً غير الإسلام في الدنيا؛ فقال تعالى: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ **لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٨٤ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ** ﴾ [آل عمران]. وقد جاء كذلك تحريم الجنة

على غير المسلمين فقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ **حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ** وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة].

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم ـ والحديث له قصة ـ: (ثُمَّ أَمَرَ بلالًا فَنادَى في النَّاسِ: **أنَّه لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ**، وأنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هذا الدِّينَ بالرَّجُلِ الفاجِرِ) [أخرجه مُسلم].

وفي سؤال مُنكرٍ ونكيرٍ: (ويأْتِيهِ مَلَكانِ فيُجلِسانِه فيقولانِ له مَنْ ربُّك فيقولُ ربِّي اللهُ فيقولانِ له فيقولانِ له **ما دِينُك؟ فيقولُ دِينِيَ الإسلامُ**. فيقولانِ لهُ ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فِيكم فيقولُ هو رسولُ اللهِ، فيقولانِ لهُ وما يُدْرِيكَ فيقولُ قرأتُ كِتابَ اللهِ آمنْتُ وصدَّقْتُ) [أخرجه أحمد وأبو داود].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والَّذي نفسي بيدِه، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمَّةِ: يهوديٌّ أو نصرانيٌّ، ثمَّ يموتُ ولا يؤمنُ بالَّذي أُرْسلتُ به، **إلَّا كان من أصحابِ النَّارِ**)[أخرجه مُسلم].

أولاً: تعريف الإسلام وآلاتُ الاستسلام:

لن يكون هناك تعريف هو أبلغ من تعريف النبي صلى الله عليه وسلم للإسلام؛ فإذا نظرنا في سُنَّته صلى الله عليه وسلم وجدنا؛ أنه: (جاءَ جِبريلُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقال: يا مُحمَّدُ ما الإسْلامُ؟ فقال: تَعبُدُ اللهَ لا تُشرِكُ به شَيئًا، وتُقيمُ الصَّلاةَ، وتُؤْتي الزَّكاةَ، وتَصومُ رَمَضانَ، وتَحُجُّ البَيتَ، قال: فإذا فَعَلتُ ذلك فأنا مُسلِمٌ؟ قال: نَعَمْ، قال: صَدَقتَ..) [أخرجه أبو داود وأحمد]. وكذلك: (جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهِ عليهِ وسلَّمَ من أهلِ نجدٍ ثائرَ الرأسِ يُسمعُ دويُّ صوتِه ولا يُفهم ما يقول حتى دنا فإذا هو يسألُ عن الإسلامِ قال لهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خمسُ صلواتٍ في اليومِ والليلةِ، قال: هل عليَّ غيرُهنَّ ؟ قال: لا إلا أن تطَوَّعَ . قال رسولُ اللهِ: وصيامُ شهرِ رمضانَ، قال: هل عليَّ غيرُه ؟ قال: لا إلا أن تطَّوَّع . وذكر له رسولُ اللهِ الزكاةَ، فقال: هل عليَّ غيرُها ؟ قال: لا إلا أن تطَوَّعَ. فأدبر الرجلُ وهو يقول: لا أزيدُ على هذا ولا أنقصُ منهُ. فقال رُسولُ اللهِ: أفلحَ إن صدقَ)[أخرجه مُسلم].

وحديث: (قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، قُلْ لي في الإسْلامِ قَوْلًا لا أسْأَلُ عنْه أحَدًا بَعْدَكَ، وفي حَديثِ أبِي أُسامَةَ غَيْرَكَ، قالَ: قُلْ: آمَنْتُ باللَّهِ، ثم اسْتَقِمْ) [أخرجه مُسلم].

وحديث: (إنَّ للإسلام صِوًى ومنارًا كمنار الطريقِ، منها أن تُؤمنَ بالله ولا تشركَ به شيئًا، وإقامةُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وصومُ رمضانَ، وحجُّ البيتِ، والأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عن المنكر، وأن تُسلِّمَ على أهلِك إذا دخلتَ عليهم، وأن تُسَلِّمَ على القومِ إذا مررتَ بهم، فمن ترك من ذلك شيئًا [فقد ترك سهمًا من الإسلامِ، ومن تركهنَّ] فقد ولَّى الإسلامَ ظهرَه) [الإيمان لأبي عبيد].

وحديث معاوية بن حيدة القشيري: (أتَيتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حين أتَيتُه فقُلتُ: واللهِ ما أتَيتُكَ حتى حَلَفتُ أكثرَ مِن عَددِ أولاء ألَّا آتيَكَ ولا آتيَ دِينَكَ، وقد جِئتُ امرأً لا أعقِلُ شيئًا إلَّا ما عَلَّمَني اللهُ ورسولُه، وإنِّي أسألُكَ بوَجهِ اللهِ: بِمَ بَعَثَكَ اللهُ إلينا؟ قال: بالإسلامِ، قُلتُ: وما آياتُ الإسلامِ؟ قال: أنْ تقولَ: أسلَمتُ وَجهيَ للهِ وتَخلَّيتُ، وتُقيمَ الصَّلاةَ، وتُؤتيَ الزَّكاةَ) [أخرجه أحمد في المسند]. **فانظر إلى إسلام الوجه والتخلي وإلى قول: آمنت بالله وإلى أعمال الجوارح فكلها أمور تُوضِّح وتحقق معنى الإسلام.**

ثانياً: وأمّا آلاتُ الاستسلام.

فعلى المُسلم أن يستسلم بوجهه وقلبه وجوارحه كلِّها لله تعالى؛ فقد قال سبحانه: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ۖ﴾ [آل عمران] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ﴾ {النساء}. «ولا أحد أحسن دينا ممن استسلم لله ظاهرا وباطنا وأخلص نيته له وأحسن في عمله باتباع ما شرع..».

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللهَ قسَمَ بينَكُم أخلاقَكم كما قَسَمَ بيْنَكم أرزاقَكم، وإنَّ اللهَ يُعطِي المالَ مَن يُحِبُّ ومَن لا يُحِبُّ، ولا يُعطِي الإيمانَ إلَّا مَن يُحِبُّ، فمَن أعطاهُ اللهُ الإيمانَ فقدْ

أحَبَّه، والَّذي نفْسُ مُحمَّدٍ بيَدِه، لا يُسْلِمُ عبْدٌ حتَّى يُسلِمَ قلبُهُ ولسانُه، ولا يُؤْمِنُ عبْدٌ حتَّى يَأمَنَ جارُه بَوائقَه) [أخرجه أحمد وهو ضعف].

فلابد من إسلام القلب واستسلامه بين يدي مولاه. وكذلك الجوارح من اليد واللسان ظاهرا وباطنا. وذلك حتى لا يتشبه المُسلم بمن كان الإسلام على ظواهرهم والنفاق والكفر في بواطنهم.

ثالثاً: الإسلام دين الأنبياء جميعاً.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران]، ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران] فهو دين الأنبياء جميعاً: فنوحٌ عليه السلام قال الله عنه: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس] وقال الله عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أبي الأنبياء: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران] وعن موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس] وكذلك عن عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران] وقال عن سليمان عليه السلام وعن ملكة سبأ: ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [النمل].

فالأنبياء كلهم عليهم صلوات الله وسلامه؛ دينهم هو الإسلام، وإن كان ثمَّت فرق فهو في الشرائع والعبادات وأما في الأصول فقد قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى].

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الأنبياءُ إخوَةٌ لعَلَّاتٍ: دِينُهم واحِدٌ، وأُمَّهاتُهم شَتَّى) [أخرجه البخاري]. فهم كأبناء الرجل الواحد الذين تعددتْ أمّهاتُهم.

رابعاً: من فضائل الإسلام ومميزاتِه.

- **من فضائله عِصمةُ النفسِ والدمِ والمالِ:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(**كلُّ المسلِمِ على المسلِمِ حرامٌ ، دمُهُ ، ومالُهُ ، وعِرضُهُ**)** [أخرجه مُسلم]، وقال: (لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأَنِّي رَسولُ اللَّهِ، إلَّا بإحْدَى ثَلاثٍ: النَّفْسُ بالنَّفْسِ، والثَّيِّبُ الزَّانِي، والمارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَماعَةِ) [أخرجه البخاري في صحيحه]؛ فمن فضائل الإسلام: أن مَن ثبت له عقد الإسلام فقد عَصم نفسَه ودمَه ومالَه إلا أنْ يأتيَ بشيءٍ يُناقض هذا العقد أو يأتي بشيءٍ يُستحلُّ بسببه نفسُه أو دمُه أو ماله.
- **ومن فضائله:** (إذَا أحْسَنَ أحَدُكُمْ إسْلَامَهُ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ له بعَشْرِ أمْثَالِهَا إلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، وكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ له بمِثْلِهَا) [البخاري في الصحيح]، فمَن كان إسلامُه حسناً ليس كإسلام المنافقين استحق هذا الفضل العظيم؛ فالخِطاب في الحديث للمُخاطبين ولِمَن يأتي بعدهم من أمَّة النبي صلى الله عليه وسلم.
- **ومن فضائله:** (يقولُ اللهُ تعالَى: يا آدمُ! فيَقولُ: لبَّيْكَ وسعديْكَ والخيرُ في يديْكَ، فيقولُ: أخْرِجْ بعْثَ النارِ، قال: وما بَعْثُ النارِ؟ قال: من كلِّ ألْفٍ تِسعُمائةٍ وتِسعةٌ وتِسعينَ، فعِندَها يَشيبُ الصغيرُ وتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وتَرَى النَّاسَ سُكَارَى، ومَا هُمْ بِسُكَارَى، ولَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ **قالُوا: يا رسولَ اللهِ! وأيُّنا ذلِكَ الواحدُ؟ قال: أبْشِرُوا، فإنَّ مِنكمْ رجُلًا، ومِنْ يأجُوجَ ومأجُوجَ ألْفٌ، والَّذِي نفسِي بيدِهِ، أرْجُو أنْ تكونُوا رُبُعَ أهلِ الجنةِ، أرجُو أنْ تَكونُوا ثُلُثَ أهلِ الجنةِ، أرْجُو أنْ تكونُوا نِصفَ أهلِ الجنةِ، ما أنتمْ في الناسِ إلَّا كالشَّعرَةِ السَّوداءِ في جِلْدِ ثوْرٍ أبْيضَ، أو كشَعْرَةٍ بيضاءَ في جِلدِ ثوْرٍ أسْوَدَ، أوْ كالرَّقْمَةِ في ذِراعِ الحِمارِ**)[البخاري في الصحيح].
- **ومن فضائله:** (نَحْنُ الآخِرُونَ الأوَّلُونَ يَومَ القِيامَةِ، **ونَحْنُ أوَّلُ مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ**، بَيْدَ أنَّهُمْ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبْلِنا، وأُوتِيناهُ مِن بَعْدِهِمْ، فاخْتَلَفُوا، فَهَدانا اللَّهُ لِما اخْتَلَفُوا فيه مِنَ الحَقِّ، فَهذا يَوْمُهُمُ الذي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَدانا اللَّهُ له، قالَ: يَوْمُ الجُمُعَةِ، فالْيَومَ لَنا، وغَدًا لِلْيَهُودِ، وبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصارَى**)** [أخرجه مسلم في الصحيح].

• **ومن مُميزاتِه: أن الإسلامَ ديننَا قد امتاز عن غيره بأمور مجموعة في قوله تعالى:** ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة] فهذا الدين الذي هو النِّعْمة العُظمى والمِنَّةُ الكُبرى: قد أكملَه اللهُ تعالى لا غيرُه، وقد أتمَّه سبحانه لا غيرُه، وقد رضيه سبحانه وتعالى لنا دينا فلم ولن نرضى بغيره.

وإن أردتَّ أن تعلم قدر النِّعمة هذه؛ فسوف يُحدِّثك عنها مَن فقدها: (جَاءَ رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ إلى عُمَرَ، فَقالَ: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ آيَةٌ في كِتَابِكُمْ تَقْرَؤُونَهَا، لو عَلَيْنَا نَزَلَتْ، مَعْشَرَ اليَهُودِ، لَاتَّخَذْنَا ذلكَ اليومَ عِيدًا، قالَ: وَأَيُّ آيَةٍ؟ قالَ: {الْيَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَأَتْمَمْتُ عليْكُم نِعْمَتِي، وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلَامَ دِينًا}، فَقالَ عُمَرُ: إنِّي لأَعْلَمُ اليومَ الذي نَزَلَتْ فِيهِ، وَالْمَكانَ الذي نَزَلَتْ فِيهِ، نَزَلَتْ علَى رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بعَرَفَاتٍ في يَومِ جُمُعَةٍ) [أخرجه مسلم في صحيحه]. ومَن علم حالَ اليهود وما هم عليه: من حيث الاختلافُ في عدد أسفارهم المقدسة، وتحريفُهم لها بأيدهم، وإخفاؤُهم لها كذلك، ومَنْ علِم ما ألصقوه من العيوب والنقائص والمُسْتبشعات بالذات الإلهية وبأنبياء الله عز وجل علم يقينا أنه دين لم يرض الله عنه. وهذا عند اليهود. أما عند النصارى فما مِن سيئة أو قبيحةٍ عند اليهود إلا ومثلُها عند النصارى أو أشد.

• ومن مميزاته: **(كلُّ حلالٍ فيه طيِّبٌ، وكلُّ حرامٍ فيه خبيثٌ)**. فقد وصف الله تعالى نبيه في الكتب السابقة بقوله: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الأعراف] وقال عن اليهود: ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ﴾ [النساء] وقال: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام]. فليس عندنا حلالٌ حرمه الله تعالى؛ بخلاف غيرنا فقد حرَّم عليهم طيبات وكان تحريمه إياها عليهم عقوبةً لهم.

• ومن مميزاته: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء]. فلم ولن نجد في كتابنا ولا ديننا اختلافاً؛ لأنه من لدُن حكيمٍ خبير، ولأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو تنزيل من حكيم حميد سبحانه وتعالى. فليس هناك اختلاف بين أول ما نزل وآخر ما نزل، ولا بين شريعة وشريعة من العبادات أو من المعاملات، ولا بين القرآن الكريم وشرحهِ وتفسيره؛ وهو السنةُ النبوية. وإنْ كان ثمَّ تناقض أو اختلاف فإنما هو في نظر الناظر وفهمه لا في حقيقة الأمر؛ فإما أن يكون تقييدا لمطلَقٍ أو مخصِّصاً لعامٍّ أو بياناً لمجمَلٍ.

إخواني: مميزات الإسلام كثيرة جداً، فهناك مميزات في عقائده وشرائعه ومعاملاته، ومميزات لكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ومميزات لأحكامه: إذْ كلُّ قاعدةٍ من قواعد الفقه ـ العامة أو الكلية بل والجزئية ـ تصلح لأن تكون مزيةً من المميزات.

أوصاف المُسلمين:

وقد جعلتها قِسمْين:

• **الأوصاف العامة**[1]: ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنَّ للإسلامِ صُوىً ومنارًا كمنار الطريقِ، منها أن تؤمنَ بالله ولا تشركَ به شيئًا وإقامُ الصلاةِ وإيتاءُ الزكاةِ و صومُ رمضانَ وحجُّ البيتِ والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكرِ وأن تُسلِّمَ على أهلك إذا دخلْتَ عليهم وأن تسلِّمَ على القومِ إذا مررتَ بهم، فمن ترك من ذلك شيئًا، فقد ترك سهمًا من الإسلامِ ومن تركهن كلَّهنَّ فقد ولَّى الإسلامَ ظهرَه) [الإيمان لأبي عبيد]؛ ومنها قولُه عليه الصلاة والسلام: (إنَّ لِكُلِّ دينٍ خُلُقًا، وإنَّ خُلُقَ الإسلامِ الحياءُ) [ابن ماجة في السنن]، وقوله عليه الصلاة والسلام: (المسلِمونَ عند شروطِهم، إلَّا شرطًا أحلَّ حرامًا أو حرَّمَ حلالًا) [الترمذي في السنن] ومما يؤكد وصف العمومية هذا؛ والذي

---

(1) وقد قصدت بها: تلك الأوصاف التي إذا نظر الناظر إلى المجتمعِ كمجتمعٍ: حكم عليه للوهلة الأولى بأنه مجتمع مُغاير للمجتمعات الأخرى، وهذا لأجل الأوصاف العامة التي هي للمجتمع وليس للأشخاص بأفرادهم؛ وإن كان الأفراد هم القائمون بها، أو بعبارة أوضح: يُنظر في هذه الأوصاف إلى الأفعال بغض النظر عن فاعليها (كقضية الفروض الكفائية؛ فالشارع ينظر فيها إلى الفعل لا إلى الفاعل).

ينبغي تحقيقه في المجتمع الإسلامي وأن يكون ظاهرا واضحا للعيان ما جاء في قول هند بنت عتبة رضي الله عنها واصفةً حالة من الحالات المهيبة في نفوس الصحابة رضي الله عنهم والتي أثّرت عليها فذهبت بعدها مُعلِنة إسلامها؛ في فتح مكة: (إني والله، والله ما رأيت الله عُبد حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة. والله إنْ باتوا إلا مصلين قياماً وركوعاً وسجوداً)[1].

فلابد من صِناعة رأيٍ عامٍّ للمسلمين في مجتمعهم؛ فهذه (مناراتٌ ظاهرةٌ، وصوىً ـ وهي: الأحجار والهِضاب البارزة في الطريق ـ وهذه الصلوات الجماعية، وهذه الأخلاق: كالحياء، والوفاء بالشروط ..) لابد من وجودها في المجتمع بصورته العامة كي يكون الدين في النفوس وفي الأعيُن ظاهرا واضحاً؛ فالله قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٣٢ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة] فهو نور لا ينطفئ، ودينٌ حقٌّ سيظهر.

- **الأوصاف الخاصة:**

فالمُسلم من أوصافه أنه لا يتسبب في إلحاق الشرور بالآخرين؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: في الدعاء الذي علَّمه لأبي بكر رضي الله عنه: (يا أبا بكرٍ: .. أعوذُ بكَ من شرِّ نفسي ومنْ شرِّ الشيطانِ وشِركهِ وأنْ أقترفَ على نفسي سوءًا أوْ أجرَّهُ إلى مسلمٍ) [الترمذي وأحمد] وقال عن القرين الذي وُكِّل به: (ما مِنكُم مِن أحَدٍ، إلَّا وقدْ وُكِّلَ به قَرِينُهُ مِنَ الجِنِّ، قالوا: وإيَّاكَ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: وإيَّايَ، إلَّا أنَّ اللَّهَ أعانَنِي عليه فأسْلَمَ، فلا يَأْمُرُنِي إلَّا بخَيْرٍ) فالمُسلم لا يأمر إلا بخير؛ ولا يجرُّ الشرَّ إلى الغير. وقال صلى الله عليه وسلم لمَّا سُئل: (أيُّ الإسلامِ خيرٌ؟ قال: تطعم الطعامَ، وتقرأ السلامَ، على من عرفتَ ومن لم تعرف) [البخاري في الصحيح]، ولمَّا: (سُئلَ: أيُّ المسلمينَ أفضلُ؟ قالَ من سلِمَ المسلمونَ من لسانِهِ ويدِهِ) [مُسلم في الصحيح]، وقال: (مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم، وتَرَاحُمِهِم، وتعاطُفِهِمْ. مثلُ الجسَدِ إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تداعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى) [أخرجه مُسلم في صحيحه]، وقال: (مَن ستَر أخاه المسلمَ ستَره اللهُ في الدُّنيا والآخرةِ ومَن

---

(1) يُنظر ترجمتها في الإصابة في تمييز الصحابة رقم الترجمة (11996) ط: مركز هجر للبحوث والدراسات.

فرَّج عن مسلمٍ كُربةً فرَّج اللهُ عنه كُربةً مِن كُرَبِ يومِ القيامةِ واللهُ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه) [أخرجه مسلم]، وقال: (المسلمونَ تتكافأُ دماؤهُم ويسعى بذمَّتِهم أدناهُم ويردُّ عليهم أقصاهُم وهم يدٌ على من سواهم ولا يُقتَلُ مسلمٌ بكافرٍ ولا ذو عهدٍ في عهدِهِ) [أبو داود في السنن]، وقال: (ليسَ المؤمنُ بالطَّعَّانِ ولا اللَّعَّانِ ولا الفاحشِ ولا البَذيءِ) [الترمذي في السنن].

وأخيراً: دعاء.

الدعاء بالثبات والحياة على الإسلام والوفاة عليه مشهور متواتر؛ فلابد من اللهج به والاستكثار منه، فقد قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران] وقال يوسف عليه السلام في دعائه: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف] بل هذه وصية أبيه وجدِّه عليهما السلام: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة]. و: (كان النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا صلَّى على جنازةٍ قال: اللهمَّ اغفرْ لحيِّنا وميتِنا وشاهدِنا وغائبِنا، وصغيرِنا وكبيرِنا، وذكرِنا وأنثانا، **اللهمَّ من أحييتَه منَّا فأحيِهِ على الإسلامِ ومن توفَّيتَه منَّا فتوفَّهُ على الإيمانِ** [زاد بعضُهم] اللهمَّ لا تحرمنا أجرَه ولا تضلَّنا بعده) [أبو داود والترمذي]، وحمِد رسول الله صلى الله عليه وسلم ربَّه عليه: فـ(كانَ إذا فرغَ من طعامِه قالَ: الحمدُ للَّهِ الَّذي أطعَمَنا وسقانا **وجعلنا مُسلمينَ)** [الترمذي وابن ماجة وفيه ضعف].

فالحمد لله على الإسلام.

الرابع عشر

﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾

العناصر:

أولا: تعريف الإحسان، ومقوماته، وفضائله.

ثانيا: أوصاف المحسنين.

ثالثا: كيف نحقق الإحسان؟.

رابعاً: مجالات الإحسان.

خامساً: جزاء المحسنين.

الموضوع

قد جعل الله تبارك وتعالى جعل جزاء المحسنين عظيماً؛ فقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس] والحُسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى في جنَّات النعيم؛ ففي [صحيح مُسلم] عن صهيب بن سنان الرومي: (إذا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قالَ: يقولُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: تُرِيدُونَ شيئًا أزِيدُكُمْ؟ فيَقولونَ: ألَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنا؟ ألَمْ تُدْخِلْنا الجَنَّةَ، وتُنَجِّنا مِنَ النَّارِ؟ قالَ: فَيَكْشِفُ الحِجابَ، فَما أُعْطُوا شيئًا أحَبَّ إليهِم مِنَ النَّظَرِ إلى رَبِّهِمْ عزَّ وجلَّ. وفي رواية: وزادَ ثُمَّ تَلا هذِه الآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: 26]). وقال تبارك وتعالى عن الذين أسلموا من أهل الكتاب وكانوا مؤمنين بنبيهم ثم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة] فهؤلاء آمنوا بالحق واتبعوه في أيِّ مكان كانوا أو كان هذا الحق، وآمنوا به لأنه الحق لا لأنه مع هذا أو ذاك؛ فلأجل هذا وذاك

استحقُّوا هذا الوصف (المحسنون)، فما هو هذا الإحسان الذي استحقُّوا لأجله هذا الثناء العظيم وهذا الجزاء الجزيل.

أولا: تعريف الإحسان، ومقوماته، وفضائله.

ليس بعد تعريف النبي صلى الله عليه وسلم للإحسان تعريفٌ؛ فهو عليه الصلاة والسلام يكشِف الحقائقَ الشرعيةَ ويُجلِّيها أعظم جلاء لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحْيٌ يُوحى؛ فلمَّا سُئل عن الإحسان قال: **(أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ)** [أخرجه البخاري ومسلم]. فهُما مقامان؛ **أولهما** ـ وهو الأعلى ـ: مقام **المُشاهدة.** فالعبد إذا استحضر هذا المقام لا شك بأنه سيحسن العمل ويجتهد في تحسينه وإخراجه على أكمل الوجوه. **ثانيهما:** مقام **المراقبة.** وإذا استحضر العبد هذا المعنى قذف في نفسه الخوفَ من الجليل فاجتهد؛ ومِن ثمَّ أحسن العمل.

ولْنضْرِب لذلك مثلاً مادّيا يُوضِّح هذا المعنى ويكشفه؛ تلك الكاميرات "كاميرات المراقبة" التي توضع في المحلات أو الشركات أو في محلٍّ للعمل؛ فمَن أيْقن بمراقبتها وتسجيل أفعاله وحركاته لن ولم يُقصِّر في المطلوب منه. وهناك أشخاص: **سواءٌ عليهم المراقبةُ من عدمها؛** لأنهم يعملون لله تعالى وفقط.

ومن الأمثلة القرآنية التي تُذكر في هذا المقام؛ قول الله تعالى عن يونس عليه السلام: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ **أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ** سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء] فنادى ربَّه سبحانه مُستخدما في ندائه ضميرَ المخاطب؛ فكأن الله تعالى ماثلاً أمام عينيه ويخاطبه بحاجته. ومن الآيات الدالة عليه أيضا قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ **ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ** ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الشعراء] فالله تبارك وتعالى يراك لا يخفى عليه شيئ من أمرك؛ بل ولا تحْجب هذه السماوات وهذه المسافات الشاسعة أمْرَ خلقه عنه؛ ولذلك قال: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون]؛ فليستْ هذه الطرائق السبع الشداد حاجبةً لِعلم الله تعالى عن خلقه. بل إن العبد إذا شرع في عمل من الأعمال فالله سبحانه وتعالى شاهدٌ عليه قبل

أن يُفيض فيه، وحال فِعْله له؛ قال سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس].

فمقام المشاهدة ومقام المراقبة عليهما مدار الإحسان؛ الذي هو أعلى مقامات الإسلام.

ومن فضائل الإحسان بالإضافة إلى ما تقدّم ذِكْره:

أن الله تعالى جعل أهله في أمْنٍ فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون: ﴿بَلَىٰۚ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة].

وأن الحسنات الماضية قبل إسلامهم تُكْتَب، والتي بعد ذلك تتضاعف، والسيئات تُمْحى: (إذا أسلم العبدُ فحسن إسلامُه كتب اللهُ له كل حسنةٍ كان أزلفها، ومُحيت عنه كلُّ سيئةٍ كان أزلفها، ثم كان بعد ذلك القصاصُ الحسنةُ بعشرة أمثالها إلى سبعمائةِ ضعفٍ، والسيئةُ بمثلها إلا أن يتجاوز اللهُ عز وجل عنها) [أخرجه النسائي]؛ وهذا إذا كان الإسلامُ صحيحا حسناً بريئا من الشكوك. وقد قال صلى الله عليه وسلم أيضاً: (العَبْدُ إذا نَصَحَ سَيِّدَهُ، وأَحْسَنَ عِبادَةَ رَبِّهِ، كانَ له أجْرُهُ مَرَّتَيْنِ) [أخرجه البخاري]. فأجرٌ على إحسانه لربه وأجرٌ على إحسانه لسيده.

ولهم جزاءٌ في الدنيا مع ما يُدَّخرُ لهم في الآخرة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ **فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ** وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣٠ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل] فلهُم في الدنيا حسنة؛ هي: الزوجة الصالحة وطمأنينة القلب والرزق الطيب المبارك فيه والنصر والأولاد الصالحون وكل ما يطلبه أهل الإيمان والتقوى والإحسان من هذه الدنيا هو لهم، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل]. فهؤلاء لهم: (النظر إلى وجه الله تعالى

في الآخرة، والجنَّة، ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون، وتكفير ما سلف من الذنوب، ومضاعفة الحسنات، ولهم في الدنيا حسنة لا يعلم شأنها إلا الصالحون)!!.

ثانيا: أوصاف المحسنين.

ومما لا شكَّ فيه أن هذا الصِّنفَ من أهل الإسلام لهم صفاتٌ شريفةٌ وخِصالٌ منيفةٌ؛ وذلك أنَّ لهم عند الله تعالى أعلى جزاءً وأجزل ثواباً، فمِن أوصافهم:

- **تحقيق الإسلام والإيمان.** قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة]؛ فهؤلاء الذين شربوا الخمر قبل تحريمها، ثم ماتوا؛ ليس عليهم جناحٌ إذا ما حققوا الإيمان المشفوع بعمل الصالحات، ثم تقربوا إلى الله تعالى بالتقوى وزادوا بعد ذلك كلِّه فعبدوا الله تعالى كأنهم يرونه ـ والله تعالى يحبُّ من هذا وصفه ـ وهم المحسنون. فمقام الإحسان لابد فيه من تحقيق مقام الإسلام وهو الأعمال الظاهرة، وبعده مقام الإيمان وهو الأعمال الباطنة ثم يأتي الإحسان.
- **العفو والصفح وكظم الغيظ عن المسيء.** وهذا من أبرز خصائصه؛ فقد قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة].
- **بذلُ المعروف إلى الخلق.** فالمحسنون هم أهل البذل والسخاء والخير، قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة]. ومن أمْر النساء ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم عن بعضهنَّ: (أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ قيلَ: أيَكْفُرْنَ باللَّهِ؟ قالَ: يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، **ويَكْفُرْنَ الإحْسَانَ،** لو أحْسَنْتَ إلى إحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شيئًا، قالَتْ: ما رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ) [أخرجه

البخاري]. وقد قال الله تعالى في قصة قارون وقول قومه له: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص].

- **التواضع للحق والخلق،** و**رِقَّةُ قلوبِهم.** وفي ذلك قوله تعالى عن أقرب الناس إلينا مودةً ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا **وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ** ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة] ثم قال عنم: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ **وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ فلا يستكبرون عن اتباع الحقِّ ولم تتحَّجر قلوبهم ولا عيونهم ففاضتْ من الدَّمع خشية لله تعالى.

ثالثا: كيف نحقق الإحسان؟.

إن تحقيق الإحسان في نفوس المسلمين لابد وأن يكون هدفاً يُسعى إليه؛ فالله تبارك وتعالى أمرنا به فقال: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل] ومن السُّبل التي تُعين على تحقيقه؛ ما يلي:

ـ **تعظيم مقام المُراقبة في النفوس.** فالله تبارك وتعالى الرقيب والشهيد وفي هذا يقول الله تعالى على لسان عيسى عبدِه وكلمتِه ورسولِه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة]، والله تعالى يقول: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف] فالله تعالى لا يغيب عن عباده.

ـ **حثُّ النفوس على المجاهدة.** وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت].

ـ **إحْسانُك .. لنفسك لا لغيرك.** قال الله عز وجلَّ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ﴾ [الإسراء]. وقال الله تعالى أيضاً: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن].

رابعاً: مجالات الإحسان.

ليس للإحسان مجالاتٌ محدَّدة؛ ففي حديث عمرو بن شداد رضي الله عنه قال: (ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُما عن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، قالَ: إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإحْسَانَ علَى كُلِّ شيءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فأحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإذَا ذَبَحْتُمْ فأحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ) [أخرجه مسلم]. وأذكرُ شيئا من هذه المجالات فأقول:

الإحسان في عبادة الله تعالى. بأن يؤديَ العبدُ العبادةَ على الوجه الأكمل الذي يُحبه الله تعالى ويرضاه؛ فيكون في ظاهره وباطنه على حالة حسنة.

الإحسان إلى الخلق. ببذل الإنعام والمعروف لهم؛ فيُعلِّمهم ما ينفعهم ويعطيهم من أمواله وجاهه وبدنه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فيدفع عنهم الأذى عن أعراضهم وأبدانهم وأموالهم؛ بل وعن طُرقهم كذلك.

الإحسان إلى الحيوانات. وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإحْسَانَ علَى كُلِّ شيءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فأحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإذَا ذَبَحْتُمْ فأحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ) [أخرجه مسلم] فإذا ما وصل الإحسان مع هذا الحيوان البهيم إلى هذه الحالة ـ الذبح ـ فما قبلها من الحالات رِعايةً وقياماً على شؤونه أولى. والأحاديث في ذلك معروفة كالذي دخل الجنة بسبب سِقاية كلب عطشان، وكذلك المرأة التي دخلت النار بسبب هِرة حبستها.

خامساً: جزاء المحسنين.

تضافرتِ النصوصُ القرآنيةُ والأحاديثُ النبويةُ وتكاثرتْ على عِظم جزاء المحسنين؛ فقال جلَّ ذِكره مؤكِّداً محبتَه لهم: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة]، وقال نافيا عنهم الإثم والحرج والجناح: ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة]، وقد ذكر سبحانه قُرب رحمته منهم فقال: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف]، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن

يُبشرهم بعظيم الأجر والثواب والقبول لأعمالهم؛ وذلك بعدما سمحتْ نفوسهم وطابتْ بالإنفاق والبذل فنحروا بُدُنَهم وأطعموا الفقير المتعفف والمتعرِّض بالسؤال فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الحج] وذلك أن الشأن كلَّ الشأن هو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [التوبة] وقال الله تعالى ذاكرا معيتَه لهم وكفى بها ثواباً: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت]، **ولمَّا كان وصفهم الإحسان والعطاء والزيادة عن ما وجب عليهم؛ كافئهم الله تعالى بالزيادة** فقال: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة] فمن تقرب من الله شبرا تقرب منه ذراعا كما في الحديث، وجزاء الإحسان عند الله تعالى الإحسان وهو أهله سبحانه وتعالى ومنه يُطلب المزيد. وقد قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس] فلهم الجنَّةُ من الله تعالى فضلاً وكذلك لهم الزيادة وهي النظر إلى وجه الله تعالى تفضلاً ومِنَّةً ورضا.

فالله تعالى يُحبهم، ولا يُضيِّع أجر أعمالهم، وكافئهم بزيادة مِن عنده، ووعدهم بهدايتهم، وأنه قريب منهم، وبشرهم بالخيرات وأعلاها الجنة وأعلى منه النظر إلى وجه الله تعالى .. رزقنا الله تعالى وإياكم.. آمين

وخِتاماً .. ﴿ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ ﴾ **فالمُحسن يسعى لنفسه لا لغيره.**

والحمد لله رب العالمين

الخامس عشر

(الصادقون)

العناصر:

مُقدمة.

أولاً: تعريف الصدق وأهميته وفضائله.

ثانياً: مجالات الصدق.

ثالثاً: الموصوفون بالصدق.

رابعاً: جزاء الصادقين.

(الموضوع)

وعَد الله سبحانه وتعالى الصادقين بجناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ورِضوانٍ منه سبحانه؛ فقال: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ **لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ** رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [المائدة] وقال سبحانه أيضاً بعد أنْ ذَكر متاع الحياة الدنيا: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ **ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ**﴾[آل عمران].

فما هذا الذي كان سببا في هذا الجزاء: (الجنة .. وخالدون فيها) (أزواج مطهرة) و(رضْوان من الله؛ وهو أكبر) وكذلك: (هُم عن الله راضون) ولأجل هذا وغيره .. كان الوقوف مع هذه الفئة

الموصوفة بهذا الوصف الشريف المنيف له أهميةٌ كبيرةٌ؛ نُوَضِّح فيها حدَّه، والموصوفين به، وأوصافَهم، وجزاءَهم في الدنيا والآخرة .. وغير ذلك مما سيظهر من خلال هذا اللقاء.

أولاً: تعريف الصدق وأهميته وفضائله.

أما **تعريفه**؛ فقيل فيه هو: «الخبر عن الشيء على ما هو به، وهو نقيض الكذب».

وأمَّا **أهميته وفضائله** فتظهر من خلال هذه النصوص:

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ **وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ** ... أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب].

وقد ثبت: (أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ومُعاذٌ رَدِيفُهُ علَى الرَّحْلِ، قَالَ: يا مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ، قَالَ: لَبَّيْكَ يا رَسولَ اللَّهِ وسَعْدَيْكَ، قَالَ: يا مُعَاذُ، قَالَ: لَبَّيْكَ يا رَسولَ اللَّهِ وسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا، قَالَ: **ما مِن أحَدٍ يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِن قَلْبِهِ،** إلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ علَى النَّارِ، قَالَ يا رَسولَ اللَّهِ: أفلا أُخْبِرُ به النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: إذًا يَتَّكِلُوا وأَخْبَرَ بهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا) [أخرجه البخاري].

وقد **جعله الله تعالى سببا من الأسباب الموصِّلة إلى الجنة**؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتَّى يَكونَ صِدِّيقًا. وإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا) [أخرجه البخاري ومسلم]. وكيف لا يكون كذلك؟ والبِّرُ الذي يهدي الصدق إليه؛ قد شمَل أعمال الدين كلِّها ظاهرة وباطنةً فقال جلَّ ذِكْره: ﴿**لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ (مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ) (وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ) (وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ) (وَءَاتَى**

ٱلزَّكَوٰةَ) (وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ) (وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة].

وكان مِن جزاءِ المُطيعين لله تعالى وللرسول صلى الله عليه وسلم أن يكونوا في رُفْقةٍ حسنة؛ وهي: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء].

ومن فضائله (أن فيه النجاةَ): فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن ثلاثة نفر آواهم المبيت إلى غار فدخلوه؛ ثم انطبقت عليهم الصخرة؛ فسدَّت عليهم الغار، فلم يستطيعوا دفْعَها؛ فقالوا: (فَقالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إنَّه واللَّهِ يا هَؤُلَاءِ، **لا يُنْجِيكُمْ إلَّا الصِّدْقُ**، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنكُم بما يَعْلَمُ أنَّه قدْ صَدَقَ فِيهِ) [أخرجه البخاري].

وكذلك ما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار عندما فاجأه الوحي في **غار حراء: (**قالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، أبْشِرْ فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا، فَوَاللَّهِ إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، **وتَصْدُقُ الحَدِيثَ**، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوَائِبِ الحَقِّ) [أخرجه البخاري].

وكذلك ما حدث في قصة كعب بن مالك عندما تخلف عن غزوة تبوك؛ وجاء فيها: (فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّ اللَّهَ **إنَّما نَجَّانِي بالصِّدْقِ**، وإنَّ مِن تَوْبَتي أنْ لا أُحَدِّثَ إلَّا صِدْقًا ما بَقِيتُ. فَوَ اللَّهِ ما أعْلَمُ أحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ أبْلَاهُ اللَّهُ في صِدْقِ الحَديثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذلكَ لِرَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، أحْسَنَ ممَّا أبْلَانِي..) [أخرجه البخاري].

فإياك ثم إياك أن تنخدع بنجاة ساعة تأسستْ على الكذب .. فبعد هذه الكِذبة تأتي كذباتٌ أخرى وتجد نفسك غارقا في بحار من الخوف والقلق والحيرة والتيه .. وسبب ذلك كُلِّه هو: (الكذب الذي ظننته نجاةً).

ثانياً: مجالات الصدق.

لا ينحصر الصدق فقط في الجانب اللفظي؛ بل هناك (صِدق في القول) و(صدق في الفعل) و(صدق في النية).

فأمَّا صدق النية ـ وهو أهمها ـ؛ فقد قال الله تعالى عن المنافقين كاشفاً كذبَ نواياهم وعهودِهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون]، وقال: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ []التوبة]. فقد قالوا بألسنتهم الشهادة وكذَّبهم الله فيها إذْ خالفتْ مكنونَ قلوبهم، وكذلك في عهدهم مع الله تعالى إنْ آتاهم من فضله سيتصدقوا؛ فلما أعطاهم بخلوا وخالفوا العهد والميثاق فكانوا كاذبين. ولما كان المنافقون بهذا الوصف؛ كان المهاجرون والأنصار من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم موصوفين بما يُخالف وصف النفاق: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر]. وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ﴾ [الفتح].

وأمَّا صَدق الفعل:

وهو ينبني على صدق النوايا؛ يقول ابن القيم رحمه الله: «والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد». فصدق الفعل يكون على حسْب اتباع الأمر الإلهي؛ لذلك كان من الأوصاف الذميمة قول الله تعالى عن قوم يهود: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف]، وقد كان أناس يحلفون بالله إنهم على الهدى والاستقامة فيجري المُسلمون عليهم الأحكام الظاهرة، ويظنون ذلك نافعهم في

الآخرة؛ ولكن الله كذبهم بهذا الفعل فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ **أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ**﴾ [المجادلة].

مرَّ معنا حديثُ الثلاثةِ الذين دخلوا الغار؛ وكيف كان أثر صدق الأفعال سببا في نجاتهم. وهاك هذا الأثر عن سفيان بن عيينة: «مَنْ تَزَيَّنَ لِلنَّاسِ بِشيء يَعْلَمُ اللهُ مِنْهُ غَيْرَ ذَلِكَ شَانَهُ اللهُ»؛ فإياك من الأعمال ولباس الزور، فـ: (المُتَشَبِّعُ بما لَمْ يُعْطَ كَلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ) [أخرجه البخاري].

وأما صدق اللسان. فهو المعروف عِندنا جميعا وله آحاديث توضِّح أمره فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أربع إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك في الدنيا: حفظ أمانة، **وصدق حديث،** وحسن خليقة، وعفة في طعمة) [أخرجه أحمد]. وقال عليه الصلاة والسلام: (اضْمَنوا لي سِتًّا مِن أنفُسِكم أضمَنْ لكمُ الجنَّةَ: **اصْدُقوا إذا حدَّثْتُم،** وأَوفُوا إذا وعَدْتُم، وأدُّوا إذا اؤتُمِنْتُم، واحفَظوا فُروجَكم، وغُضُّوا أبْصارَكم، وكُفُّوا أيدِيَكم) [البيهقي في شعب الإيمان]. وفي قصة هرقل عظيم الروم قال هرقل: فماذا يأمركم ــ يعني النبي صلى الله عليه وسلم ــ قال أبو سفيان قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، **والصدق،** والصدقة، والعفاف، والصلة) [أخرجه البخاري].

ثالثاً: الموصوفون بالصدق. ومنهم:

ــ **الله تعالى.** فقال تعالى عن نفسه: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام] وقال عن كلماته: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام] وقال عن حديثه وقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء] وقال أيضاً: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء] بل وأمرنا أن نقول: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ﴾ [آل عمران].

ـ **الأنبياء** عليهم الصلاة والسلام. بل يستحيل عليهم ان يُصوفوا بغير الصدق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد قال الله عن إبراهيم، وإدريس:﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم] وعن

إسماعيل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم] وقال عن جمعٍ من ذرية إبراهيم: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم] وهذا وصف المشركين لرسول الله الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم: (ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا) [أخرجه البخاري]

ـ **اللسانُ**. فهذا إبراهيم عليه السلام يسأل ربه قائلاً: ﴿ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء]

ـ **المَقعد، والمُخرج، والمُدخل**. قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء]، وقال جلَّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [الدخان]. أن يكون مجلسنا ومخرجنا ومدخلنا بوصف الصدق؛ للإصلاح والتقوى ولعمل الخيرات وترك المنكرات لا رياء فيها ولا سُمعة.

وأخيراً .. قد أمرنا الله تعالى أن نكون مع الصادقين؛ بعد آيات ظهرتْ فيها آثار الصدق على أهله في الدنيا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾. كما أنهم ينتفعون به في الآخرة وقد سبق دليل ذلك.

فاللهم إنا نسألك أن نكون معهم دنيا وأخرى .. والحمد لله رب العالمين.

السادس عشر

الشُّهداء

العناصر:

مقدِّمة.

أولاً: من هم الشهداء؟.

ثانياً: ما هي فضائلهم وما الذي أعدّه الله تعالى لهم؟.

ثالثاً: منزلةُ الشهادةِ وسَعتُها.

رابعاً: تنبيهات مهمَّات.

(الموضوع)

الشهادةُ في سبيل الله من أعظم الأعمال التي رتَّبَ الله تعالى عليها أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً، ولن يجد العبدُ لها مَثلاً يُكافئها؛ فقد: (جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقَالَ: دُلَّنِي علَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ، قَالَ: لا أجِدُهُ، قَالَ: هلْ تَسْتَطِيعُ إذَا خَرَجَ المُجَاهِدُ أنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ ولَا تَفْتُرَ، وتَصُومَ ولَا تُفْطِرَ؟ قَالَ: ومَن يَسْتَطِيعُ ذلكَ؟! قَالَ أبو هُرَيْرَةَ: إنَّ فَرَسَ المُجَاهِدِ لَيَسْتَنُّ في طِوَلِهِ، فيُكْتَبُ له حَسَنَاتٍ) [أخرجه البخاري]، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر فقال: (ما أحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أنْ يَرْجِعَ إلى الدُّنْيا وله ما علَى الأرْضِ مِن شيءٍ **إلَّا الشَّهِيدُ**، يَتَمَنَّى أنْ يَرْجِعَ إلى الدُّنْيا، فيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِما يَرَى مِنَ الكَرامَةِ) [أخرجه البخاري]. وقد وعد الله تعالى المجاهدين بالجنّة فقال جل ذِكْره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة]. وهذا الوعد الحقّ، جعله الله

تعالى على نفسه تفضُّلاً منه وكرما، وهو مذكورٌ في التوارة والإنجيل كذلك، وليس هناك أحدٌ أوْفى بعهده من الله تعالى.

أولاً: من هم الشهداء؟.

الشهداء درجات بعضها فوق بعض؛ **فأعلاها** وهم الذين قُتِلوا في سبيل الله تعالى؛ وقد بيَّنهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم بقوله عندما: (قالَ له أَعْرَابِيٌّ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، والرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، ويُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، مَن في سَبيلِ اللَّهِ؟ فَقالَ: **مَن قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هي العُلْيَا، فَهو في سَبيلِ اللَّهِ)** [أخرجه البخاري]. فهذه أعلى المنازل؛ وكيف لا تكون تلك المنزلة بأعلى المنازل وقد بذلوا أرواحهم ودماءهم وأفئدتهم لله عز وجل طيِّبةً بذلك نفوسهم ومطمئنَّةً بها قلوبهم. فهُمُ الذين قاتلوا في سبيل الله وقُتِلوا؛ فلم يَخرجوا رياءً ولا سمْعة ولم يخرجوا للأجل المغنم وإنما كان هدفهم: (أن تكون كلمة الله هي العليا)، وليس أمراً آخر.

ثم تأتي بعد ذلك درجات أخرى للشهادة؛ فقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري: «وقد اجتمع لنا ـ في أسباب الشهادة ـ من الطرق الجيدة أكثرُ من عشرين خصلة». منها:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) [أخرجه البخاري]. وعند النسائي: (قالَ رسولُ اللَّهِ: الشَّهادةُ سبعٌ سوى القتلِ في سبيلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ المطعونُ شَهيدٌ والمبطونُ شَهيدٌ والغريقُ شَهيدٌ وصاحبُ الْهدمِ شَهيدٌ وصاحبُ ذاتِ الجنبِ شَهيدٌ وصاحبُ الحرقِ شَهيدٌ والمرأةُ تموتُ بجمعٍ شَهيدةٌ).

وقال أيضا: (مَنْ قُتِلَ دُونَ مالِهِ فهوَ شَهيدٌ. ومَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فهوَ شَهيدٌ. ومَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فهوَ شَهيدٌ، ومَنْ قُتِلَ دُونَ أهلِهِ فهوَ شَهيدٌ) [سنن الترمذي]. وغير ذلك من الخصال التي تُوجِبُ لصاحبها أجر الشهادة ..، والله أعلم.

وعلى ذلك فالشهيد له ثلاثة أحوال: (شهيد في الدنيا والآخرة)، و(شهيد في الدنيا دون الآخرة) وهو الذي قاتل وقُتِل ولكنه خرج لا لله ولكن لشيءٍ آخر سواه. و(شهيد في الآخرة دون الدنيا) وهو الذي يُشارك شهداء المعركة في بعض فضائلهم وهم الأسباب الباقية التي ذُكِر بعضها آنفا.

ثانياً: منزلةُ الشهادةِ.

هذه المنزلة من أعلى منازل الإسلام، **فهي التجارة التي رِبحُها:** مغفرةُ الذنوب، والنجاةُ من العذاب الأليم، ودخولُ جناتِ النَّعيم ذات الأنهار الجارية والمساكن الطيبة؛ فقد قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف].

وهي كذلك **ذِروةُ سنامِ الإسلام؛** فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه: (ألا أُخْبِرُك برأسِ الأمرِ وعمودِه وذروةُ سنامِه؟. قلتُ: بلى يا رسولَ اللهِ! قال: رأسُ الأمْرِ الإسلامُ، وعمودُه الصلاةُ، وذروةُ سنامِه الجهادُ) [أخرجه الترمذي].

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (يا أبا سَعِيدٍ، مَن رَضِيَ باللَّهِ رَبًّا، وبالإسْلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا؛ وجَبَتْ له الجَنَّةُ. فَعَجِبَ لها أبو سَعِيدٍ، فقالَ: أعِدْها عَلَيَّ يا رَسولَ اللهِ، فَفَعَلَ، ثُمَّ قالَ: وأُخْرَى يُرْفَعُ بها العَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ في الجَنَّةِ، ما بيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كما بيْنَ السَّماءِ والأرْضِ، قالَ: وما هي يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: الجِهادُ في سَبيلِ اللهِ، الجِهادُ في سَبيلِ اللَّهِ) [أخرجه مُسلم].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بنْتَ البَرَاءِ وهي أُمُّ حَارِثَةَ بنِ سُرَاقَةَ أتَتِ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقَالَتْ: يا نَبِيَّ اللَّهِ، ألَا تُحَدِّثُنِي عن حَارِثَةَ، وكانَ قُتِلَ يومَ بَدْرٍ أصَابَهُ سَهْمٌ

غَرْبٌ، فإنْ كانَ في الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وإنْ كانَ غيرَ ذلكَ، اجْتَهَدْتُ عليه في البُكَاءِ، قَالَ: يا أُمَّ حَارِثَةَ إنَّهَا جِنَانٌ في الجَنَّةِ، **وإنَّ ابْنَكِ أصَابَ الفِرْدَوْسَ الأعْلَى)** [أخرجه البخاري].

ومن فضيلة هذه المنزلة أن رباط يوم في سبيل الله أو غدوة أو روحة خير من الدنيا وما فيها؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام: (رِبَاطُ يَومٍ في سَبيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا، ومَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا، والرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ في سَبيلِ اللَّهِ، أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا) [أخرجه البخاري].

وقال لمن أراد أن يعتزل في بيته لشيء أعجبه: (لا تفعلْ. فإنَّ مقامَ أحدِكم في سبيل اللهِ أفضلُ منْ صلاتِهِ في بيتِهِ سبعينَ عامًا، ألا تحبُّون أن يغفرَ اللهُ لكمْ، ويدخلُكم الجنةَ؟ اغزُوا في سبيلِ اللهِ، منْ قاتلَ في سبيلِ اللهِ فُواقَ ناقةٍ وجبتْ لهُ الجنةُ) [أخرجه الترمذي في سننه].

ثالثاً: ما هي فضائلهم وما الذي أعدّه الله تعالى لهم؟. منها:

أن الله تبارك وتعالى **أنْعمَ عليهم، وجعلهم رفيقا حسناً لمن أطاعه وأطاع ورسوله** صلى الله عليه وسلم؛ فقال جلّ ذِكره: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء].

ومنها: أنهم أحياءٌ عند ربهم يُرزقون؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران].

ومنها: أن لهم أجراً ونوراً؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْۖ﴾ [الحديد] فهؤلاء لهم الثواب العظم ولهم نور عظيم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم.

ومنها: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: (قِيلَ: يا رَسولَ اللَّهِ أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ؟ فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ في سَبيلِ اللَّهِ بنَفْسِهِ ومَالِهِ، قالوا: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: مُؤْمِنٌ في شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ، ويَدَعُ النَّاسَ مِن شَرِّهِ) [متفق عليه].

ومنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر: (قُومُوا إلى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأرْضُ) [أخرجه مسلم].

ومنها: أن الله تعالى خفف عليه ألمَ القتل؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (ما يجدُ الشهيدُ من مَسِّ القتلِ إلا كما يجدُ أحدكم من مَسِّ القَرْصَةِ) [أخرجه الترمذي في سننه].

رابعاً: تنبيهات مهمَّات.

التحدُّث بالغزو. فلابد للمسلم أن يُحدِّث نفسه بالغزو والجهاد في سبيل الله تعالى: (مَن ماتَ ولَمْ يَغْزُ، ولَمْ يُحَدِّثْ به نَفْسَهُ، ماتَ علَى شُعْبَةٍ مِن نِفاقٍ) [أخرجه مسلم]، وكذلك ينبغي عليه أن يسأل الله تعالى الشهادة في سبيله ويكون صادقا في سؤاله فقد قال عليه الصلاة والسلام: (مَن سَأَلَ اللَّهَ الشَّهادَةَ بصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنازِلَ الشُّهَداءِ، وإنْ ماتَ علَى فِراشِهِ) [أخرجه مسلم].

تجهيز الغزاة: وهذا من الواجبات على الجميع فلا بد من تجهيزهم وأن نُخلفَهم في أهليهم بالخير؛ ففي ذلك أجرٌ عظيم، فقد قال الله تعالى: (مَن جَهَّزَ غَازِيًا في سَبيلِ اللَّهِ فقَدْ غَزَا، وَمَن خَلَفَ غَازِيًا في سَبيلِ اللَّهِ بخَيْرٍ فقَدْ غَزَا) [أخرجه البخاري ومسلم].

لا يُقال فلان شهيد إلا بنصٍّ. ترجم البخاري في كتابه الصحيح لقصة رجل كان يقاتل في سبيل الله ولا يدع شاذة ولا فاذّة إلا اتبعها بسيفه؛ حتى قال الصحابة عنه (ما أجزأ أحد منا اليوم مثلُ فلان ..) قال البخاري في ترجمته باب: (لا يُقال فلانٌ شهيد)، وكان هذا الرجل في خاتمة أمره أنه استعجل الموتَ فقتل نفسه بسيفه.

وكذلك جاء أنه: (لَمَّا كانَ يَوْمُ خَيْبَرَ، أَقْبَلَ نَفَرٌ مِن صَحابَةِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فقالوا: فُلانٌ شَهِيدٌ، فُلانٌ شَهِيدٌ، **حتَّى مَرُّوا علَى رَجُلٍ، فقالوا: فُلانٌ شَهِيدٌ، فقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: كَلّا،** إنِّي رَأَيْتُهُ في النَّارِ في بُرْدَةٍ غَلَّها، أوْ عَباءَةٍ) [أخرجه مسلم]. والعلةُ في عدم إطلاق هذا القول: أنه تزكية وحكم له بالجنة؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نَفْسِي بيَدِهِ لا يُكْلَمُ أَحَدٌ في سَبيلِ اللَّهِ، **واللَّهُ أَعْلَمُ بمَن يُكْلَمُ في سَبيلِهِ** إلَّا جَاءَ يَومَ القِيَامَةِ، واللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، والرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ) [أخرجه البخاري].

(والحمد لله رب العالمين)

في

الفضاء المجتمعي

شكوتُ وما الشكوى لمثلي عادةً ...

ولكنْ تفيضُ الكأسُ عند امتلائـها

"أبو تمَّام"

أولاً: أهمَّية الرأي العام

العناصر:

مُقدِّمة وتوطئة.

أولاً: أهمية الرأي العام (المعنى والأدلة).

ثانياً: خطورة إهماله والتأثير السلبي عليه.

ثالثاً: كيفية صنع الرأي العام الصالح.

(الموضوع)

حادثة تحريم الخمر؛ والتي جاء فيها قول أنس بن مالك رضي الله عنه: **(**كُنْتُ سَاقِيَ القَوْمِ يَومَ حُرِّمَتِ الخَمْرُ في بَيْتِ أَبِي طَلْحَةَ، وَما شَرَابُهُمْ إلَّا الفَضِيخُ: البُسْرُ وَالتَّمْرُ، فَإِذَا مُنَادٍ يُنَادِي، فَقالَ: اخْرُجْ فَانْظُرْ، فَخَرَجْتُ، فَإِذَا مُنَادٍ يُنَادِي: أَلَا إنَّ الخَمْرَ قدْ حُرِّمَتْ، قالَ: **فَجَرَتْ في سِكَكِ المَدِينَةِ)** [أخرجه البخاري ومسلم]، وكذلك قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك؛ وكان من أمر توبتهم مُقاطعة المجتمع المدني كلِّه لهم مُدَّةَ خمسين يوما [والقصة أخرجها البخاري وغيره] وغيرها من القصص التي يظهر فيها صورة المجتمع ككل ومقدار تماسكه بأوامر دنيه وشريعته؛ **فيؤمَرون بمقاطعة أصحابهم فيقاطعوهم جميعا حتى نساؤهم!!** ويؤمرون بترك مشروبٍ ألفوه دهرا طويلا فتجري سِكَكُ المدينة منه.

فكيف لنا الحصول على صورة من صُور صنع هذا الرأي العام؛ الذي يجعل صورة المسلمين الظاهرة ـ أمام الناظرين ـ صورةً نظيفة نقية بيضاء طاهرة، لا يؤثر على طهارتها ونقائها خطأُ فرد من أفرادها؛ وهو موضوع اللقاء:

أولاً: أهمية الرأي العام (المعنى والأدلة).

أمَّا المعنى فـ:«هو تصوُّرٌ معلَنٌ، إزاء مسألة أو مشكلة هامة وعامة، يترتب عليه موقف عملي إزاء المسألة موضوع الرأي».

فما هو رأي الجماعة المُسلمة المُعلن عن دينها، وشرائعها، وغاياتها، وأخلاقها، ونظامها، ووسائلها.. وغير ذلك من الأمور التي تُشكِّلُ السَّمْتَ العامَ والهديَ الظاهرَ ويُشبه ذلك في المجال

الفقهي ما اعتمدتْه بعض المذاهب الفقهية من القاعدة المعروفة بـ (عمل أهل المدينة) في المذهب المالكي.

وأمَّا الأدلة الموضِّحة لأهميته فكثيرة جداً؛ ومن أبرزها ما يلي:

قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء] فهذه العقوبة لأحد الأمرين فمن شاق الرسول صلى الله عليه وسلم، أو اتبع غير سبيل المؤمنين له هذا العقاب الأليم.

وينبغي كذلك لفْتَ النَّظر إلى أن الله تعالى جعله في (سبيل المؤمنين) لا الفاسقين الفاسدين الصادِّين الناس عن دين الله عز وجل؛ فلا عِبرة بسبيلهم ولو كانوا كثرة كاثِرةً.

قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يا عائِشَةُ، لَوْلا أنَّ قَوْمَكِ حَديثُو عَهْدٍ بشِرْكٍ، لَهَدَمْتُ الكَعْبَةَ، فألْزَقْتُها بالأرْضِ، وجَعَلْتُ لها بابَيْنِ: بابًا شَرْقِيًّا، وبابًا غَرْبِيًّا، وزِدْتُ فيها سِتَّةَ أذْرُعٍ مِنَ الحِجْرِ، فإنَّ قُرَيْشًا اقْتَصَرَتْها حَيْثُ بَنَتِ الكَعْبَةَ) [أخرجه مسلمٌ].

وعندما قال عبد الله بن أبي بن سلول: "وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ". قالَ عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ: «دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هذا المُنَافِقِ»، فَقالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دَعْهُ، لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ) [أخرجه مسلم].

فمن هذين الحادثتين يتبين من خلالهما أهمية مُراعاة العرف العام أو الرأي العام في الشريعة الإسلامية.

ولأهميته جعل النبي صلى الله عليه وسلم كلَّ أمَّتِه معافاةٌ؛ إلا من يؤثر على الرأي العام أو يتسبب في إيذائه؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ أُمَّتي مُعافاةٌ، إلَّا المُجاهِرِينَ، وإنَّ مِنَ الإجْهارِ أنْ يَعْمَلَ العَبْدُ باللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحُ قدْ سَتَرَهُ رَبُّهُ، فيَقولُ: يا فُلانُ قدْ عَمِلْتُ البارِحَةَ كَذا وكَذا، وقدْ باتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، فَيَبِيتُ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، ويُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عنْه) [أخرجه مسلم] فتحديثُه بفعله هذا إنما هو خدشٌ في سِتْر هذا الرأي العام.

وإذا كان من يؤذي الناس بقاذورات بدنه وفضلاته قد عرَّض نفسه للعن كما في الحديث: (أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قالَ: اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ قالوا: وَما اللَّعَّانَانِ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: الذي يَتَخَلَّى

في طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ في ظِلِّهِمْ) [أخرجه مسلم]؛ **فلاشك أن مَن يؤذي الناس بآرائه الفاسدة ويُغيِّر عقيدتهم ويؤثِّر في فطرتهم أحقُّ باللعن من هذا الذي يؤذيهم بنجاسته.**

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَن فارَقَ الجَماعةَ شِبرًا، خلَعَ رِبْقةَ الإسلامِ من عُنُقِه) [أخرجه أحمد]. ولن يُفارق الجماعة إلا رجلٌ هانتْ عليه نفسه فاستهان بحدود الله تعالى ومحارمه وأصبح مُرتكباً لها جهرة دون مُراعاة لآداب الإسلام الخاصة في نفسه أو العامة في تعاملاته؛ فكان رأيُ العامَّة عنه من الناس المُحيطين به؛ له عند الله تعالى أثر في نجاته وهلاكه يوم القيامة؛ فقد جاء في الحديث: (مُرَّ بجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَمُرَّ بجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، قالَ عُمَرُ: فِدًى لكَ أَبِي وَأُمِّي، مُرَّ بجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ، فَقُلْتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَمُرَّ بجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ، فَقُلْتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ؟ فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: **مَن أَثْنَيْتُمْ عليه خَيْرًا وَجَبَتْ له الجَنَّةُ، وَمَن أَثْنَيْتُمْ عليه شَرًّا وَجَبَتْ له النَّارُ**، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ في الأرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ في الأرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ في الأرْضِ) [أخرجه مسلم].

ثانياً: خطورةُ إهماله والتأثيرُ السلبي عليه.

يوضِّح خطورةَ إهمالِه والتأثير السلبي بشيوع المنكرات والخبائث؛ حتى تكون عامةً مُكوِّنة ما يُسمَّى في اصطلاح الأصولين بالعرف الفاسد؛ ما جاء من أنه قد: (اسْتَيْقَظَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِنَ النَّوْمِ مُحْمَرًّا وجْهُهُ يقولُ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، ويْلٌ لِلْعَرَبِ مِن شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليومَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِثْلُ هذِه وعَقَدَ سُفْيَانُ تِسْعِينَ أوْ مِئَةً قيلَ: أنَهْلِكُ وفينَا الصَّالِحُونَ؟ **قالَ: نَعَمْ، إذَا كَثُرَ الخَبَثُ)** [أخرجه البخاري ومسلم].

فإذا ما أهْمَلنا هذا الأمر؛ فأصبح مجتمعنا يعجُّ بالمنكرات الظاهرة ويُكوِّنُ رأيا عاما فاسدا وتوجهاً جارفاً حول ثوابتنا وثقافتنا فالهلاك آتٍ آتٍ لا محالة، فمثلاً:

ما هو التصوُّر المعلَن إزاء مسألة: (الحجاب والتبرج، والخمور والمسكرات والمخدرات..)؟.

ما هو التصوُّر المعلَن إزاء مسألة: (الربا والقمار والرشوة، والحِيل في أكل أموال الناس بالباطل..)؟.

ما هو التصوُّر المعلَن إزاء مسألة: (التمثيل والمسلسلات والأفلام والأغاني والموسيقى..)؟.

ما هو التصوُّر المعلَن إزاء مسألة: (علاقات الرجال بالنساء: زواجاً وطلاقاً وخُلعاً واختلاطاً..)؟.

ما هو التصوُّر المعلَن إزاء مسألة: (المرأة والأسرة وحقوقهما ـ الإرث والوظيفة والتَّعدُّد..)؟.

ما هو التصور المعلن إزاء مسألة الأطفال والشباب ـ والمراهقين منهم على الخصوص ـ، مُشكلاتُهم، وتفاهاتُهم، وسلوكياتُهم، وتعليميُهم، ..؟

ما هو التصوُّر المعلَن إزاء مسألة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يتبعها من الوظائف الدينية؟.

كلُ هذه التصورات يتبعها تصرفاتٌ ظاهرةٌ، هذه التصرفات تُشكل الصبغة العامة للمجتمع والتي من خلالها يستطيع الناظر إليه أن يُعطيه حُكما للوهلة الأولى؛ هل مُجتمع مُتماسك مترابط أم متقاطع متهلل، هل هو مجتمع ذو قيمٍ وأخلاق أم بلا قيم..؟!

ولننظر في هذا الحديث الذي يوضِّحُ بجلاء هذا المعنى؛ والذي يجعل الآراءَ العامةَ المُشكِّلةَ للمجتمعِ الظاهريِ مناراتٍ كمنارات المساجد وعلامات كالنجوم في المجتمع تدل عليه ويُعرف بها؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ للإسلام **صِوًى ومنارًا كمنار الطريقِ**، منها أن تُؤمنَ بالله ولا تشركَ به شيئًا، وإقامةُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وصومُ رمضانَ، وحجُّ البيتِ، والأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عن المنكر، وأن تُسلِّمَ على أهلِك إذا دخلتَ عليهم، وأن تُسَلِّمَ على القومِ إذا مررتَ بهم، فمن ترك من ذلك شيئًا فقد ترك سهمًا من الإسلامِ، ومن تركهنَّ فقد ولَّى الإسلامَ ظهرَه) [الإيمان لأبي عبيد]. والمنارة والصوَّة هي مُرتفعات من الأرض يُعرف بها المكان.

ثالثاً: كيف نصنع رأياً عاماً صالحاً؟.

للحصول على هذا الرأي العام الصالح؛ لابد لنا من وسائل وطُرق نسلكها؛ وهي:

- **الخِطاب الإيماني** .. والحديث فيه يكون عن أركان الإيمان وواجابته ومستحباته؛ فهذا هو السبب الأساس الذي جعل المجتمع النبوي والرعيل الأول يخضع للأوامر الإلهية والنبوية.
- **خُلقُ الحياء** .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ ممَّا أدْرَكَ النَّاسُ مِن كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إذا لَمْ تَسْتَحْيِ فاصْنَعْ ما شِئْتَ) [أخرجه البخاري] وقال: (إنَّ لكلِّ دِينٍ خُلقًا وخلقُ الإسلامِ الحياءُ)

[أخرجه ابن ماجة وغيره] وعليه فلابد من إشاعة هذا الخلق؛ ففقدانه كان من الأسباب الرئيسة في انحرافات الشباب والفتيات وظهور المنكرات ونحوها.

- **لا يكن أحدكم إمَّعة** .. جاء في الأثر ـ وهو ضعيف ـ: (لا يكن أحدُكم إمَّعَةً، يقول: أنا مع الناسِ، إن أحسن الناسُ أحسنتُ، وإن أساؤوا أسأتُ، ولكن وَطِّنوا أنفُسَكم، إن أحسن الناسُ أن تُحسِنوا، وإن أساؤوا ألا تَظلِموا) [الترمذي]. فالمسلم لا ينساق وراء المفسدين بحجة أنه لا يستطيع دفعهم أو تغييرهم أو إزالتهم، بل عليه أن يُوطِّن نفسه على فعل الخير؛ ولا يضره بعد ذلك غيره؛ وقد قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الممائدة].
- ﴿كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ فكيف يليق بأصحاب الحق أن يخجلوا من إظهار حقهم في حين أن أصحاب الباطل لا يخجلون من إبداء باطلهم؛ وكما يُروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (اللهم إني أعوذ بك من جلد الفاجر وعجز الثقة).
- **الأخذ على يد الظالم**، فلكي لا يظهر ظلمُه هذا وكأنَّه إقرار من المجتمع لهذا الظلم؛ فلا بد من ردِّه، وحديثُ الذي أراد خرق السفينة كي يشرب منها دليل على ذلك؛ فقال فيه عليه الصلاة والسلام: (مَثَلُ القائِمِ علَى حُدُودِ اللَّهِ والواقِعِ فيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا علَى سَفِينَةٍ، فأصابَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وبَعْضُهُمْ أسْفَلَها، فَكانَ الَّذِينَ في أسْفَلِها إذا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا علَى مَن فَوْقَهُمْ، فقالوا: **لو أنَّا خَرَقْنا في نَصِيبِنا خَرْقًا ولَمْ نُؤْذِ مَن فَوْقَنا، فإنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أرادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا**، وإنْ أخَذُوا علَى أيْدِيهِمْ نَجَوْا، ونَجَوْا جَمِيعًا) [أخرجه البخاري].

هذا بعض ما تيسر والحمد لله رب العالمين

ثانياً: في ترك الفضول.

العناصر:

المقدمة؛ وفيها: «**تعدد مداخل الشيطان**».

من أنواع الفضول.

(الموضوع)

ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في مدارجه؛ فقال:

«الشيطانُ اللَّعين؛ يريد أن يظفر بالعبد في عقبة من عقبات سبع؛ ولا ينتقل من العقبة الكُبرى إلى التي دونها إلا إذا عجز عن التي قبلها، وهي: «الكفر..، والبدعة..، والكبائر..، الصغائر..، **والمباحات التي لا حرج على فاعلها**..، والأعمال المرجوحة المفضولة من الطّاعات؛ ليشغله بها عمّا هو أفضل منها وأعظم ربحًا، ..» ثم إن نجا العبد من هذه العقبات لجأ اللعين إلى: «عقَبة تسليطِ جُندِهِ عليه بأنواع الأذى باليد واللِّسان والقلب، على حسب مرتبته في الخير. فكلَّما علَتْ مرتبتُه أجلَبَ عليه بخيله ورَجْله، وظاهَرَ عليه بجنده، وسلَّطَ عليه حزبَه وأهلَه بأنواع التَّسليط». نعوذ بالله العظيم من همزه ونفخه ونفثه.

وقال عن العقبة الخامسة؛ وهي المباحات التي لا حرج على فاعلها: «فشغَلَه بها عن الاستكثار من الطّاعات، وعن الاجتهاد في التّزوُّد لمعاده، ثمَّ طمِع فيه أن يستدرجه منها إلى تركِ السُّنن، ثمّ من تركِ السُّنن إلى ترك الواجبات. وأقلُّ ما ينال منه تفويتُه الأرباحَ العظيمةَ والمنازلَ العاليةَ، ولو عرَفَ السِّعَر لما فوَّت على نفسه شيئًا من القربات، ولكنّه جاهلٌ بالسِّعر».

وفي هذه الجزئية سيكون حديثنا مُنصبّاً على بعض المُباحات التي توسَّع فيها الكثيرون حتى أرهقتهم وضَيَّعتْ عليهم الكثيرَ والكثيرَ من الخيرات والدرجات العاليات، فكان من الواجب علينا أن نترَك الفاضلَ الزائدَ الذي لا حاجة لنا به منها، وهي:

أولاً: فضول الطعام.

الأصل في هذا الأمر قول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنٍ، بحسبِ ابنِ آدمَ أكلاتٍ يُقمنَ صُلبَهُ، فإن كان لا محالةَ: فثلُث لطعامِه، وثُلُثٌ لشرابِه وثُلُثٌ لنفَسِه) [أخرجه الترمذي]. وجاء عن عابس بن ربيعة النخعي؛ قال: (قُلتُ لِعَائِشَةَ: أَنَهَى النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنْ تُؤْكَلَ لُحُومُ الأضَاحِيِّ فَوْقَ ثَلَاثٍ؟ قَالَتْ: ما فَعَلَهُ إلَّا في عَامٍ جَاعَ النَّاسُ فِيهِ، فأرَادَ أنْ يُطْعِمَ الغَنِيُّ الفقِيرَ، وإنْ كُنَّا لَنَرْفَعُ الكُرَاعَ، فَنَأْكُلُهُ بَعْدَ خَمْسَ عَشْرَةَ. قيلَ: ما اضْطَرَّكُمْ إلَيْهِ؟ فَضَحِكَتْ، قَالَتْ: ما شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مِن خُبْزِ بُرٍّ مَأْدُومٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حتَّى لَحِقَ باللَّهِ) [أخرجه البخاري]، ومعناه: أي أنهم كانوا «يَدَّخِرون ما يَدِقُّ ويَصغُرُ مِن سِيقَانِ الغَنَمِ وغيرِها في البيتِ أكثرَ مِن خَمْسَةَ عَشَرَ يومًا من ذَبحِ الأضحِيَّةِ» وكذلك عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لابن أختها: (ابْنَ أُخْتي، إنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إلى الهِلَالِ، ثُمَّ الهِلَالِ، ثَلَاثَةَ أهِلَّةٍ في شَهْرَيْنِ؛ **وما أُوقِدَتْ في أبْيَاتِ رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ نَارٌ**، فَقُلتُ: يا خَالَةُ، ما كانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الأسْوَدَانِ: التَّمْرُ والمَاءُ، إلَّا أنَّه قدْ كانَ لِرَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ جِيرَانٌ مِنَ الأنْصَارِ، كَانَتْ لهمْ مَنَائِحُ، وكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِن ألْبَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا) [أخرجه البخاري]. فهذه الآثار تُوضِّح ما هو الوزن الذي يُوزن به هذا الأمر (الطعام)؛ ويظهر من خلالها أن الطعام هو وسيلة من الوسائل التي تُقرِّب إلى مرضات الله وليس هو الغاية من وجودنا في الحياة.

وكذلك ينبغي استحضار هذه المعاني من هذه الأقوال؛ قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «الصيام يضيق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم؛ فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم؛ فتسكن بالصيام وساوس الشيطان، وتنكسر سَورة الشهوة والغضب؛ ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم الصومَ وجاءً لقطعه عن شهوة النكاح» وعن إبراهيم بن أدهم: «من ضبط بطنه ضبط دينه، ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة، وإن معصية الله بعيدة من الجائع قريبة من الشبعان، والشبع يميت القلب، ومنه يكون الفرح، والمرح والضحك».

فأين نحن من هذه النصوص ومن تلك المعاني؛ فالحديث عن الأكل والشرب أصبح هو شُغل الناس الشاغل، وأصبحت الشكوى ظاهرةً واضحةً من قلة رفاهيات الطعام وتحسينياته، فالحديث عن الفواكه واللحوم والواجباب الجاهزة والمطاعم والفنادق والضيافات والولائم .. أصبح له وزن كبير في بيوتنا بخلاف الميزان الذي كان يُوزَن به قبلُ.

وطبعاً: إياك أن تَظُنَّ بالكاتب أنه يُريد من الناس العيشَ على الخَشن الجافِ الغاليظِ من الطعام والثياب!! ولكن المُراد: هو الاهتمام في حياتنا بالغايات ينبغي أن يكون هو الأوْلى من الوسائل.

ثانياً: فضول الكلام.

ومعناه: «أن الإنسان قد يتكلم بالكلام الذي لو سكت عنه لم يأثم ولم يلحقه الضرر»؛ مثل كلامه عن أسفاره ورحلاته وزواجه وتجارته وطعامه وشرابه .. لماذا؟! فكل هذا الكلام ـ مجرداً عن غير قصدٍ ـ ليس بمحرَّم وإن كان السكوت عنه أفضل بل أوجب؛ والأصل في هذا الباب ما يلي:

قول الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء]. وفي **حديث لا يصح** عن وصف النبي صلى الله عليه وسلم: (قال الحَسَنُ: سألتُ خالي، قُلتُ: صِفْ لي مَنطِقَ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قال: مُتَواصِلُ الأحزانِ، دائمُ الفِكرةِ، ليست له راحةٌ، **طَويلُ السَّكتِ، لا يَتكلَّمُ في غَيرِ حاجةٍ**، يَفتَتِحُ الكَلامَ ويَختَتِمُه بأشْداقِه، ويَتكلَّمُ بجَوامِعِ الكَلِمِ، **فَصْلٌ، لا فُضولٌ ولا تَقْصيرٌ**). وفي رواية أخرى لهذا الوصف: (كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ **وسلَّمَ يخزنُ لسانَهُ إلَّا عمَّا يعنيهِ**) [مجمع الزوائد].

والحديث الجامع في ذلك حديث بلال بن الحارث؛ هو: (إنَّ الرَّجُلَ ليَتَكَلَّمُ بالكلمةِ مِن رِضْوانِ اللهِ، ما كان يَظُنُّ أن تَبْلُغَ ما بَلَغَتْ، فيَكْتُبُ اللهُ لهُ بها رِضْوانَهُ إلى يومِ يَلْقاهُ، وإنَّ الرَّجُلَ ليَتَكَلَّمُ بالكلمةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، ما كان يَظُنُّ أنْ تَبْلُغَ ما بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ لهُ بها سَخَطَهُ إلى يومِ يَلْقاهُ)

[أخرجه النسائي في الكبرى] وقال "علقمة" وهو أحد رواة الحديث: «كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث».

قال **عطاء بن أبي رباح:** «إن مَن قبلكم كانوا يعدُّون **فضول الكلام ما عدا كتاب الله، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو أن تنطق في معيشتك التي لا بد لك منها**، أتُنكِرون: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[الأنفطار]، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق]، أما يستحيي أحدكم لو نُشرت صحيفته التي أمْلى صدرَ نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه!!» [أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان].

ثالثاً: فضول مخالطة الناس.

ومعناه: أن تُخالط من لا حاجة لك به. والناس من هذا المعنى على أنواع: من كانت مخالطتهم **كالغذاء لا غنى عنهم كالعلماء**، ومن الناس مَنْ مخالطتهم **مثل الدواء لا يُحتاج إليهم إلا عند المرض** كالتُّجار وأصحابِ الصناعاتِ؛ فليستْ الحاجة إليهم إلا عند الضرورة، **ومن الناس مَن مخالطتهم كالداء** وهم الذين اتبعوا أهواءَهم وكانوا غافلين عن ذِكر الله عز وجل وعن طاعته، **ومن الناس من مخالطتهم فيها الهلاك والخُسران المبين في الدنيا والآخره** كأهل البدع والنفاق والضلالات .. من كلامٍ لابن القيم رحمه الله تعالى؛ قال فيه: «والضابط النافع في أمر الخلطة: أن يخالط الناس في الخير كالجمعة والجماعات، والأعياد والحجِّ، وتعليم العلم، والجهاد والنصيحة. ويعتزلهم في الشرِّ وفضول المباحات».

فينبغي على العبد أن يكون خائفا على نفسه من مخالطة من لا تنفع مخالطتهم في الدنيا ولا في الآخرة؛ فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف]، فلابد من حبس النفس مع صِنفٍ، وحبسها عن صِنف. وقد قال الله تعالى أيضاً: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ

أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان] وقال أيضا: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف] فإذا أردتّ أن تُخالل فلا تتخذ خليلاً لك إلا من المتقين، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تصاحبْ إلا مؤمنًا، ولا يأكلْ طعامَك إلا تقيٌّ) [أخرجه أبو داود].

وكذلك فليكن العبد في انتقاء أصحابه وأصدقائه مُستحضرا هذا الحديث وهذا المثل: (مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ والجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صاحِبِ المِسْكِ وكِيرِ الحَدَّادِ؛ لا يَعْدَمُكَ مِن صاحِبِ المِسْكِ إمَّا تَشْتَرِيهِ أوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أوْ ثَوْبَكَ، أوْ تَجِدُ منه رِيحًا خَبِيثَةً) [أخرجه البخاري].

فإياك ثم إيّاك من هؤلاء الذين يتلذذون بإضاعة الأوقات، ويعيشون في اللهو والتفاهة وينشغلون بأنواع المباحات والمُسلّيات؛ فتراهم على المقاهي والمسارح والطرقات، وكذلك قد شغلوا مجالسهم بأنواع من السموم؛ فما حديثهم إلا غِيبة أو نميمة، أو عن بطونهم وفُروجهم، أو حديث عن المال والجاه والسلطان .. فإياك وأن تخالط هؤلاء.

رابعاً وخامساً: فضول النظر والاستماع.

وهذان "أصلان لكل بلاء"؛ فكثير من الناس من يُقلب عيْنيه فيما حوله من النعيم الذي متَّع الله به الآخرين مُتسخِّطاً على أقدار الله عز وجل عليه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه]. ومن الناس من يتسمَّع لحديث قوم؛ بل أقوام وهم له كارهون؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء].

وعلى المرء أن يُحاول جاهدا في حماية سمعه وبصره مُستحضرا هذه الرواية عن زينب بنت جحش رضي الله عنها في حادثة الإفك؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم: (قَالَ: يا زَيْنَبُ، ما عَلِمْتِ؟

ما رَأَيْتِ؟ فَقَالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ، أحْمِي سَمْعِي وبَصَرِي، واللَّهِ ما عَلِمْتُ عَلَيْهَا إلَّا خَيْرًا، قَالَتْ: وهي الَّتي كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بالوَرَعِ) [أخرجه البخاري].

وكذلك ينبغي على المسلم أن يكون حريصاً على سماع الخير ونشره لا حريصا على سماع الشر؛ فضلاً عن نشره، وحريصا كذلك على النظر الذي ينفعه لا الذي يضره، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة] وجاء في تفسيرها: «ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلام، ويقولون: **إنه يستمع لكل ما يقال له فيصدقه،** قل لهم ـ أيها النبي ـ: إن محمدًا هو أذن تستمع لكل خير»

وإذا ما حدَّثتَ او استمعتَ لقول أنت لم تُرِد سماعه ـ فلا يستطيع المرء غلقَ أذنيْه كبصرِه ـ فلا تُخبر بذلك إلا إذا علمت فيه المصلحه؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كَفَى بالمَرْءِ كَذِبًا أنْ يُحَدِّثَ بكُلِّ ما سَمِعَ) [أخرجه مُسلم]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: (ما رَأَيْتُ شيئًا أشْبَهَ **<u>باللَّمَمِ</u>** ممَّا قالَ أبو هُرَيْرَةَ، عَنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنَّ اللَّهَ كَتَبَ علَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنا، أدْرَكَ ذلكَ لا مَحالَةَ، فَزِنا العَيْنِ النَّظَرُ، وزِنا اللِّسانِ المَنْطِقُ، والنَّفْسُ تَمَنَّى وتَشْتَهِي، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلكَ كُلَّهُ ويُكَذِّبُهُ). [أخرجه البخاري]

فمن فضول النظر: النظر إلى أحوال الناس؛ «قال رجل لداود الطائي: لو أمرتَ بما في سقف البيت من نسج العنكبوت، فَنُظِّفَ؟ فقال له: أما علِمت أنه كان يَكره فضول النظر؟!».

ولْتَكُن هذه الآلات (السمع والبصر ..) دليلاً هادياً إلى رِضوان الله تعالى لا إلى سخطه؛ فقد قال الله تعالى عن قوم عطَّلوها عن وظيفتها: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف].

سادساً: فضول النوم.

من النِّعم التي أنعم الله تعالى بها على بني آدم؛ نعمة النوم فقد قال الله تعالى عنها ممتنًّا علينا بها مع غيرها: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ وقد جاء في تفسيرها: «وجعلنا نومكم انقطاعًا عن النشاط لتستريحوا»؛ فالنوم إذا وسيلة لقطع التعب؛ فتهدأ فيه النفس وتستريح كي تعاود نشاطها وحركتها.

وقد مدح الله تعالى قوما بقلَّة نومهم؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات]، وقال عن آخرين: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة] فهؤلاء كانوا قليلي النوم، والذي حملهم على ذلك معرفتهم بعلَّة وجودهم في هذه الحياة فليس النوم أو الأكل أو الشرب أو الراحة أو .. هذه المتع المباحات هي غايتهم فيها؛ بل هي وسيلة إلى غاية عظمى هي التقوّي على الطاعة.

وقد: (ذُكِرَ عِنْدَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حتَّى أصْبَحَ، قالَ: ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ في أُذُنَيْهِ، أوْ قالَ: في أُذُنِهِ) [أخرجه البخاري]؛ فلو لم يكن في ذمِّ فضول النوم أو التحذير من كثرته إلا هذا الأثر؛ لكفى.

وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق] وفي تفسيرها: «وأعتصم بالله من الشرور التي تظهر في الليل من دواب ولصوص». فاللَّيل محلٌّ لنزول العذاب، وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف]؛ فهل يليق مع هذا البيان أن يغطَّ الإنسان في نوم عميق لا يستفيق معه لأداء فرض، أو يُسارع إلى مرضاة ربِّه تبارك وتعالى. وقد: «قال الفضيل بن عياض رحمه الله: خصلتان تُقسِّيان القلب: كثرة

النوم وكثرة الأكل» وهذا آخر: «قال أسد بن وداعة: كان شداد بن أوس إذا أوى إلى فراشه كأنه حبة على مقلي فيقول: اللهم إن ذكر جهنم لا يدعني أنام فيقوم إلى مصلاه ليصلي».

أخي بإمكانك:

أن تُضيف إلى عُمُرِك أعمارا، أو أن تُضيف إلى الحياة حياةً أخرى، أو أن تجعل لك بعد موتك أعمالا شاهدةً لك عند الله تعالى لا عليك .. **وما هذا إلا بساعة واحدة تستقطعها من ساعات نومك الزائد.**

والحمد لله رب العالمين

خطورة الشائعات

العناصر:

المقدمة.

الأول: تحذير الإسلام من الشائعات.

الثاني: وسائلُ نشرِ الشائعات (قديما وحديثاً) وخطورتها.

الثالث: من منهج الإسلام في التصدِّي للشائعات.

(الموضوع)

الكلمة في الإسلام لها منزلة؛ وأي منزلة!، ولها أهميَّةٌ كُبرى كذلك؛ فبِكلمة واحدة تُحفظ الدماء أو تُراق، وبأخرى تُبنى البيوت أو تُهدَم، وبأخرى تُنتهك الحُرماتُ أو تُصان، .. فالكلمة لها عند المُسلمين مكانة جسيمة؛ فينبغي على المُسلم أن يحتاط لدينه ويُمسك عن كثير من الكلمات التي لا يعلم عاقبة أمرها أو ما تؤول إليه؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن رِضْوانِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بها دَرَجاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن سَخَطِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَهْوِي بها في جَهَنَّمَ) [أخرجه البخاري]. وقد قال عليه الصلاة والسلام أيضاً: (أكثرُ خَطَايا ابنِ آدمَ في لسانِهِ) [السلسة الصحية للألباني]. بل جاء النص القرآني في النهي عن تتبُّع ما ليس له به علم لأنه مسؤل عن ذلك؛ فقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء].

وإذا ما استحضر الإنسان في ذِهنه أمثال هذه النصوص؛ والتي منها كذلك: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق] وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (مِنْ حُسْنِ إسلامِ المرءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ) [أخرجه الترمذي وابن ماجة]. وكذلك حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: (.. ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله، قُلْت: بلى يا رسولَ اللهِ، قال: فأخذ بلسانه، قال: كف عليك هذا. فقُلْت: يا

نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا مُعاذٍ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم) [أخرجه الترمذي في السنن]. هذه النصوص وغير تجعل العبد مُحْجِماً عن كثير من الكلام ..

وإن مما ابتُلينا به في حياتنا العامة أو الخاصة تلك الشائعات؛ والتي أساسها قوم لم يعلموا قدر الكلمات التي تخرج من أفواههم؛ فخاضوا في الأعراض والدماء والأموال بغير حق؛ ولم يتفكروا فيما آل إليه أمرها. وفي هذه الكلمات أذكر شيئا مما يتعلق بالشائعات وضررها وخطورتها على البلاد والعباد.

الأول: تحذير الإسلام من الشائعات.

تعددت النصوص الشرعية ذات الدلالة على التحذير من الشائعات؛ فمما جاء في القرآن الكريم قولُه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحجرات] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بِئسَ مَطيَّةُ الرَّجُلِ زعَموا) [أخرجه أبو داود وأحمد]. فلقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم مَن لم يتثبَّت من الخبر واتخذ مركَبه في نقلها وبثِّها قوله (زعم الناس كذا وكذا) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بحَسْبِ المَرْءِ مِنَ الكَذِبِ أنْ يُحَدِّثَ بكُلِّ ما سَمِعَ) [أخرجه مُسلم في صحيحه]. وقال أيضاً: (إنَّ اللَّهَ حَرَّمَ علَيْكُم عُقُوقَ الأُمَّهاتِ، ومَنْعًا وهاتِ، ووَأْدَ البَناتِ، وكَرِهَ لَكُمْ: قيلَ وقالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وإضاعَةَ المالِ) [أخرجه البخاري] وقال عليه الصلاة والسلام أيضا: (من حالت شفاعتُه دون حَدٍّ من حدودِ اللهِ فقد ضادَّ اللهَ، ومن خاصم في باطلٍ وهو يعلَمُه، لم يَزَلْ في سَخَطِ اللهِ حتى ينزعَ عنه، **ومن قال في مؤمنٍ ما ليس فيه أسكَنَه اللهُ رَدغةَ الخَبالِ حتى يخرُجَ ممَّا قال)** [أخرجه أبو داود وأحمد] وردغة الخبال: عصارة أهل النار وصديدهم. وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً: (إنَّ مِن أفْرَى الفِرَى أنْ يُرِيَ عَيْنَيْهِ ما لَمْ تَرَ) [أخرجه البخاري] فمن أعظم أبواب االكذب أن تُري عينيك ـ في المنام ـ ما لم تر، وكذلك مَن يُخبر عن شيء سمعته أذناه ولم تسمعه كذلك ـ قياساً ـ.

ولقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن رؤيا رآها وكان مما رآه فيها؛ هذا الذي يكذبُ كَذِبة فتشيع في الآفاق بـ: (فأتَيْنا علَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفاهُ، وإذا آخَرُ قائِمٌ عليه بكَلُّوبٍ مِن حَدِيدٍ، وإذا هو يَأْتي أحَدَ شِقَّيْ وجْهِهِ فيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إلى قَفاهُ، ومَنْخِرَهُ إلى قَفاهُ، وعَيْنَهُ إلى قَفاهُ، قالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إلى الجانِبِ الآخَرِ فَيَفْعَلُ به مِثْلَ ما فَعَلَ بالجانِبِ الأوَّلِ، فَما يَفْرُغُ مِن ذلكَ الجانِبِ حتَّى يَصِحَّ ذلكَ الجانِبُ كما كانَ، ثُمَّ يَعُودُ عليه فَيَفْعَلُ مِثْلَ ما فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى قالَ: قُلتُ: سُبْحانَ اللَّهِ ما هذانِ؟ .. ـ ثم قال عنه ـ وأَمَّا الرَّجُلُ الذي أتَيْتَ عليه، يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إلى قَفَاهُ، ومَنْخِرُهُ إلى قَفَاهُ، وعَيْنُهُ إلى قَفَاهُ، **فإنَّه الرَّجُلُ يَغْدُو مِن بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ)** [أخرجه البخاري].

وقد قال الله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ **وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ** لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب] وفي معناها يقول المفسرون: «يعني: الذين يقولون: "جاء الْأَعْدَاءُ" وَ"جَاءَتِ الْحُرُوبُ"، **وَهُوَ كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ**، لَئِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَنْ ذَلِكَ وَيَرْجِعُوا إِلَى الْحَقِّ ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: أَيْ: لنسلطنَّك عَلَيْهِمْ. وقيل: لنحرّشَنَّك بِهِمْ. وقيل: لَنُعْلِمَنَّكَ بِهِمْ». وقيل: «وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ قَوْمٌ كَانُوا يُخْبِرُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَسُوءُهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَيَقُولُونَ إِذَا خَرَجَتْ سَرَايَا رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم: إِنَّهُمْ قَدْ قُتِلُوا أَوْ هُزِمُوا، وَإِنَّ الْعَدُوَّ قَدْ أَتَاكُمْ. وَقِيلَ كَانُوا يَقُولُونَ: **أَصْحَابُ الصُّفَّةِ قَوْمٌ عُزَّابٌ، فَهُمُ الَّذِينَ يَتَعَرَّضُونَ لِلنِّسَاءِ.** وَقِيلَ: هُمْ قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَنْطِقُونَ بِالْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ حُبًّا لِلْفِتْنَةِ. وَقَدْ كَانَ فِي أَصْحَابِ الْإِفْكِ قوم مسلمون ولكنهم خاضوا حبا لِلْفِتْنَةِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْإِرْجَافُ الْتِمَاسُ الْفِتْنَةِ، وَالْإِرْجَافُ: إِشَاعَةُ الْكَذِبِ وَالْبَاطِلِ لِلِاغْتِمَامِ» فالذين يقولون: (جاء الأعداء، جاءت الحروب)، (يُخبرون المؤمنين بما يسوءُهم من عدوهم)، يقولون: (أَصْحَابُ الصُّفَّةِ ـ أو أهل الدِّين ـ قَوْمٌ عُزَّابٌ، فَهُمُ الَّذِينَ يَتَعَرَّضُونَ لِلنِّسَاءِ)، (يقولون الكذب حُبَّاً للفتنة). وعلى مِنوالها وغِرارها: سنموت جوعاً، خربت البلاد، ساءت الأحوال، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا قالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهو أهْلَكُهُمْ) [أخرجه مُسلم].

الثاني: وسائلُ نشرِ الشائعات (قديما وحديثاً) وخطورتها.

تتعدد وسائل نشر الشائعات في المجتمع "قديماً وحديثاً" ولكنها لا تخرج في غالب الأحوال عن أمثال هذه الوسائل: المقروء؛ كـ(كتاب أو مقالة أو مجلة أو صحيفة أو ..) أو مسموع؛ كـ: (إذاعة أو تلفاز أو شبكة الامعلومات الدولية "الإنترنت" ..) أو التجمُّعات البشرية؛ كـ (الأسواق، والنوادي، والملاهي ..). وأكبر هذه الوسائل التي تكمُن في كثير منَّا (حبُّ الفضول ومعرفة أحوال الآخرين..) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مِن حُسْنِ إسْلامِ المَرْءِ تَرْكُه ما لا يَعْنيه؟) [أخرجه الترمذي].

وهذه الشائعات تعمل على انقسام المُسلمين، وشق صفوفهم، وإشاعة الشحناء والبغضاء بينهم. وهي كذلك تعمل على إرباك وتوتُّر صانعي القرار في البلاد، وكذلك تجعل الجبهة الداخلية للمسلمين ضعيفةً مهزوزةً أمام أعدائها ومَن يتربصون بها الدوائر. فالأعداء ينتهزون أمثال هذه الحالات التي قد تظهر فيها آثار الضعف على أفراد المجتمع فيقعون فريسة لأعدائهم؛ وانظر إلى كعب بن مالك رضي الله عنه وقصته معروفة في تخلفه عن غزوة تبوك وفي خبرها الذي وصل إلى خارج الدولة حتى وصل إلى ملك غسان؛ فقال كعبٌ رضي الله عنه عن نفسه: (فَبيْنَا أنَا أمْشِي بسُوقِ المَدِينَةِ، **إذَا نَبَطِيٌّ مِن أنْبَاطِ أهْلِ الشَّأْمِ**، مِمَّنْ قَدِمَ بالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بالمَدِينَةِ، يقولُ: مَن يَدُلُّ علَى كَعْبِ بنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ له، حتَّى إذَا جَاءَنِي **دَفَعَ إلَيَّ كِتَابًا مِن مَلِكِ غَسَّانَ**، فَإِذَا فِيهِ: أمَّا بَعْدُ؛ **فإنَّه قدْ بَلَغَنِي أنَّ صَاحِبَكَ قدْ جَفَاكَ، ولَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بدَارِ هَوَانٍ ولَا مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بنَا نُوَاسِكَ**، فَقُلتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وهذا أيضًا مِنَ البَلَاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بهَا، ..) [البخاري في صحيحه]. فهذا أمرٌ ليس شائعة من الشائعات التي لا حقيقة لها .. ومع ذلك استخدمه الأعداء في استقطاب الأفراد. فما بالنا إذا كانت هذه الشائعة تكررت حتى تقررت في المجتمع وأصبحوا يُوقنون بها ويبنون عليها آراءَهم واعتقاداتهم؛ فلا شك بأن الجبهة الداخلية ستكون مهلهلة سهلة لكي يخترقها أعداؤنا.

الثالث: من منهج الإسلام في التصدِّي للشائعات.

بما أن الإسلام لا يرضى بالشائعات؛ بل ويُحاربها مُحاربة شديدة، ويتخذ كافة السُّبُل في اقتلاع جذورها؛ وما هذا إلا للحِفاظ على المجتمعات والأفراد مِن كل ما يؤدِّي إلى تقطيع أواصلها وإضعاف قوتها وكان من منهجه هذا:

- **وجوب التثبت من الأخبار.** قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ﴾ [النساء]، وقال جلَّ ذِكره: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖفَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات] وفي سبب نزول هذه الآية قصةٌ؛ فقد ذكر المفسرون فيها أنَّ: «رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أرسلَ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ إِلَى بَنِي الْمُصْطَلَقِ ليُصدقهم، فَتَلَقَّوْهُ بِالصَّدَقَةِ، فَرَجَعَ فَقَالَ: إِنَّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ قَدْ جَمَعَتْ لَكَ لِتُقَاتِلَكَ ـ زَادَ قَتَادَةُ: وَإِنَّهُمْ قَدِ ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ ـ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَيْهِمْ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَثَبَّتَ وَلَا يَعْجَلَ. فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَاهُمْ لَيْلًا فَبَعَثَ عُيُونَهُ، فَلَمَّا جَاءُوا أَخْبَرُوا خَالِدًا أَنَّهُمْ مُسْتَمْسِكُونَ بِالْإِسْلَامِ، وَسَمِعُوا أَذَانَهُمْ وَصَلَاتَهُمْ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَتَاهُمْ خَالِدٌ فَرَأَى الَّذِي يُعْجِبُهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ» من تفسير ابن كثير. فلابد من التثبُّت والتبيُّن من الأخبار؛ حتى لا تُبنى الآراء والمواقف على ظلم وبغي ويقع الندم بعدها. وهذا التثبُّت في كل المجالات. فهذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يتبرَّأ من أبيه **بعد ما تبين له كُفره؛** فقال الله تعالى عنه: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة]، وهناك لونٌ من ألوان التثبت والتبيُّن جاء في القرآن الكريم وهو في شأن المهاجرات التي أُمِر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقض عهده مع قريش في شأنهنَّ حتى يتبين من إيمانهن؛ فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ﴾ [الممتحنة]،

وكان الذي يتولى امتحانَهنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد: (سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَيْفَ كَانَ امْتِحَانُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النِّسَاءَ؟ قَالَ: كَانَ يَمْتَحِنُهُنَّ بِاللَّهِ مَا خَرَجْتُ مِنْ بُغْضِ زَوْجٍ، وَبِاللَّهِ مَا خَرَجْتُ رَغْبَةً عَنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ، وَبِاللَّهِ مَا خَرَجْتُ الْتِمَاسَ دُنْيَا، **وَبِاللَّهِ مَا خَرَجْتُ إِلَّا حُبًّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ)** وقيل: كان الذي يتولى ذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكذلك سيدنا سليمان عليه السلام عندما جاءه الهدهد بخبر ملكة سبأ قال الله عنه: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٢٧ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ وقد جاء عنها أنها قالت لقومها حينما جاءها كتاب سليمان عليه السلام؛ وأرسلت إليه هديتَها قالت إن قبلها فهو مَلِك فقاتلوه وإن لم يقبلها فهو نبيٌّ فاتبعوه. ولمَّا أُشيعَ أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق نساءه ذهب عمر رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فسأله: (أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ فَقَالَ: لَا، ولَكِنْ آلَيْتُ منهنَّ شَهْرًا فَمَكَثَ تِسْعًا وعِشْرِينَ ثُمَّ دَخَلَ علَى نِسَائِهِ) [أخرجه البخاري]. فقد تبين من الأمر وتثبت بنفسه رضي الله عنه.

- **عدم ترديد الشائعات.** فترديدُ الشائعات هو أول وسيلة إلى إقرارها في المجتمع وجعلها حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل وما هي إلا محض افتراءٍ وكذبٍ!! ومن ثمَّ يترتَّب عليها آثاراً عظيمة من الفتن والبلاء؛ فقد قال الله تعالى في آيات حادثة الإفك: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ۝١٥ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور]. ولبيان خطورة هذه الشائعة على المجتمع؛ انظر إلى هذا المقطع من هذا الحديث الشريف الذي يحكي قصة الإفك؛ فإن عائشة رضي الله عنها: (قالَتْ: فَقَامَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِن يَومِهِ فَاسْتَعْذَرَ مِن عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَيٍّ، وهو علَى المِنْبَرِ، فَقالَ: يا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، مَن يَعْذِرُنِي مِن رَجُلٍ قدْ بَلَغَنِي عنْه أذَاهُ في أهْلِي، واللَّهِ ما عَلِمْتُ علَى أهْلِي إلَّا

خَيْرًا، ولقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا ما عَلِمْتُ عليه إلَّا خَيْرًا، **وما يَدْخُلُ علَى أهْلِي إلَّا مَعِي.** قالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ أخُو بَنِي عبدِ الأشْهَلِ، فَقالَ: أنَا يا رَسولَ اللَّهِ أعْذِرُكَ، فإنْ كانَ مِنَ الأوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وإنْ كانَ مِن إخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أمْرَكَ، قالَتْ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الخَزْرَجِ، وكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بنْتَ عَمِّهِ مِن فَخِذِهِ، وهو سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ، وهو سَيِّدُ الخَزْرَجِ، قالَتْ: وكانَ قَبْلَ ذلكَ رَجُلًا صَالِحًا، ولَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ، فَقالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لا تَقْتُلُهُ، ولَا تَقْدِرُ علَى قَتْلِهِ، ولو كانَ مِن رَهْطِكَ ما أحْبَبْتَ أنْ يُقْتَلَ. فَقَامَ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ، وهو ابنُ عَمِّ سَعْدٍ، فَقالَ لِسَعْدِ بنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فإنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المُنَافِقِينَ، قالَتْ: **فَثَارَ الحَيَّانِ الأوْسُ، والخَزْرَجُ؛ حتَّى هَمُّوا أنْ يَقْتَتِلُوا، ورَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قَائِمٌ علَى المِنْبَرِ، قالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ، حتَّى سَكَتُوا وسَكَتَ)** [أخرجه البخاري] وقد أرشد الله تعالى المؤمنين إرشادا عظيما فقال لهم: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور] . فالواجب على المُسلم أن يُحجم لسانَه عن مثل هذه الافتراءات ولا يكن ثرثارةً يَقذف بالكلمات تِلو الكلمات من غير تمَعُّنٍ أو رويَّة. فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ﴾ [البقرة].

- **ضرورة التماسك والترابط بين أفراد المجتمع الواحد.** ففي مِثل هذه الأحوال؛ يجب على أفراد المجتمع المُسلم أن يتماسكوا وأن يكونوا كالجسد الواحد؛ فالواجب الأعظم أن يُحسنوا الظنَّ بأنفسهم، فقد قال الله تعالى: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾ [النور]، فإن الظنَّ لا يُغني من الحق شيئا؛ وذلك لأنه كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَ لَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات].
- **الاستعانة بأهل الخبرة.** فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء] قال ابن كثير رحمه الله تعالى عن هذه

الآية: «إِ نْكَارٌ عَلَى مَنْ يُبَادِرُ إِلَى الْأُمُورِ قَبْلَ تَحَقُّقِهَا، فَيُخْبِرُ بِهَا وَيُفْشِيهَا وَيَنْشُرُهَا، وَقَدْ لَا يَكُونُ لَهَا صِحَّةٌ» فالواجب إذا: التحقق والتثبُّت؛ ومرجع ذلك العلماء العاملون الذين يعلمون الكتاب والسنة ويستنبطون منهما أمر الله تعالى ورسوله عليه السلام. وقد قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل].

والحمد لله رب العالمين

الرجولة والشباب

العناصر:

المقدّمة.

الأول: الرجولة والشباب في القرآن والسنة.

الثاني: الشباب وأوصاف الرجال.

الثالث: بين الماضي والواقع والمأمول.

الموضوع

الإنسان في هذه الحياة يمرُّ بمراحل عُمُريَّةٍ مختلفة، كل مرحلة منها لها طبائعها وخصائصها وتكاليفها، فليس الجنينُ، والرضيعُ، والصبيُ، والشابُ، والكهلُ والعجوزُ والهرمُ؛ سواءً، أضف إلى ذلك فليس الذَّكر كالأنثى، وغير ذلك من الاختلافات المعروفة بداهةً؛ والتي لا تستقيم معها المُساواةُ في التكاليف والواجبات. وقد قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم]؛ فهناك ضعف وقوَّة وشيْبةٌ. ولكلٍّ مّنها أوصافها وأحكامها.

وأهمُّ مرحلة يواجهها الإنسان في هذه الحياة هي مرحلة الشباب وبالأخص إذا انضمَّ إليها وصف الرجولة. ولذلك كان مِحور اللقاء في هذه المرحلة العُمرية المُصاحبة لهذا الوصف الشريف وصفِ الرجولة.

ولكن .. بداية وقبل كلِّ شيءٍ: **الشابُّ:** هو مِن سنِّ البلوغ إلى ما دون الأربعين، و**الرجل** هو وصف يُطلق على مَن استكمل صفات الذكورة فكان بالغاً قويًّا حكيماً خلافَ الأنثى. وقد يُطلق على من جاوز الأربعين كذلك ففي حديث الهجرة: (أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى المَدِينَةِ وهو

مُرْدِفٌ أبا بَكْرٍ، وأَبُو بَكْرٍ شيخٌ يُعْرَفُ، ونَبِيُّ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ شابٌّ لا يُعْرَفُ،) [أخرجه البخاري]

وله أوصاف تأتي في هذا اللقاء. فمرحلة الشباب مرحلة عُمُريَّة بينما الرجولة وصف يتميز به الإنسان ويصير معه إلى ما بعد بلوغه الأربعين؛ بل وإلى الموت.

الأول: الرجولة والشباب في القرآن والسنة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزول قدما ابنِ آدمَ يومَ القيامةِ من عندِ ربِّه حتى يُسألَ عن خمسٍ: عن عمُره فيما أفناهُ، **وعن شبابِه فيما أبلاهُ،** وعن مالِه من أين اكتسَبه وفيما أنفقَه، وماذا عمِل فيما علِم) [أخرجه الترمذي في سننه]. وفي الحديث الآخر: (إنَّ ربَّكَ ليعجبُ للشابِّ لا صبوةَ لهُ) [أخرجه أحمد]، كما أنَّ الشاب الذي نشأ في عبادة ربّه تبارك وتعالى قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ، يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: الإمَامُ العَادِلُ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ رَبِّهِ،..) [أخرجه البخاري]. بل إن أهل الجنة قد أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ يَنْعَمُ لا يَبْأَسُ، لا تَبْلَى ثِيابُهُ ولا يَفْنَى شَبابُهُ) [أخرجه مَسلم] فهُم في نعيم لا يُكدِّره شيخوخة أو رذالةُ عُمُرٍ. ولأجل هذا كلِّه فقد وصَّى النبي صلى الله عليه وسلم الشبابَّ خصوصا والمسلمَ عموما فقال: (اغْتَنِمْ خَمْسًا قبلَ خَمْسٍ: **شَبابَكَ قبلَ هِرَمِكَ،** وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ، وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ، وفَرَاغَكَ قبلَ شُغْلِكَ، وحَياتَكَ قبلَ مَوْتِكَ) [صحيح الترغيب والترهيب الألباني]. ففيها اغتنامُ الأوقات بالحسنات ورِفْعةُ الدرجات بالقُربات.

وفي مرحلةِ الشباب تكمُن نُصرةُ الدِّين وعِزُّ المُسلمين؛ فقد قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام عندما كسَّر أصنام قومه وجعلها جذاذا فتحدثوا عنه؛ وكان قد عابَها قبلُ: ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء]، وكذلك قوله تعالى عن أصحاب الكهف؛ الذين وصفهم بقوله: ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ **إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى** ١٣ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا﴾ [الكهف].

وأما **الرجولة؛ فذاك وصف شريف** قد جاء ذِكرُه في القرآن الكريم في مواطن يَعِزُّ وُجودُها في كثير ممن اتصف بها كذبا وزورا؛ فمثلاً؛ قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [النور] فكم هُم الذين وصفوا أنفسهم بالرجولة ولم يرفعوا لله ذِكْرا لاشتغالهم بالتجارة والبيع وكذلك لم تكن الآخرة على خواطرهم؟ **هم كثير لا كثَّر الله سوادهم.** وكذلك قولُه تعالى عن رجليْن امتلأت قلوبُهما بعقيدة راسخة عن أمر قدَّره الله تعالى (وهو: دخول الأرض المقدَّسة التي كتب الله تعالى لبني إسرائيل)، وكانا ممن أنعم الله تعالى عليهما فلم يدخل الرُّعبُ قلوبهما من القوم الجبَّارين؛ وكان قد دخل قلوبَ بني إسرائيل: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة]، وكذلك قوله جل ثناؤه عن رجل آخر وقف يجهر بكلمة حقٍّ يدفع بها أذىً عن مؤمنٍ: ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾[غافر]. وقليل هؤلاء؛ بل نادرون في أزماننا. وكذلك قال الله تعالى عنهم: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾. فحدِّثْ نفسك؛ أين رجال المساجد؟ أين رجال النصرة للمستضعفين؟ أين الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه؟ أين الرجال الذين امتلأت قلوبهم بالإيمان فتحركوا به؟ ..أين؟!!

الثاني: الشباب وأوصاف الرجال.

الذي جعلني أضع الرجولة والشباب في موضوع واحد هو أنَّ الكثيرين يفصلون بينهما؛ فيجعلونهما لمرحلتين من عُمر الإنسان إحداهما تسبق الأخرى؛ ولكن وجدت من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ما تقرُّ به العين في وصف الشباب ـ كمرحلة عمُريَّة ـ بوصف الرجولة؛ ومنها قوله

عليه الصلاة والسلام عن الذي يفتح الله تعالى على يديه حُصون خيبر: (لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ، أوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ، غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللَّهُ ورَسولُهُ، أوْ قَالَ: يُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عليه فَإِذَا نَحْنُ بعَلِيٍّ ..) [أخرجه البخاري] فكم كان سنُّه رضي الله عنه ساعتها؟ تقريباً سبعة وعشرين عاما!.

وقد قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه للذي تولى جمع القرآن الكريم "زيد بن ثابت رضي الله عنه: (قَالَ أبو بَكْرٍ: **وإنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ، لا نَتَّهِمُكَ قدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ، فَاجْمَعْهُ،** قَالَ زَيْدٌ: فَوَاللَّهِ لو كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ ما كانَ بأَثْقَلَ عَلَيَّ ممَّا كَلَّفَنِي مِن جَمْعِ القُرْآنِ) [أخرجه البخاري]؛ **فأوصافه هي:** رَجُلٌ، شَابٌّ، عَاقِلٌ، لا يُتَّهَمُ، يَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. **فهو شابٌّ رجلٌ.** ومن أوصافه أيضا أن تعلم لغة اليهود في 15 ليلة؛ إذ انتدب النبي صلى الله عليه وسلم لها أصحابه فنهض هو بذاك؛ إذ قال: (لما قدِم النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ المدينةَ أُتِيَ بي إليه فقرأتُ عليه فقال لي: تعلَّمْ كتابَ اليهودِ فإني لا آمنُهم على كتابِنا قال: فما مرَّ بي خمسَ عشرةَ حتى تعلَّمتُه فكنتُ أكتبُ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأقرأُ كتبَهم إليه) [السلسلة الصحيحة للألباني].

فإذا كان الشباب من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهمُ الرجال؛ دوَّنوا كتاب الله وتولوا جمعه فممن جاء بعدهم كذلك شباب رجالٌ دوَّنوا سنة النبي صلى الله عليه وسلم ودافعوا عنها دِفاعاً مُستميتاً وهو الإمام البخاري أستاذ الأستاذين وطبيب الحديث في علله، والذي ملأ ذِكره الآفاق وأطبقت الأمَّةُ على تقديم صحيحه على كل الكتب عدا كتاب الله تعالى، وقبله كذلك الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ناصر السنة وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم جميعاً. فقد برز نجمهم وهم في مرحلة الشباب.

وإذا كان الرجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه؛ فكان منهم البطولات النادرة يوم بدر وخيبر والخندق؛ فمنهم كذلك السلطان محمد الفاتح الذي حقق الله تعالى على يديْه فتح القسطنطينية وهو ابن الثانية والعشرين من عمره، وقبل ذلك محمد بن القاسم الثقفي ـ رحمه الله تعالى ـ فاتح الهند والسند وعُمره سبعة عشر عاماً.

وإذا كان الرجال من أوصافهم أنه لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذِكر الله تعالى فمنهم هذا الشاب الذي لم يَشغله عن طاعة الله تعالى سلطان ولا رياسة ولا دنيا فكان إذا صلى كأنه خشبة منصوبة وهو عبد الله بن الزبير المُحنَّك بريق النبوة وكان لا يُنازع في ثلاثة ـ كما قيل ـ: (شجاعة ولا عبادة ولا بلاغة)؛ وقد قتل مَلِكا من ملوك إفريقية وهو في السادسة والعشرين من عُمره.

وإذا كان الرجال من أوصافهم أنهم يُدافعون عن حرمات المُسلمين ويَغارون عليها وعلى حُرمات إخوانهم فمنهم **بل وفي مُقدمة شبابهم قتلة أبي جهل مُعاذ ومُعوذ ابنا عفراء غلاميْن** حديثة أسنانهما؛ فعن عبد الرحمن بن عوف (بيْنَا أَنَا واقِفٌ في الصَّفِّ يَومَ بَدْرٍ، فَنَظَرْتُ عن يَمِينِي وعَنْ شِمَالِي، **فَإِذَا أَنَا بغُلَامَيْنِ مِنَ الأنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بيْنَ أَضْلَعَ منهما، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُما فَقالَ: يا عَمِّ، هلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلتُ: نَعَمْ، ما حَاجَتُكَ إلَيْهِ يا ابْنَ أَخِي؟ قالَ: أُخْبِرْتُ أنَّهُ يَسُبُّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حتَّى يَمُوتَ الأعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لذلكَ، فَغَمَزَنِي الآخَرُ، فَقالَ لي مِثْلَهَا**، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إلى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ في النَّاسِ، قُلتُ: أَلَا إنَّ هذا صَاحِبُكُما الذي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بسَيْفَيْهِمَا، فَضَرَبَاهُ حتَّى قَتَلَاهُ) [أخرجه البخاري].

فهؤلاء رجال ـ وغيرهم كثير ـ أناروا صفحات التاريخ ودوَّنوها بمداد من دمائهم؛ وليس هؤلاء فحسب بل القائمة في تاريخ الإسلام تطول؛ فانظر إليها تجد فيها غير هؤلاء كثيراً؛ أمثال: (الأرقمَ بن أبي الأرقم 16 سنة يجعل بيته مقرا للنبي صلى الله عليه وسلم)، و(أسامةَ بن زيد يقود جيشا للمسلمين على حداثة سنه 17 سنة وفي هذا الجيش كبار الصحابة ويواجه به أقوى جيوش الأرض حينها)، و(الزبيرَ بن العوام 15 سنة وهو أول من سلَّ سيفه في سبيل الله تعالى)، (طلحةَ بن عبيد الله 16 سنة يُبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الموت ويُدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى شُلَّت يده وذاك يوم أُحد)، رضي الله عنهم جميعاً. وكذلك: (عبد الرحمن الناصر ـ في دولة الأندلس ـ وكان عصرُه هو أقوى عصورها؛ كان عمُره 21 سنة) **(هذه النماذج من كتاب ترطيب الأفواه بذكر مَن يُظلهم الله ــ د/ سيد حُسين العفاني) وغيره من المصادر.**

الثالث: بين الماضي والواقع والمأمول.

هذا هو الماضي ونُورُه الساطع في سماء الإسلام، وأما الواقع فما على المرء إذا ما أراد أن يصفه إلا أن يَغضَّ الطرفَ خجلا وحياءً وانكسارا وذُلّاً؛ فأين هُم أولادنا في مِثل هذه الأعمار: في(النوادي والملاهي والمسارح والشواطئ) لا همَّ لكثير منهم إلا أن يبحث عن الطعام الجيد، والملبس الحسن، والهاتف الجوَّال ذي الإمكانيات العالية ... .

فليس في عقولهم وقلوبهم غايات الإسلام أو قضاياه الكبرى، ولم يرد على عقولهم عِلَّةُ وُجودهم في هذه الحياة، أو أين سيذهبون بعدها؟ فعقولهم فارغة خاوية لا شيئ فيها يُذْكر.

زهِدوا في التعليم؛ فلم يرفعوا له رأسا. وآثروا الراحة والكسل؛ فما زال الواحد منهم ينتظر فُتات أُسْرته حتى يُنفَق عليه مِنه؛ وقد بلغ الواحد منهم مبلغ الرجال!!. يُحسنون الصراخَ والعويلَ إذْ لم تأتْ لهم الدنيا بما يريدون؛ فلم يسعَوْا فيها جادِّين مُشمِّرين؛ تحقيقا لأمر الله تعالى وإعزازاً لأنفسهم وحِفاظا على ماء وجوههم، وإنما آثروا البكاءَ والصريخَ والعويلَ على واقعٍ صنعوه بأيديهم!!. فهذا هو الواقع وأنت به خبير.

والمأمول:

المأمول من شبابنا ـ حفظهم الله تعالى ـ كثيرٌ؛ لأنهم له أهلٌ، فالشمس لا تملأ النهار نورا في أوله وآخره كما تملأه في وسطه. فإنهم منبع القوَّة والنشاط والشهوة، وحجر الزاوية في بنيان الإسلام وسمائه، وهم حُماة الدِّين والوطن والعِرض والشرف.

وحتى يصل شبابنا إلى هذا ويقتنعوا به لابد وأن:

1. يعرفوا أهمِّيتَهم في الإسلام. فلهُم في الإسلام أهميَّة كُبرى. وقد سبق دليل ذلك.
2. يعلموا أن أعداءنا يسعوْن بكل سبيل لإفسادهم وتدميرهم؛ فيجتهدون بكل سبيل لإغراقهم في الشهوات والشبهات.

3. يقتنعوا بماضيهم ويعتقدوا فيه اعتقادا جازوما؛ فلا يصلح آخرُ هذه الأمة إلا بما صلح به أولُها. فمطالعةُ سِير السابقين والسير على مِنهاجهم فيه الفلاح والنجاح.

4. يتعامل القائمون على أمورهم ـ (كالحاكم ـ ومن يقوم مقامه ـ، وولي أمرهم أو أيُّ مسئول عنهم) تعاملاً خاصا ينطلق من هذه العقلية أو هذه الخلفية، فليسوا كالأطفال أو الشيوخ أو العجائز؛ وإنما هُم قوَّة تتحرك إذا لم نُحسن استخدامَها وترويضَها ستدمِّرُ مَن حولها قبل أنْ تُدمِّر نفسها.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور].

والحمد لله رب العالمين

مختاراتٌ ومُلَحٌ

موازنةٌ بين الدنيا والآخرةْ

العناصر:

مقدمة وتمهيد.

أولاً: نصوصٌ في الموازنة.

ثانياً: أمثالٌ للدنيا والآخرة.

ثالثاً: الآخرة خيرٌ وأبقى.

(الموضوع)

الدُّور التي يمرُّ بها العبد في حياته ثلاثة؛ هي: (الحياة الدنيوية، والحياة البرزخية، والحياة الآخروية)، ولكلِّ واحدة من هذه الدور طبيعة تخصُّها، وينبغي على العبد أن يتعرف على كلٍّ منها حتى يعمل لكل واحدة بما يُناسب طبيعتها؛ ومما لا شك فيه عند المؤمنين أن المستقرَّ الأخير هو الدار الآخروية، ومع ذلك قلَّ مِن الناس مَن هذا مُستقِرٌ عنده في عقيدته ووجدانه، فتراهم يُقدِّمون ما حقُّه التأخير أو يؤخرون ما حقُّه التقديم فينشغلون بالدنيا عن الآخرة، يقدِّمون الفانيَ على الباقي.

وفي هذا الموضوع أذكر موازنةً بين الداريْن لعلَّها أن تفي بالمقصود؛ وأن تُذكِّر بما انعقد عليه الإيمان في القلوب.

أولاً: **نصوصٌ في الموازنة.**

جاءت النصوص في كتاب الله تعالى توضَّح أمر الداريْن في مُوازنة أو مقارنة أو مقابلة حتى يتخير الإنسان شيئا من شيئْن ماثليْن أمام عيْنيْه، فليستْ هناك إحالة على موطنٍ آخر في سورة أخرى من سور القرآن؛ وإنما جاء النصُّ حاملاً للصورتين معا في آنٍ واحد .. وهاك بعض النصوص.

قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران]. فهذه هي الدنيا بشهواتها وهذا هو المآبُ الحسن بل الأحسن عند الله تعالى في جنَّات النعيم.

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة]. فهذا الذي رضيتم به من الدنيا وكان سببا في تثاقلكم وعدم النُّفور والخروج في سبيل الله تعالى هذا المتاع الفاني في الآخرة قليل لا وزن له.

وقال جل ذِكره: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت]؛ فدارٌ هي لهو ولعب ولم يأتِ اللعبُ في القرآن إلا مذموما؛ فليستْ للحقيقة والجدِّ والاجتهاد منزلاً وإنما كانت الآخرة هي الدار الباقية الحقيقية (لهي الحيوان: الحياة الدائمة الكاملة والحيوان هنا صيغة مصدر).

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ﴾ [الرعد]. وقال أيضا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [غافر] وقال تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ۝٣٣ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ۝٣٤ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف] فمن لطف الله تعالى بعباده أنْ لم يجعل بيوت الكافرين بهذه الحال حتى لا يغتر ضِعاف الإيمان بهم فيكفرون كما كفروا فيكونوا أمة في الكفر سواء فالدنيا عند الله تعالى لا تُساوي جناح بعوضة وأمَّا الآخرة فهي عند ربك للمتقين.

ثانياً: أمثالٌ للدنيا والآخرة.

وهذه الأمثال لتقريب المعاني الإيمانية إلى الأذهان، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الحديد] وقد وُصفتِ الدنيا في القرآن الكريم في مواضعَ كثيرةٍ بأنها متاع؛ والمتاع هو: «كل شيءٍ يُنتَفع به ويُتبلّغُ به والفناء يأتي عليه» ومنه سُمِّي زواج المتعة ومنه التمتع بين أعمال الحج والعمرة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ٢٠٦ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء]، فإذا كان طبيعة المتاع أن الفناء يأتي عليه؛ فكيف إذا أضفنا إلى هذه الطبيعة الأوصافَ التي وصف الله تعالى بها متاع الدنيا: (إلى حين) (قليل) (الغرور).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: (أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ مَرَّ بالسُّوقِ، دَاخِلًا مِن بَعْضِ العَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فأخَذَ بأُذُنِهِ، ثُمَّ قالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أنَّ هذا له بدِرْهَمٍ؟ فَقالوا: ما نُحِبُّ أنَّهُ لَنَا بشَيءٍ، وَما نَصْنَعُ بهِ؟! قالَ: أَتُحِبُّونَ أنَّهُ لَكُمْ؟ قالوا: وَاللَّهِ لو كانَ حَيًّا كانَ عَيْبًا فِيهِ؛ لأنَّهُ أَسَكُّ، فَكيفَ وَهو مَيِّتٌ؟! فَقالَ: فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ علَى اللهِ مِن هذا علَيْكُم. [وفي رواية]: فلوْ كانَ حَيًّا كانَ هذا السَّكَكُ به عَيْبًا)[أخرجه مسلم].

وقال عليه الصلاة والسلام: (الدُّنْيا سِجْنُ المُؤْمِنِ، وجَنَّةُ الكافِرِ)[أخرجه مسلم]. وعنده أيضا: (ما مَثلُ الدُّنيا في الآخرةِ إلَّا مَثلُ ما يجعلُ أحدُكم إصبعَه في اليمِّ فلينظُرْ بِمَ يرجِعُ)، وعن عبد الله بن

مسعود: (نام رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على حَصِيرٍ فقام وقد أَثَّرَ في جَنْبِهِ فقُلْنا يا رسولَ اللهِ لو اتَّخَذْنا لك وِطَاءً فقال ما لِي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكِبٍ استَظَلَّ تحتَ شجرةٍ، ثم راح وتَرَكَها) [أخرجه الترمذي].

ثالثاً: الآخرة خيرٌ وأبقى.

قال الله تعالى﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [الأعلى] وقال: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء] وقا أيضاً: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنعام] وقال كذلك: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [النحل] وقال أيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل] وقد قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الضحى] ولذلك لمَّا خيَّره ربُّه اختار ما عنده؛ فعن أبي سعيد الخدري: (أنَّ رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ جَلَسَ علَى المِنْبَرِ فقالَ: إنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بيْنَ أنْ يُؤْتِيَهُ مِن زَهْرَةِ الدُّنْيا ما شاءَ، وبيْنَ ما عِنْدَهُ، فاخْتارَ ما عِنْدَهُ. فَبَكَى أبو بَكْرٍ وقالَ: فَدَيْناكَ بآبائِنا وأُمَّهاتِنا، فَعَجِبْنا له، وقالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إلى هذا الشَّيْخِ؛ يُخْبِرُ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بيْنَ أنْ يُؤْتِيَهُ مِن زَهْرَةِ الدُّنْيا، وبيْنَ ما عِنْدَهُ، وهو يقولُ: فَدَيْناكَ بآبائِنا وأُمَّهاتِنا! فَكانَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ هو المُخَيَّرَ، وكانَ أبو بَكْرٍ هو أعْلَمَنا به. وقالَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنَّ مِن أمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ في صُحْبَتِهِ ومالِهِ أبا بَكْرٍ، ولو كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِن أُمَّتي لاتَّخَذْتُ أبا بَكْرٍ، إلَّا خُلَّةَ الإسْلامِ، لا يَبْقَيَنَّ في المَسْجِدِ خَوْخَةٌ إلَّا خَوْخَةُ أبِي بَكْرٍ) [أخرجه البخاري]؛ وقال كذلك وهو على فِراش الموت: ف(عن عائِشةَ، قالَتْ: كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كَثيرًا ما أسمَعُه يقولُ: إنَّ اللهَ لم يَقبِضْ نَبيًّا حتى يُخَيِّرَه، قالَتْ: فلمَّا حُضِرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كان آخِرُ كَلِمةٍ سَمِعتُها منه وهو يقولُ: بلِ الرَّفيقَ الأعْلى مِن الجَنَّةِ، قالَتْ: قُلتُ: إذَنْ ـ

واللهِ ـ لا يَخْتارنا، وعَرَفتُ أنَّه الذي كان يقولُ لنا: إنَّ نَبيًّا لا يُقبَضُ حتى يُخَيِّرَه) [البخاري وأحمد واللفظ له].

وانظر كذلك إلى هذه الخيريَّة التي غفل عنه الكثير في تلك النصوص النبوية؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام: (لَرَوْحَةٌ في سَبيلِ اللَّهِ، أوْ غَدْوَةٌ، **خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما فيها**، ولَقابُ قَوْسِ أحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ، أوْ مَوْضِعُ قِيدٍ ـ يَعْنِي سَوْطَهُ ـ **خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما فيها**، ولو أنَّ امْرَأَةً مِن أهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إلى أهْلِ الأرْضِ لَأَضاءَتْ ما بيْنَهُما، ولَمَلَأَتْهُ رِيحًا، ولَنَصِيفُها علَى رَأْسِها **خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما فيها)** [أخرجه البخاري]، وقال أيضا: (رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَما فِيهَا) [أخرجه مسلم].

وقال ربي تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص].

وإذا كانت الآخرة خيرٌ وأبقى فإيَّاك ثمَّ إيَّاك أن يصدَّك عنها صادٌ، أو يصْرفك عنها وعن العمل لها صارفٌ؛ فلقد قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه]. فالذي لا يؤمن بها لا شكَّ أنه لن يتخلق بخُلقِ أهلها ولن يعمل بعملهم كذلك؛ وسيسعى في صدِّهم عنها؛ بتحريف عقائدهم وزعزعة إيمانهم، وتشويه عباداتهم، واستجلاب الشياطين عليهم.

وإذا كانت الآخرة خيراً فاجهد نفسك لها فلقد قال جل ذِكره: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة] وتخيل نفسك في هذا اليوم بعد عملك الصالح وأنت تقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ جعلني الله وإياكم من أهلها ... آمين.   **(والحمد لله رب العالمين)**

الدعاء

العناصر:

مقدمة في تنوع العبادات.

أولاً: أهمية الدعاء ومركزيتُه في حياة المسلم.

ثانياً: الدعاء .. آداب وأوقات.

ثالثاً: لماذا ندعوا .. فلا يُستجاب لنا؟.

رابعاً: صور من أدعية الأنبياء.

الموضوع

العبادة: هي اسم جامع لكل ما يُحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة والبراءة مما يُنافي ذلك ويُضاده.

ولذلك تعددتِ العباداتُ وتنوعتْ؛ فهناك عبادات تعلقت بالقلوب، وأخرى باللسان، وأخرى بالأبدان، وأخرى بالأموال، .. ومن أجلِّ أنواع العبادة: **(عبادةُ الدعاء).**

قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾ [مريم] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدُّعاءُ هو العبادةُ) ثمَّ قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (أخرجه أبو داود).

فواضِحٌ من الآيتين أن الدعاءَ هو العبادة، وأن من يستكْبر عن عبادة ربه وهي هنا دعاؤه؛ سيكون من الداخلين جهنم، وكذلك من اعتزل قوما يدعون غير الله تعالى ستتوالى عليه الهِباتُ والعطايا الربانية. ولذلك:

ثانياً: أهمية الدعاء ومركزيتُه في حياة المُسلم.

المُسلم لا يستغني عن دعاء الله تعالى طرفة عين؛ وذلك لأن كلَّ معنى معاني النقص؛ يتصف بها الإنسان، وكل معنى من معاني الكمال بل غاية الكمالات يتصف الله تعالى بها؛ ولذلك ينبغي على المُسلم أن يسأل الله تعالى في تكميل نقائصه؛ فالله تعالى هو الذي يملك الكمالات؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى في الحديث القدسي: (يا عِبَادِي: كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يا عِبَادِي: **كُلُّكُمْ جَائِعٌ** إلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يا عِبَادِي: **كُلُّكُمْ عَارٍ** إلَّا مَن كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يا عِبَادِي: إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ) (أخرجه مسلم). وإن استكبر الإنسان واعتمد على عقه وإنسانيته التي هي محطٌّ النقص والعور غضب الله تعالى عليه؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن لم يسألِ اللهَ يغضبْ علَيهِ) (أخرجه الترمذي). والآية السابقة أدلُّ وأصرح في العقاب.

وينبغي على المُسلم أن يكون على عِلمٍ بأن دعاءه مُستجابٌ وهذه الاستجابة تتعدد صورها: فقد قال عليه الصلاة والسلام: (ما مِن مسلِمٍ يدعو بدعوةٍ ليسَ فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحِمٍ إلَّا أعطاهُ اللَّهُ بِها إحدى ثلاثٍ: إمَّا أن يعجِّلَ لهُ دعوتُه، وإمَّا أن يدَّخرَها لهُ في الآخرةِ، وإمَّا أن يكُفَّ عنهُ منَ السُّوءِ بمثلِها، قالوا: إذًا نُكثِرُ يا رسولَ اللَّهِ! قال اللَّهُ أَكثَرُ) (أخرجه: أحمد في مسنده)، وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً: (إنَّ اللَّهَ حيِيٌّ كريمٌ يستحي إذا رفعَ الرَّجلُ إليْهِ يديْهِ أن يردَّهما صفرًا خائبتينِ) (أخرجه: الترمذي). وقال أيضا: (ليس شيءٌ أكرمَ على اللهِ تعالى من الدعاءِ) (أخرجه الترمذي). ولكن لابد للدعاء من آداب حتى يكون بالمحل الأرجى عند الله تعالى:

ثالثاً: الدعاء .. آداب وأوقات.

للدعاء آداب لابد من مُراعاتها:

1 ـ **اليقين في قُربِ الله تعالى وكرمه وعطائه وجوده:** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اُدعوا اللهَ وأنتم موقِنونَ بالإجابَةِ، واعلَموا أنَّ الله لا يَستَجيبُ دُعاءً من قَلبٍ غافِلٍ لاهٍ) (أخرجه الترمذي في سننه). وقال أيضا: (إذا دَعَوْتُمُ اللَّهَ فاعْزِمُوا في الدُّعاءِ، ولا يَقُولَنَّ أحَدُكُمْ إنْ شِئْتَ فأعْطِنِي، فإنَّ اللَّهَ لا مُسْتَكْرِهَ له) (أخرجه البخاري)، وقال أيضا: (لا يَقُولَنَّ أحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي إنْ

شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فإنَّه لا مُكْرِهَ له) (أخرجه البخاري) وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة].

2 ـ **عدم الاستعجال.** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، ما لَمْ يَدْعُ بإثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، ما لَمْ يَسْتَعْجِلْ قيلَ: يا رَسُولَ اللهِ، ما الاسْتِعْجَالُ؟ قالَ: يقولُ: قدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذلكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ) (أخرجه مُسلم).

أخي: لا تتعجَّل .. فالله يُحبُّ أن يرى فقرَك ومسكنتَك وتضرعَك ورغبتَك وضعفَك بين يديه.

3 ـ **الإلحاح على الله في الدعاء.** فكان من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(وَكانَ إذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وإذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا**، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ، عَلَيْكَ بقُرَيْشٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عنْهمُ الضِّحْكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ) (أخرجه مسلم).

وفي أحداث غزوة بدر: (فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ القِبْلَةَ، **ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ برَبِّهِ:** اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إنْ تُهْلِكْ هذِه العِصَابَةَ مِن أَهْلِ الإسْلَامِ لا تُعْبَدْ في الأرْضِ، **فَما زَالَ يَهْتِفُ برَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، حتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عن مَنْكِبَيْهِ،** فأتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فأخَذَ رِدَاءَهُ، فألْقَاهُ علَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِن وَرَائِهِ، وَقالَ: يا نَبِيَّ اللهِ، **كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ؛** فإنَّه سَيُنْجِزُ لكَ ما وَعَدَكَ) (أخرجه مسلم).

4 ـ ومن آداب الدعاء ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف]. (إخفاء الدعاء، التضرع والمسكنة والتذلل والانكسار بين يدي الله عز وجل، عدم الاعتداء في الدعاء، رحمة الله قريب من المحسنين .. فلابد من الإحسان؛ إذِ الإحسانُ جزاؤه الإحسان)؛ فقد جمعت الآية أنواعاً من الآداب ينبغي مُراعاتها. ودعاءُ زكريا عليه السلام في مطلع سورة مريم فيه نماذج من هذه الآداب وتطبيقها.

وللدعاء أوقات: فعلى العبد أن يتحرَّاها حتى يستجيب الله تعالى دعاءه؛ ومنها: (الثلث الأخير من الليل، والساعة التي في يوم الجمعة، وعند الفطر من الصيام، وبين الأذان والإقامة، وفي السجود بين يدي ربك ومولاك، وعند المطر، وبعد التشهد دُبر الصلوات، ويوم عرفة، والعشر الأول

من ذي الحجة، والليالي العشر الأخيرة من رمضان .. وغيرها) فهذه الأوقات جاء النصوص مُصرِّحة بأفضيلتها على غيرها.

رابعاً: لماذا ندعوا فلا يُستجاب لنا؟.

لأن كثيرا من المسلمين اقتصر دعاؤه على تحريك الألسُنِ والشفاهْ؛ وغفل عن أمرين هما المؤثران بعد الله تعالى في استجابة الدعاء؛ وهما:

الأول: **طِيبُ المطعم والمشرب والملبس.** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَيُّها النَّاسُ، إنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّبًا، وإنَّ اللَّهَ أمَرَ المُؤْمِنِينَ بما أمَرَ به المُرْسَلِينَ، فقالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: 51]، وقالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: 172]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أشْعَثَ أغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّماءِ، يا رَبِّ، يا رَبِّ، ومَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ، وغُذِيَ بالحَرامِ، فأنَّى يُسْتَجابُ لذلكَ؟!) (أخرجه مسلم).

والثاني: **فعلُ العبادات** (البدنية والقلبية والمالية ... وغيرها).

قال الله تعالى بعد أن ذكر بعض الأدعية التي قالها الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٖۖ﴾ [آل عمران] فلا بد من العمل؛ وإلا كيف يستجيب الله تعالى دعاء عبدٍ لا يُصل ولا يصوم ولا يحج ولا يفعل من العبادات إلا ما اضطر إليه .. كيف؟! وإن حدث فهو استدراج من الله تعالى للعاصي.

فلابد من هذين الأمرين معاً .. وإلا فكيف نرجوا عطاءً ولم نُقدِّم له سببا.

خامساً: نماذج من أدعية الأنبياء.

ـ نوح عليه السلام: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٞ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر].

ـ إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم].

ـ يونس عليه السلام: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء] فليستْ له خالصة وإنما للمؤمنين كذلك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دعوةُ ذي النُّونِ إذ دعا وهو في بطنِ الحوتِ لا إلهَ إلَّا أنتَ سبحانَك إنِّي كنتُ من الظالمينَ فإنَّه لم يدعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ قطُّ إلَّا استجاب اللهُ له) (أخرجه الترمذي).

ـ زكريا عليه السلام: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء]؛ مع قوله تعالى: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا﴾ [مريم] سبحان الله .. لم يمنعْهُ: كِبرُ السِّن، ووهنُ العظم، وعُقر زوجه؛ عن دعاء ربه أن يهبه ولياً؛ فأصلح الله له زوجه ورزقه الولد فكان يحيى بن زكريا عليهما السلام.

وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم؛ وما أكثر الدعاء في حياته صلى الله علي وسلم: فمن دعائه: (يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ) و(اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي لا إلَهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي؛ فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ). وكذلك أدعيتُه صلى الله عليه وسلم في الصباح والمساء والليل والنهار والصلوات والحج والعمرة والصيام في سائر أحواله عليه الصلاة والسلام؛ خيرُ دعاءٍ وأجمُعه للخير.

والحمد لله رب العالمين

برُّ الوالدين

العناصر:

مقدمة.

الأول: الأمر ببر الوالدين.

الثاني: من فضائل برِّ الوالدين.

الثالث: عقوق الآباء وآثاره.

الرابع: تنبيهات.

الموضوع

جزاء الإحسان الإحسان؛ فمَن أسدى إليك معروفاً فلابد وأن يُكافـءَ بالمعروف، وليس هناك معروفٌ قُدِّم إليك كإيجادك بعد العدم، وكذلك ليس هناك مِنَّةٌ أعظمَ مِن وجودك بين أبويْن يدينان بالإسلام؛ فتنشَّأت على ما يدينان عليه، كذلك ليستْ هناك حالةٌ يكون المرء فيها رذيلاً ومرذولاً لا يُعبءُ به مثل حالة الطفولة؛ فلا يستطيع القيام بأمر نفسه مِن قضاء حاجته وإعداد طعامه وملابسه بل والسعْي عليه في علاجه وتعليمه .. وغير ذلك. فيقوم بهذا وغيره الوالدان، ولهذا المعنى ذكَّر فِرعونُ موسى عليه السلام بهذا الملمحَ يُريد به أن يُظهر مِنَّتَه عليه فقال: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء] ولأجل هذا وغيره .. ذكرها الله تعالى في آية الأمر ببر الوالدين فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ فينبغي أن يلهج لسانك بالدعاء لهما ولو على سبيل المكافئة لما كان منهما معك في حالة الصغر .. وكفى بها فأنت بها كالأسير إلى برهما وإحسانهما. والقاعدة التربوية تقول: (أحْسِن إلى مَنْ شئت فأنت أميرُه .. واحتج إلى مَنْ شئت فأنت أسيرُه، واستْغن عمَن شئت فأنت قرينُه)، بل إن رعاية الأم للولد في حالةِ الطفل هذه جعلتها أحق بحضانته ما لم تنكح زوجا آخر؛ ففي الحديث: (أنَّ امرأةً قالَت يا رسولَ اللَّهِ إنَّ ابني هذا **كانَ بطني لَه وعاءً وثَديي لَه سِقاءً وحجري لَه حِواءً** وإنَّ أباهُ طلَّقني وأرادَ أن ينتزِعَه منِّي فقالَ لَها رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ أنتِ أحقُّ بِه ما لم تَنكِحي) [أخرجه أبو داود]. فانظر إلى حالة الصغر هذه وما ترتب عليها من آثار.

فلابد من الإحسان إليهما: مصاحبةً ورعايةً وإنفاقاً وقياما بشئونهما جبراً لخاطرهما، ودعاءً لهما في الحياة وبعد الممات .. وغير ذلك.

ولأجل هذا .. كان هذا الموضوع في هذه النقاط التالية:

أولاً: الأمْرُ ببر الوالديْن.

قد أمرنا الله تعالى في القرآن الكريم في كثير من الآيات ببرهما وكذلك في سنة النبي صلى الله عليه وسلم:

ففي القرآن قول الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء]. وقال أيضاً: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء] وقال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًاۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًاۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ﴾ [الأحقاف] وغير ذلك من الآيات.

فلابد من: (المُصاحبة بالمعروف، والإحسان إليهما، وخفض الجناح إليهما ـ كطائرٍ ذليلٍ كسيرِ الجناحِ أسيرٍ عند من أوقع به ـ، والقولِ الكريم لهما، والدعاءِ لهما، ..)

ومن سُنة النبي صلى الله عليه وسلم: فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (سَأَلْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلى اللَّهِ؟ قالَ: الصَّلَاةُ علَى وقْتِهَا قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: برُّ الوَالِدَيْنِ قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: الجِهَادُ في سَبيلِ اللَّهِ قالَ: حدَّثَني بهِنَّ، ولَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي) [أخرجه البخاري]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رَغِمَ أنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ، قيلَ: مَنْ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: مَن أدْرَكَ أبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ ـ أحَدَهُما أوْ كِلَيْهِما ـ فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ) [أخرجه مسلم]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: (جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، مَن أحَقُّ النَّاسِ بحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قالَ: أُمُّكَ، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ:

ثُمَّ أُمُّكَ، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أبُوكَ) [أخرجه البخاري]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما مِن مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَواهُ يُهَوِّدانِهِ، ويُنَصِّرانِهِ، كما تُنْتِجُونَ البَهِيمَةَ، هلْ تَجِدُونَ فيها مِن جَدْعاءَ، حتَّى تَكُونُوا أنتُمْ تَجْدَعُونَها؟ قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ: أفَرَأَيْتَ مَن يَمُوتُ وهو صَغِيرٌ؟ قالَ: اللَّهُ أعْلَمُ بما كانُوا عامِلِينَ) [أخرجه البخاري]. وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم للولد حدًّا إذا وصل إليه بِرُّه بأبيه فقد كافأه؛ فقال عليه الصلاة والسلام: (لا يَجْزِي ولَدٌ والِدًا، إلَّا أنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فيُعْتِقَهُ. وفي رِوايَةٍ: ولَدٌ والِدَهُ) [أخرجه مسلم]. وما أبعدَه من حدٍّ!!

ثانياً: من فضائل برِّ الوالديْن.

من هذه الفضائل: **تفريج الكربات**؛ وفي ذلك حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فأغلقت عليهم باب الغار فتوسلوا إلى الله تعالى بصالح أعمالهم: (فَقالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّه كانَ لي أبَوانِ شيخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ آتِيهِما كُلَّ لَيْلَةٍ بلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فأبْطَأْتُ عليهما لَيْلَةً، فَجِئْتُ وقدْ رَقَدَا وأَهْلِي وعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الجُوعِ، فَكُنْتُ لا أسْقِيهِمْ حتَّى يَشْرَبَ أبَوَايَ فَكَرِهْتُ أنْ أُوقِظَهُمَا، وكَرِهْتُ أنْ أدَعَهُمَا، فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا، فَلَمْ أزَلْ أنْتَظِرُ حتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنِّي فَعَلْتُ ذلكَ مِن خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عنْهمُ الصَّخْرَةُ حتَّى نَظَرُوا إلى السَّمَاءِ)[أخرجه البخاري].

ومن الفضائل: أن بابا من أبواب الجنة وهو أوسطها يدخل منه البارُّون بآبائهم؛ فقال عليه الصلاة والسلام: (الوالِدُ أوسطُ أبوابِ الجنَّةِ، فإنَّ شئتَ فأضِع ذلك البابَ أو احفَظْه) [أخرجه الترمذي].

ومن الفضائل أن الله تعالى قَرن بين حقِّهما وعِبادتِه، وبين شُكْرِهما وشكْره. فقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النساء] وقال أيضاً: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [لقمان].

ومن الفضائل: أن النبي صلى الله عليه وسلم شبَّه رحمةَ الله تعالى بعباده برحمة الأمِّ بولدها بل أرحم، وضرب مثلاً له مع أمته بالوالد مع أولاده فقال عليه الصلاة والسلام: **(إنما أنا لكُم مثْلُ الوالِدِ،** فإذا ذهبَ أحدكُم إلى الغائِطِ، فلا يستقبلِ القبلةَ، ولا يستدبرِها لغائطٍ، ولا بولٍ، وليستنجِ بثلاثةِ أحجارٍ،

ونهى عن الروثِ والرِّمّة، وأن يستنجِي الرجلُ بيمينهِ) [سنن أبي داوود]. وقد: (قَدِمَ علَى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إذَا وجَدَتْ صَبِيًّا في السَّبْيِ أخَذَتْهُ، فألْصَقَتْهُ ببَطْنِهَا وأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أتُرَوْنَ هذِه طَارِحَةً ولَدَهَا في النَّارِ؟ قُلْنَا: لَا، وهي تَقْدِرُ علَى ألَّا تَطْرَحَهُ، **فَقَالَ: لَلَّهُ أرْحَمُ بعِبَادِهِ مِن هذِه بوَلَدِهَا)** [أخرجه البخاري].

ومن فضائلهما أن برَّهما مُقدَّمٌ على فروض الكفايات كالجهاد مثلاً؛ فقد: (جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال: جِئتُ أبايعُك على الهِجرةِ، وتركتُ أبَوَيَّ يبكيانِ، فقال: ارجِعْ إليهما فأضحِكْهما كما أبكَيْتَهما) [أبو داود في السنن] وأمَّا إذا تعيَّنت الهجرة أو الجهاد فأصبح فرضُ الكفايةِ فرضَ عين فلا حاجة إلى إذنهما وإن منعاه.

الثالث: عقوق الآباء وآثاره.

من الأفعال الدالة على جحود المعروف، ونُكران الجميل هذا العقوق؛ **الذي هو ذبْحٌ للوالدين بغير سكين،** وكيف لا يكون كذلك؟! وقد انتظر صاحبُ الإحسانِ مكافئةَ برِّه وإحسانه فلم يجد إلا الجحود والنكران. ولذلك كان من الكبائرِ كبائرِ الذنوب.

ومن النصوص الدالة على تحريم هذا الأمر:

قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللَّهَ حَرَّمَ ثَلَاثًا، وَنَهَى عن ثَلَاثٍ، حَرَّمَ عُقُوقَ الوَالِدِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَلَا وَهَاتِ، وَنَهَى عن ثَلَاثٍ: قيلَ وَقالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وإضَاعَةِ المَالِ)[أخرجه مسلم]. وفي رواية عند البخاري: (إنَّ اللَّهَ حَرَّمَ علَيْكُم عُقُوقَ الأُمَّهاتِ، ..).

وقد (جاءَ أعْرابِيٌّ إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، ما الكَبائِرُ؟ قالَ: الإشْراكُ باللَّهِ. قالَ: ثُمَّ ماذا؟ قالَ: ثُمَّ عُقُوقُ الوالِدَيْنِ. قالَ: ثُمَّ ماذا؟ قالَ: اليَمِينُ الغَمُوسُ. قُلتُ: وما اليَمِينُ الغَمُوسُ؟ قالَ: الذي يَقْتَطِعُ مالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هو فيها كاذِبٌ) [أخرجه البخاري].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لَعَنَ اللَّهُ مَن ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَن آوَى مُحْدِثًا، **وَلَعَنَ اللَّهُ مَن لَعَنَ وَالِدَيْهِ،** وَلَعَنَ اللَّهُ مَن غَيَّرَ المَنَارَ) [أخرجه مسلم]، وقد يكون اللعن مباشرة أو بالتسبُّب كما في حديث: (إنَّ مِن أكْبَرِ الكَبائِرِ أنْ يَلْعَنَ

الرَّجُلُ والِدَيْهِ. قيلَ: يا رَسولَ اللَّهِ، وكيفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ والِدَيْهِ؟ قالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أبا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أباهُ، ويَسُبُّ أُمَّهُ) [أخرجه البخاري].

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(ثلاثٌ لا يدخلون الجنةَ ولا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ:** العاقُّ والدَيه والمرأةُ المترجلةُ المتشبهةُ بالرجالِ والديوثُ وثلاثةٌ لا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ **العاقُّ بوالدَيه** والمدمنُ الخمرَ والمنانُ بما أعطى) [أخرجه أحمد]. وقد قال عليه الصلاة والسلام أيضا: (لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ) [أخرجه مسلم].

الرابع: تنبيهات.

الأول: (عند الكِبر). لابد من مُراعاة أحوال الوالديْن فلكل حالة من الأحوال ما يُناسبها، وتستدعي من البِر والإكرام ما لا تستدعية حالة أخرى، فإذا كانا ـ أي الوالدان ـ في حالةِ الأشُد وبصحةٍ جيدةٍ وفي فُسْحةٍ من المال وسعة من الرزق..، فليستْ هذه الحالة كحالةِ ضعفهِما ومرضهِما وحاجتِهما وفقرِهما ولعل هذا هو المعنى المُراد من ذِكْر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: (مَن أدْرَكَ أبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ ـ أحَدَهُما أوْ كِلَيْهِما ـ) وكذلك قول الله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾، وكذلك فحالة وجودهما معاً وتخفيف كلٍّ واحدٍ منهما عن الآخر ما يُلاقيه ليستْ كحالة وجود أحدهما بعيدا عن الآخر ففي الآية الكريمة هذه ما يدل عليه أيضا. والبِرُّ والإكرام في كلتا الحالتين مطلوب.

الثاني: (إنما الطاعة في المعروف). من أعظم صور البِّر الطاعة للوالدين؛ ولكنها لا تكون إلا في معروف فقد قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان] وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا طَاعَةَ في مَعْصِيَةٍ، إنَّما الطَّاعَةُ في المَعروفِ) [أخرجه البخاري وله قصة].

الثالث: وإن كانا غير مسلميْن. عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالتْ: (قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وهي مُشْرِكَةٌ في عَهْدِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قُلتُ: وهي رَاغِبَةٌ، أفَأَصِلُ أُمِّي؟ قالَ: نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ) [أخرجه البخاري].

فإذا كانت الصلة مع الوالدين هذا شأنها مع كفرهما، فما هو الحال مع أي معصية يقوم عليها الوالد أو الوالدة وهي دون الشرك والكفر؟ فلا شك أن الأمر أهون!!.

جعلني الله وإياكم بارِّين بالآباء والأمَّهات.. آمين.

والحمد لله رب العالمين.

الطهارة والنظافة .. (دُنيا ودين)

العناصر:

مقدمة.

الأول: الطهارة والنظافة "حسية ومعنوية"

الثاني: الطهارة والنظافة الشخصية.

الثالث: الطهارة والنظافة العامة في المجتمع.

(الموضوع)

الناظر في تعاليم ديننا الحنيف يرى أنه دينٌ يسعى إلى اكتساب كل جميل، وإلى اكتساب وتحقيق كل ما يتناسب مع الفطرة التي جبل الله تعالى الخلق عليها، فالمظهر الحسن والجمال والنظافة أمور دعا الإسلام إليها؛ فقد امتنَّ الله تعالى علينا بـ: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ﴾ [النحل]. وعند الإمام مُسلم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ قالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يَكونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ونَعْلُهُ حَسَنَةً، قالَ: إنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ) [أخرجه مسلمٌ]، فليس حُسن الثياب وحُسن النعال من الأمور التي تُعدُّ كِبرا بل هي جمالٌ يحبه الله تعالى لأنه جميل سبحانه وتعالى.

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ اللَّهَ طيِّبٌ يحبُّ الطَّيِّبَ، نظيفٌ يحبُّ النَّظافةَ، كريمٌ يحبُّ الكرمَ جوادٌ يحبُّ الجودَ فنظِّفوا ـأُراهُ قالَ ـ أفنيتَكُم ولا تشبَّهوا باليَهودِ) [أخرجه الترمذي وفيه ضعف]. وعن أبي موسى الأشعري أنه قال: (إن أميرَ المؤمنين بعثني إليكم أعلِّمُكم كتابَ ربِّكم وسنةَ نبيِّكم وأنظفُ لكم طرقَكم) [الهيثمي في مجمع الزوائد].

ويزيد هذا المعنى إيضاحاً: أن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ من كآبة المنظر وسوء المنقلب، فقال في دعاء السفر: **(اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِن وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ المَنْظَرِ، وَسُوءِ المُنْقَلَبِ في المَالِ وَالأهْلِ)** [أخرجه مسلم]. ولأجل هذا المعنى سوف ينعقد هذا اللقاء حول هذه القيمة الإسلامية من هذه العناصر التالية:

الأول: الطهارة والنظافة "حسية ومعنوية".

الطهارة والنظافة أمران لهما حالتان؛ الأولى منهما وهي الأساس: (المعنوية)، والثانية وهي: (حسية).

فالطهارة المعنوية: وهي التي تُدرك بالبصائر الإيمانية؛ هي أساس الجمال الظاهري والنظافة، فطهارةُ القلبِ ونظافتُه من الشركِ والكفرِ أو البدعةِ والنفاقِ أو أيِّ اعتقادٍ لا يرضاه الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم هذه هي الطهارة التي من حصَّلها فقد نقَّى نفسه من كل غبش يُنازِع في تسليم القلب لله تعالى.

وقد قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَـٰذَاۚ﴾ فإذا ما كنَّا نتحدَّث عن الطهارة المعنوية وأهمِّيتها للقلب والنفس البشرية جاءتنا هذه الآية مُستخدمة لفظة من الألفاظ الحسيَّة عن الطهارة المعنوية وهو النجس: (المستقذرُ الذي يمنع من صحة الصلاة حيث لا مرخص) إذْ ليس هناك مستقذر أخبث من الشرك والكفر ينبغي أن تُطهر منه القلوب والنفوس.

وفي نفس المعنى يأتينا قول أبي هريرة رضي الله عنه: (أَنَّهُ سَمِعَ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: أرَأَيْتُمْ لو أنَّ نَهَرًا ببابِ أحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فيه كُلَّ يَومٍ خَمْسًا، ما تَقُولُ ذلكَ يُبْقِي مِن دَرَنِهِ؟ قالوا: لا يُبْقِي مِن دَرَنِهِ شيئًا، قالَ: فَذلكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ به الخَطايا) [أخرجه البخاري] وهو مثال للطهارة المعنوية من الذنوب والخطايا.

وعن الزكاة وتطهيرها للنفوس من **أوساخها** قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنَّ هذِه الصَّدَقاتِ إنَّما هي أوْساخُ النَّاسِ، وإنَّها لا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ، ولا لِآلِ مُحَمَّدٍ) [أخرجه مسلم]. وقال الله تعالى عن الزكاة: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. وعن **الحج** وتطهيره للنفوس من الذنوب قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَن حَجَّ هذا البَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، ولَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَومِ ولَدَتْهُ أُمُّهُ) [أخرجه البخاري]. وكذلك **الصيام** له في تطهير النفوس وقطع منافذ الشهوات عنها الأثرُ الكبير. فالطهارة والنظافة المعنوية .. أساسُ الدين وركنُه العظيم الذي إذا صلحَ صحلَتْ الأعضاءُ تبعاً له.

ثم يأتي بعد ذلك الحديث عن النظافة والطهارة والجمال الحسّي؛ وسوف يكون في شِقيْن، وهما العنصران التاليان:

الثاني: الطهارة الحِسّية والنظافة الشخصية.

وهذا الأمر من الأمور البيِّنة والواضحة في الإسلام وضوحا جليا؛ **فنراها في العبادات شرطاً لصحتها** فلا تصح الصلاة بغير طهور؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلاةَ أحَدِكُمْ إذا أحْدَثَ حتَّى يَتَوَضَّأَ) [أخرجه البخاري]. ففي أحكام الصلاة يذكر الفقهاء أنواعاً من الطهارات؛ كالوضوء، والغسل، والتيمم، والدباغ، ويذكرون موجبات الغسل، وأحكام النجاسات، ودخول الخلاء وآدابه، وكذلك الأحكام المتعلقة بالدماء الطبيعية للمرأة، وأحكام المياه والأواني، وأمورا كثيرة يذكرها الفقهاء تتعلق بهذا الأمر العظيم الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: (الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ) [أخرجه مسلم]. فلابد من أن يكون المُسلمُ طاهراً في **بدنه**؛ فقد مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين يعذبان فقال عن أحدهما: (وكانَ الآخَرُ لا يَسْتَنْزِهُ عَنِ البَوْلِ، أوْ مِنَ البَوْلِ) [أخرجه مسلم]، وأن يكون طاهرا في ثوبه؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ وأن يكون طاهرا في المكان الذي يُصلي عليه؛ فقد نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في مرابض الإبل وأمر بالصلاة في مرابض الغنم: (أنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أأَتَوَضَّأُ مِن لُحُومِ الغَنَمِ؟ قالَ: إنْ شِئْتَ فَتَوَضَّأْ، وإنْ شِئْتَ فلا تَوَضَّأْ قالَ أتَوَضَّأُ مِن لُحُومِ الإبِلِ؟ قالَ: نَعَمْ فَتَوَضَّأْ مِن لُحُومِ

الإِبِلِ قالَ: أُصَلِّي في مَرَابِضِ الغَنَمِ؟ قالَ: نَعَمْ قالَ: أُصَلِّي في مَبَارِكِ الإبِلِ؟ قالَ: لَا) [أخرجه مسلم]. وفي أمر عام من أوامر الزينة والجمال عند العبادة قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف].

بل قد وصل الأمر إلى غايته في شأن النظافة والطهارة بإلحاق الخطأ والتلبيس على الإمام في قراءته إلى عدم نظافة المأمومين فقد جاء: (عن رَجُلٍ مِن أصْحابِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّه صلَّى الصُّبحَ، فقرَأَ فيها بالرُّومِ فأوهَمَ فيها، .. إنَّكم لستُم بمُتنَظِّفينَ) [أحمد في مسنده].

ونرى هذه النظافةَ وهذا الجمالَ وهذا المظهرَ الحسنَ في التعاملاتِ الحياتيةِ واليومية ظاهرا عندنا في الإسلام.

فمثلاً: إذا ما خرج المسلم من بيته قادما على إخوانه فلابد وأن يكون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّكم قادِمونَ على إخْوانِكم، فأَصلِحوا رِحالَكم، وأَصلِحوا لِباسَكم حتَّى تكونوا كأنَّكم شامةٌ في النَّاسِ) [أخرجه أبو داود في السنن].

وأصرح من هذا ما جاء: (أَخَذَ عُمَرُ جُبَّةً مِن إسْتَبْرَقٍ تُباعُ في السُّوقِ، فأخَذَها، فأتَى بها رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، ابْتَعْ هذِه تَجَمَّلْ بها لِلْعِيدِ والوُفُودِ، فقالَ له رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنَّما هذِه لِباسُ مَن لا خَلاقَ له ..) [أخرجه البخاري]. فلم يُنكر النبي صلى الله عليه وسلم عليه أصل التجمُّل وإنما أنكر عليه أنها من الحرير ولا يلبسه إلا من لا خلاق له.

ولِمراعاة هذا المعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَن أكَلَ مِن هذِه البَقْلَةِ، الثُّومِ، وقالَ مَرَّةً: مَن أكَلَ البَصَلَ والثُّومَ والْكُرَّاثَ فلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنا، فإنَّ المَلائِكَةَ تَتَأَذَّى ممَّا يَتَأَذَّى منه بَنُو آدَمَ) [أخرجه مسلم]. وكذلك: (كانَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَشْتَدُّ عليه أنْ يُوجَدَ منه الرِّيحُ) [أخرجه البخاري] فكان يكره أن يُشمَّ منه رائحة كريهة. وكذلك: (كانَ النَّاسُ يَنْتَابُونَ الجُمُعَةَ مِن مَنَازِلِهِمْ مِنَ العَوَالِي، **فَيَأْتُونَ في العَبَاءِ، وَيُصِيبُهُمُ الغُبَارُ، فَتَخْرُجُ منهمُ الرِّيحُ**، فأتَى رَسولَ اللهِ صَلَّى

اللَّهُ عليه وسلَّمَ إنْسَانٌ منهمْ وَهو عِندِي، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: **لو أنَّكُمْ تَطَهَّرْتُمْ لِيَومِكُمْ هذا)** [أخرجه مسلم]. وقد أخذا العلماء من هذا المعنى استحباب الغسل لأيِّ اجتماع؛ كصلاة العيدين والاستسقاء والكسوف والخسوف وكذلك الوقوف بعرفة .. وغيرها، على خلاف في هذا الاستحباب.

ويزداد أمر النظافة أهمَّية أخرى إذا ما تعلق بالشخص نفسه في خاصَّة أمره؛ فمثلاً:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أنَّ رجلًا جميلًا أتَى النَّبيَّ فقالَ: حُبِّبَ إليَّ الجَمالُ، وأُعطيتُ ما ترَى، **حتَّى ما أُحِبُّ أن يَفوقَني أحدٌ** (إمَّا قال: بشِراكِ نَعلٍ، وإما قال: بِشسْعٍ) آلكِبْرُ ذاكَ؟ قال: لا؛ ولكنَّ الكِبْرَ من بطِرَ الحقَّ وغمَطَ النَّاسَ) [البخاري في الأدب المفرد].

وهذه خصال الفطرة وكلُّها صورة حيَّة من صور النظافة والجمال الشخصي؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من الفطرةِ المضمضةُ والاستنشاقُ، والسِّواكُ، وقصُّ الشاربِ، وتقليمُ الأظافرِ، ونتفُ الإبِطِ، والإستحدادُ، وغسلُ البراجمِ، والانتضاحُ، والاختتانُ) [ابن ماجة في سننه]. وفي الباب أحاديث كثيرة أصح وأوضح من هذا ولكني نقلت النص الأجمع لخصالها؛ وإلا ففي صحيح البخاري: (الفِطْرَةُ خَمْسٌ ـ أَوْ خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ ـ: الخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ، وَنَتْفُ الإبْطِ، وَتَقْلِيمُ الأظْفَارِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ). والمُدّة التي لا ينبغي للإنسان أن يترك هذه الأمور زيادةً عليها جاءت في السنن عن أنس بن مالك: (وَقَّت لنا رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حَلْقَ العانةِ، وتَقليمَ الأظفارِ، وقَصَّ الشَّارِبِ، ونَتْفَ الابْطِ أربعينَ يومًا مَرَّةً) [أخرجه أبو داود].

وهذا أبو زيد الأنصاري يدعو له النبي صلى الله عليه وسلم دعاءً؛ وله قصةٌ هي: (استَسقى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ماءً، فأتَيتُه بقَدَحٍ فيه ماءٌ، فكانتْ فيه شَعرةٌ، فأخَذتُها، فقال: **اللَّهُمَّ جَمِّلْه**، قال: فرَأَيتُه وهو ابنُ أربعٍ وتِسعينَ ليس في لِحيَتِه شَعرةٌ بَيضاءُ) [أخرجه أحمد في المسند]

الثالث: الطهارة والنظافة العامة في المجتمع.

وكذلك الشأن في النظافة العامة للمجتمع وفي الصورة الظاهرة لأحيائه ومُدنه؛ فنجد مثلاً في النصوص الشرعية ما يدل على هذا الأمر؛ مِثل: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللَّهَ طيِّبٌ يحبُّ الطَّيِّبَ، نظيفٌ يحبُّ النَّظافةَ، كريمٌ يحبُّ الكرمَ جوادٌ يحبُّ الجودَ **فنظِّفوا أُراهُ قالَ أفنيتَكُم ولا تشبَّهوا باليَهودِ)** [أخرجه الترمذي وفيه ضعفٌ]. نظافة الفِناء.

وكذلك: (أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قالَ: اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ قالوا: وَما اللَّعَّانَانِ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: الذي **يَتَخَلَّى في طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ في ظِلِّهِمْ)** [أخرجه مسلم]. وكذلك تنظيف الطُّرقات من أنواع الأذى الذي قد يؤدي إلى هلاك الناس؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: (أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: بيْنَما **رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ، وجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ علَى الطَّرِيقِ، فأخَذَهُ،** فَشَكَرَ اللَّهُ له، فَغَفَرَ له) [أخرجه مُسلم]. بل إن هذا الفعل من شُعَب الإيمان؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الإيمانُ بضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بضْعٌ وسِتُّونَ، شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، **وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ،** والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ) [أخرجه مسلم].

وكذلك من الطهارات العامة والنظافة الصحية والعلاجية؛ النهي التشريعي عن التبوُّل أو قضاء الحاجة عموما في الماء الراكد فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (عَنْ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أنَّه **نَهَى أنْ يُبالَ في الماءِ الرَّاكِدِ)** [أخرجه مُسلم].

فالجمال والزينة من الأمور التي امتنَّ الله سبحانه وتعالى بها على عباده؛ **فجعلهما** في أشكال الحيوانات؛ كالخيل والبغال والحمير، وكذلك في الجمادات كالجبال التي منها الحُمْر والبيض والغرابيب السود، والبحار والأنهار وباقي المُسطحات المائية التي تألفُها العيونُ والنفوس فلا تنفر منها؛ بل تأوي إليها، وكذلك الطيور وما أودع الله تعالى فيها من صور الزينة والجمال .. وهذا وغيره يجعل المُسلم مدفوعاً إلى هذه الميزة وتلك الفضيلة التي حضَّنا عليها الإسلام.

والحمد لله رب العالمين.

خطورة الإدمان والمخدرات والتدخين

على الفرد والمجتمع

العناصر:

مقدمة.

الأول: أسباب الإدمان والمخدرات.

الثاني: أضرار الإدمان والمخدرات

الثالث: حكم الشرع في هذه الظاهرة.

الرابع: نداء للعقل .. وقصص من الواقع.

(الموضوع)

هناك أمور ضرورية؛ تضافرت كل الشرائع على اعتبارها، والمحافظة عليها، بل وتشريع الشرائع التي تؤدي إلى صيانتها ووضْعها في سياج منيع؛ وهي الضروريات الخمس: (الدين والنفس والعقل والنسل والمال)[(1)].

فقد شرَّع الإسلام شرائعَ كثيرةً للمحافظة عليها؛ فمثلاً الحدود كلُّها لأجل ذلك: (فحدُّ الزنا، والقذف، وشرب الخمر، والرِّدة، وحد قاطع الطريق) وكذلك القصاص والدية لأجل المحافظة على النفوس، وغيرها من التشريعات والزواجر التي تزجر العصاة عن الاعتداء على أي واحدة من تلك الضروريات.

---

(1) وقد سبق في هذه الكِنانة مواضيعُ تتعلق بها.

وموضوعنا هذا يتعلق بالدرجة الأولى بآفة من الآفات التي تؤثِّر على كافة هذه الضروريات لا سيما العقل فهي تعمل على تدميره وتخريبه؛ وهي آفة التدخين والإدمان والمخدرات وما شابه. هذه الآفة التي هي الداء العضال؛ فهي السلاح الذي يهدم البنيانَ الذي كرَّمه الله تعالى، وما تركتْ بيتاً من البيوت إلا وقد اشتكى منها إما بمباشرة هذه الآفة لأحد أفراده أو بالسببية فنسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة.. اللهم آمين.

وسوف يكون اللقاء فيها حول هذه النقاط:

الأول: أسباب الإدمان والمخدرات.

هذه الظاهرة لها أسباب كباقي الظواهر الاجتماعية التي نشأت في مجتمع من المجتمعات؛ وأرى من أسبابها والله أعلم:

- **انعدام التربية الإسلامية الصحيحة في بيوت المسلمين.** فلم ينشأ الولد في بيئة تهتمُّ بتعاليم الإسلام؛ بل وليس للإسلام فيها إلا الاسم أو الرسم، فلم يسمعوا كلمة: الحرام أو الحلال، أو هذا يجوز أو لا يجوز، أو هذا منهيٌ عنه، فلم تطرق أسماع الأولاد تلك الكلمات أو هذه العبارات، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ) [أخرجه البخاري في صحيحه]، فلابد وأن يكون الوالدان مُسلمين قلباً وقالباً أمام أولادهما. وأن يكونا قُدوتَين صالحتين لأولادهما؛ وإلا فكيف ينهى الوالدان أبناءَهما عن خُلق وهما يأتيانه!!.
- **ضعف الوازع الديني عندنا إلا من رحم الله تعالى.** ولعل هذا يكمُن في الخطاب القرآني بالوصف الإيماني في آيات تتعلق بهذا الموضوع؛ فقد قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء]، وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة]. فإذا ما استقر الإيمان في القلوب هانت على النفوس الامتثال لعلام الغيوب.

- **الفراغ الديني والنفسي عند الشباب.** فواقع كثير من الشباب إلا من رحم الله تعالى عندهم هذا الفراغ الديني؛ ومن ثمَّ يُحاولون ملء هذا الفراغ بأي شيءٍ آخر؛ فتأتي هذه العادة المدمرة مُصاحبة لهذا الفراغ الديني الذي كان قبله ضعف الوازع الديني أيضا، وقيل عن النفس: «إن لم تشغلها بالحق شغلتْك بالباطل» وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ **والفَرَاغُ)** [أخرجه البخاري في صحيحه]. فلم يشغلوا فراغَهم بنافع بل بفاسدٍ.
- **النزاع بين الآباء والأمهات، والكوارث والأزمات المادية والحياتية.** كثيرٌ هم هؤلاء الشباب الذين وقعوا في براثن هذه الآفة الخطيرة يُحيل أسبابها إلى هذه الظروف التي لم يستطع تقبُّلَها؛ فهرب إلى واقعٍ افتراضي خياليٍ لجأ إليه، وفي هذا الواقع تكون النفس من الضعف والاستكانة التي لا يستطيع معها مواجهة هذه الأسباب فيُملي عليه شيطانه ـ من الإنس أو الجنِّ ـ التخلُّص من هذا الواقع بتلك الآفة.
- **الرفقة السيئة.** وهو من الأسباب الرئيسة عند الكثيرين، وقد قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان]. وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ والجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صاحِبِ المِسْكِ وكِيرِ الحَدَّادِ؛ لا يَعْدَمُكَ مِن صاحِبِ المِسْكِ إمَّا تَشْتَرِيهِ أوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أوْ ثَوْبَكَ، أوْ تَجِدُ منه رِيحًا خَبِيثَةً) [أخرجه البخاري].
- **الإعلام.** تلك الآلةُ التي علَّمتْ الكثيرين سوءَ الأخلاقِ والفِعالَ القبيحةِ ووسائلَ الإجرامِ. فلابد من الحذر منه أشد الحذر فهو فِتنة لأولادنا "بين وبنات" نسأل الله تعالى السلامة منه.

الثاني: حكم الشرع في هذه الظاهرة.

قبل ذِكر أضرار هذه الآفة؛ لابد من بيان حُكمها **أولاً**، فالمسلم وقبل كل شيءٍ يُسلِّم لله تعالى عند الأمر والنهي، علم عِلَّةَ الأمر أو النهي أو لم يعلمها؛ فالحُكم عنده سواء.

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَـٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَـٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة] وقال: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ۝٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾، [النساء] وقال أيضا: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ﴾ [البقرة]، وفي الحديث: (مَن تَرَدَّى مِن جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهو في نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فيه خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَن تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ في يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَن قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ في يَدِهِ يَجَأُ بِهَا في بَطْنِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا) [أخرجه البخاري ومُسلم]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا: (لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ، مَنْ ضارَّ؛ ضارَّهُ اللهُ، ومَنْ شاقَّ؛ شاقَّ اللهُ عليه) [المستدرك على الصحيحين]، وقال: (لُعِنتِ الخمرُ على عشرةِ أوجُهٍ: بعينِها، وعاصرِها، ومعتَصرِها، وبائعِها، ومُبتاعِها، وحاملِها، والمحمولةِ إليهِ، وآكِلِ ثمنِها، وشاربِها، وساقيها) [ابن ماجة في السنن] وقال: (كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وكُلُّ خَمْرٍ حَرامٌ) [أخرجه مسلم].

فإذا كان الله تعالى قد حرم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام لما فيها من الصدِّ عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة، ولما فيها من البغضاء والعداوة، ومن المعلوم بداهة أن هذه الأمور ثبت ضررها على النفس الإنسانية من الناحية الصحية والعقلية والمالية، ففيها الضرر وفيها الضِّرار، وكذلك الذي تعاطى مثل هذه الأمور لا شك أنه كمن يقتل نفسه بحديدة أو بشربة سُمٍّ أو يتردَّى من شاهق فهو يُعذب بتلك الأمور التي قتل نفسه بها إلى يوم القيامة. وحتى تُنفَّر النفوس عنها لُعِن كل من ساهم فيها، وليست شريعتنا من الشرائع التي تَحمل ألفاظا بلا معان فإن الخمر حرام وكل ما أسكر وإن لم يكن خمرا فله حكم الخمر. وإلا فقد: (نَهَى رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ عن كلِّ مسكرٍ ومُفتِّرٍ) [أخرجه أبو داود وهو ضعيف].

فالإدمان والتدخين والمخدِّرات وكلِّ مُسكر ومُفتِّر حرام حرم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

الثالث: أضرار الإدمان والمخدرات.

لا شك من وجود الأضرار التي لايمكن لذي عقلٍ سليم أن يستسيغها لنفسه أو أن يتقبلها لغيره؛ فهي أضرار في الناحية:

الدينية: فلا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون، ففيها الصد عن ذِكر الله وعن الصلاة.

المالية: ولا شك بأن المُسلم منهي عن إضاعة المال؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قيلَ وقالَ، **وإضَاعَةَ المَالِ**، وكَثْرَةَ السُّؤَالِ) [أخرجه البخاري].

الصحية: وهذه أصبحتْ الآن من المسلمات العقلية الضرورية؛ فلا أدل على ذلك من أن صانعيها يكتبون عليها ـ التدخين مثلاً وهو أخفُّها ضررا ـ (التدخين ضار جدا ويُسبب للوفاة)**!!**.

الخُلقية: فالمرء على دين خليله؛ فإذا كان خليلك ممن تحَّكمتْ فيه تلك البلية، فكان بلا عقل إذْ تناول ما فيه هلاكه، وقد قلَّتْ مروءته وقلَّ حياؤه؛ فأصبح يُجاهر بالمعصية بلا رقيب أو حسيب، وإذا ذهب الحياء فلا رادع حينئذ عن أي خُلقٍ ذميم.

الاجتماعية: فلقد جَلبت هذه الأمور على المجتمعات الإسلامية مفاسد لا حصر لها؛ فلقد تسببت في التفريق بين الآباء والأبناء والأزواج والزوجات، وساهمت في إفساد الذوق العام للمجتمع وبصورة مباشرة.

الرابع: نداء للعقل .. وقصص من الواقع.

وإذا كان الله تعالى قد أمرنا بأن نتقي النار التي أعدَّت للكافرين؛ فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[التحريم]. فكيف يليق بالمسلم وهو على قيد الحياة أن يتناول ناراً من الدنيا؛ يضعها في فمه ويُخرج من جراء ذلك هذا الدخانَ الذي يؤذي غيره فضلاً عن إيذائه لنفسه.

أين هذا العقل الذي كرمه الله تعالى وفضله على العالمين واعتبارُه من أمثال هذه القصص:

فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه: (اجتنِبوا أمَّ الخبائثِ؛ فإنَّه كان رجلٌ ممَّن قبلكم يتعبَّدُ ويعتزِلُ النَّاسَ، فعلقته امرأةٌ، فأرسلت إليه خادمًا؛ فقالت: إنَّا ندعوك لشهادةٍ، فدخل، فطفِقتْ كلَّما

يدخُلُ بابًا أغلقته دونه، حتَّى أفضَى إلى امرأةٍ وضيئةٍ جالسةٍ؛ وعندها غلامٌ، وباطيَّةٌ فيها خمرٌ، فقالت: إنَّا لم ندْعُك لشهادةٍ، ولكن دعوتُك لتقتلَ هذا الغلامَ، أو تقعَ عليَّ، أو تشرَبَ كأسًا من هذا الخمرِ، فإن أبيْتَ؛ صِحتُ بك وفضحتُك، قال: فلمَّا رأَى أنَّه لا بدَّ له من ذلك؛ قال: اسقيني كأسًا من هذا الخمرِ، فسَقته كأسًا من الخمرِ، فقال: زيديني، فلم يزلْ حتَّى وقع عليها، وقتل النَّفسَ، فاجتنِبوا الخمرَ؛ فإنَّه ـ واللهِ ـ لا يجتمعُ الإيمانُ وإدمانُ الخمرِ في صدرِ رجلٍ أبدًا، ليُوشِكنَّ أحدُهما يُخرِجُ صاحبَه) [صحيح موقوفا ضعيف مرفوعا، أخرجه النسائي].

جاء في ترجمة عروة بن الزبير: في تهذيب الكمال في ترجمته أنه وقعت الآكلة في رجله، «فقيل له: ألا ندعو لك طبيبا، قال: إن شئتم، فجاء الطبيب، فقال: أسقيك **شرابا يزول فيه عقلك**، فقال: امض لشأنك، ما ظننت أن خلقا يشرب شرابا ويزول فيه عقله حتى لا يعرف ربه، قال: فوضع المنشار على ركبته اليسرى ونحن حوله فما سمعنا له حسا، فلما قطعها جعل يقول: لئن أخذت لقد أبقيت، ولئن ابتليت لقد عافيت. وما ترك حزبه من القراءة تلك الليلة». فهل يرضى المُسلم أن يتناول شيئا يفقد فيه الخاصة التي ميَّزه الله بها على الحيوانات.

والحمد لله رب العالمين.

ضوابط وآداب في الأسواق والتجارة

العناصر:

مقدمة.

الضابط الأول: إيجابيات لابد منها.

الضابط الثاني: سلبيات يُنهى عنها.

الضابط الثالث: الإخوة الإسلامية قبل الروابط المادية.

وأخيراً .. في فضائل التاجر الأمين.

(الموضوع)

من حكمة الله تعالى أن جعل للناس وسائل يتبادلون بها منافعَهم؛ فهذا البيع الذي قال الله تعالى عنه: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ۚ﴾ [البقرة] من أعظم الوسائل التي يتمُّ بها هذا التبادل، وهذا البيع يكون في الأسواق وكذلك التجارة وما يترتَّبُ عليها من وسائل ومقاصد؛ هي أمور لها في الإسلام آداب وأحكام لابد من مراعاتها.

الضابط الأول: إيجابيات لابد منها. ومن هذه الأمور الإيجابية ما يلي:

توصيف الشريعة الإسلامية للأسواق: بما أن السوق عندنا وعند غيرنا ما هو إلا وسيلة فقط وليس غاية في نفسه؛ فلابد من أخذْه أو التعامل معه على هذا الوصف؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أَحَبُّ البِلَادِ إلى اللهِ مَسَاجِدُهَا، **وَأَبْغَضُ البِلَادِ إلى اللهِ أَسْوَاقُهَا**) [أخرجه مسلم]. وقال أيضاً: (لِيَلِنِي مِنكُمْ، أُولو الأَحْلَامِ والنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثَلَاثًا، **وإِيَّاكُمْ وهَيْشاتِ الأسْواقِ**) [أخرجه مسلم]. وعن سلمان الفارسي: (لَا تَكُونَنَّ ـ إنِ اسْتَطَعْتَ ـ أَوَّلَ مَن يَدْخُلُ السُّوقَ وَلَا آخِرَ مَن يَخْرُجُ منها؛ **فإنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ**) [أخرجه مسلم]، وقد جاء وصف النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة بـ: (.. ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا صخَّابٍ في الأسواقِ ولا يدفعُ بالسيئةِ السيئةَ ولكن يعفو ويغفرُ ..) [الأدب المفرد للبخاري] فإذا كان السوق بهذا الوصف فلابد من استغلاله الاستغلال الأمثل للوسائل فلا يُقيم فيه كثيرا، ولا يكون فيه الصخَّابين، ولا يُكثر فيه المنازعات.. وغير ذلك مما تضمنته هذه الآثار.

الصدق والأمانة والتراضي والسماحة: لابد من مراعاة هذه الأمور؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (البَيِّعانِ بالخِيارِ ما لَمْ يَتَفَرَّقا، فإنْ صَدَقا وبَيَّنا بُورِكَ لهما في بَيْعِهِما، وإنْ كَذَبا وكَتَما مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِما) [أخرجه البخاري]. وقال أيضا: (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إذا باعَ، وإذا اشْتَرَى، وإذا اقْتَضَى) [أخرجه البخاري]. والسماحة هي: «التَّسْهيلُ والتَّنازُلُ والتَّغاضي في الأُمورِ، وعَدَمُ الشِّدَّةِ والتَّصلُّبِ»، وقال عليه الصلاة والسلام: (إنَّما البيعُ عَن تراضٍ) [أخرجه ابن ماجة] وقد قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء]. فلا إكراه في البيع وإنما الرضا الذي يتمثل كما قال الفقها في الإيجاب والقبول، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللَّهَ يقولُ أنا ثالثُ الشَّريكَينِ ما لم يَخُنْ أحدُهما صاحبَهُ فإذا خانَهُ خرَجتُ من بينِهِما) [أخرجه أبو داود وهو ضعيف]، ومعلوم أن الخيانة ضدٌ الأمانة، والنهي عن الشيء أمرٌ بضدِّه كما قال أهل الأصول.

النَّصيحة: من الأمور التي ينبغي على المُسلم مراعاتها في الأسواق بذل النصيحة لمن أرادها؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنا: لِمَنْ؟ قالَ: لِلَّهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ) [أخرجه مسلم]. وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: (بَايَعْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ علَى إقَامِ الصَّلَاةِ، وإيتَاءِ الزَّكَاةِ، والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ) [أخرجه البخاري]. وهذه الأماكن أعني الأسواق؛ هي محالٌّ لهذا الأمر فكثيرٌ هؤلاء الذين يستجلبون النصيحة من الآخرين.

الضابط الثاني: سلبيات يُنهى عنها. ومنها:

الغش وكتمان عيوب السِّلَع: قال صلى الله عليه وسلم: (خرج علينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى السُّوقِ فرأَى طعامًا مُصبَّرًا فأدخل يدَه فأخرج طعامًا رطِبًا قد أصابته السَّماءُ فقال لصاحبِها ما حملك على هذا؟ قال والَّذي بعثك بالحقِّ إنَّه لطعامٌ واحدٌ. قال أفلا عزلتَ الرَّطْبَ على حِدَتِه واليابسَ على حِدَتِه فتتبايعون ما تعرفون؛ من غشَّنا فليس منَّا) [الترغيب والترهيب للمنذري]. فالذي يكتم عيب سِلْعته غشاشٌ، وقد توعَّده النبي صلى الله عليه وسلم بمحق البركة من هذه الصفقة.

الحلف والأيمان الفاجرة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ، ولا يَنْظُرُ إليهِم ولا يُزَكِّيهِمْ ولَهُمْ عَذابٌ أليمٌ قالَ: فَقَرَأَها رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ثَلاثَ مِرار، قالَ أبو ذَرٍّ: خابُوا وخَسِرُوا، مَن هُمْ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: المُسْبِلُ، والْمَنَّانُ، **والْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الكاذِبِ)**[أخرجه مسلم]. وقال: (مَن حَلَفَ علَى يَمِينِ صَبْرٍ، يَقْتَطِعُ بهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هو فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهو عليه غَضْبَانُ) [أخرجه مسلم]، وعن أبي هريرة قال: (سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: الحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ) [أخرجه البخاري]. ويكفي في هذا كلِّه قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم].

تطفيف الكيل والميزان. وقد قال الله تعالى ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين]. وقال أيضا عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٨٥ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَۚ وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [هود] «بقيَّة الله التي يبقيها لكم من الحلال بعد إيفاء حقوق الناس بالعدل، أكثر نفعًا وبركة من الزيادة الحاصلة بالتطفيف والإفساد في الأرض، إن كنتم مؤمنين حقًّا فارضوا بتلك البقية» وقال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء].

الاحتكار. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يَحْتَكِرُ إلَّا خاطِئٌ) [أخرجه مسلم]. وهو: «إمساكُ السِّلعةِ ومَنعُها مِن الأسواقِ وادِّخارُها حتَّى يَزيدَ عليها الطَّلبُ والحاجةُ إليها، وحينئذٍ يَبِيعُها بأضعافِ ما كانتْ عليه وقْتَ شِرائِها؛ ولهذا فإنَّ الاحتكارَ **لا يكونُ إلَّا فيما يَضُرُّ بالنَّاسِ حَبْسُه،** وأمَّا مُجرَّدُ ادِّخارِ الطَّعامِ للنَّفْسِ والعيالِ، أو شِراؤهُ لِيَبيعَه في وَقتِه، فليْس هو بالاحتكارِ المذمومِ». فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحبس نفقة أهله سنةً.

البيع على بيع بعض والنجش. فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (نَهَى رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ، **ولَا تَنَاجَشُوا، ولَا يَبِيعُ الرَّجُلُ علَى بَيْعِ أخِيهِ**، ولَا يَخْطُبُ علَى خِطْبَةِ أخِيهِ، ولَا تَسْأَلُ المَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَكْفَأَ ما في إنَائِهَا) [أخرجه البخاري]. فالحديث نصٌّ في أنه لا

يجوز للمرء أن يبيع على بيع أخيه أو يخطب على خطبة أخيه أو يزيد في ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها وذلك حتى يزيد في ثمنها على أخيه المسلم = (النجش). وفي هذا كلِّه من المعاني التربوية المهمة للحفاظ على حقوق الآخرين وعدم الاعتداء عليها.

الغرر. فقد: (نَهَى رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ عن بَيْعِ الحَصَاةِ، وَعَنْ بَيْعِ الغَرَرِ) [أخرجه مُسلم في صحيحه]. وهو: «ومعنى الغَرَرِ: الخطَرُ والغرورُ والخِداعُ، وهذا تَعميمٌ بعْدَ تَخصيصٍ، فهوَ شاملٌ لكُلِّ بَيعٍ اشتَمَلَ على أيِّ نَوعٍ مِن أنْواعِ الخِداعِ، أوْ كانَ مَجهولًا أوْ مَعجُوزًا عنه».

الضابط الثالث: الإخوة الإسلامية قبل الروابط المادية.

فلابد للمسلم الذي يُريد التجارة ـ بيعاً أو شراءً ـ أن يَضع نُصْب عينيه هذه الأخوة ولا يستبدل بها الأدنى من حُطام الدنيا وزُخرفها فالبقيَّة الصالحة عند الله خيرٌ وأبقى.

وعليه أن يستحضر جملة من المعاني التي تُعينه على تحقيق ذلك؛ والتي منها:

ـ **تجارتك ـ ببيعك أو شرائك ـ مع نفسك لا غيرك**. كيف؟. قد جاء التعبير القرآني في آية النساء التي فيها النهي عن أكل أموال الناس بالباطل قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ قال أبو **جعفر**: «يعني بذلك جل ثناؤه: "ولا تقتلوا أنفسكم"، ولا يقتل بعضكم بعضًا، وأنتم أهل ملة واحدة، ودعوة واحدة، ودين واحد. فجعل جل ثناؤه أهلَ الإسلام كلَّهم بعضَهم من بعض. وجعل **القاتلَ منهم قتيلا في قتله إياه منهم بمنزلة قَتله نفسه**، إذْ كان القاتلُ والمقتول أهلَ يد واحدة على من خالف مِلَّتَهُما» فأنت تتعامل مع نفسك لا مع غيرك. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) [أخرجه البخاري].

ـ **نموذج المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار**. والذي كان من تطبيقاته المؤاخاة بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما؛ وفيها قول عبد الرحمن بن عوف: (لَمَّا قَدِمْنا المَدِينَةَ آخَى رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بَيْنِي وبيْنَ سَعْدِ بنِ الرَّبِيعِ، فقالَ سَعْدُ بنُ الرَّبِيعِ: إنِّي أكْثَرُ الأنْصارِ مالًا، فأقْسِمُ لكَ نِصفَ مالِي، وانْظُرْ أيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لكَ عَنْها، فإذا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَها. قالَ: فقالَ له عبدُ الرَّحْمَنِ: لا حاجَةَ لي في ذلكَ) [أخرجه البخاري].

- ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ فلا تخلو الحياة المالية من دائنٍ ومُستدين، فإذا ما تعسَّر مَن عليه الديْنُ وحلَّ وقتُ السداد فإمهالٌ إلى ميسرة ففي ذلك فضل كبير وتيسير عظيم وحِفاظٌ على الإخوة الإسلامية ورِباطها المتين.

وفي الختام: إذا كانت الأسواق كما وُصِفت: **(فإنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ)**؛ فليتق الله كلٌّ من الرجال والنساء حتى لا يقعوا أسْرى في تلك المعركة، وحتى لا يكونوا تحت راية الشيطان وجنده وحِزبه، وعلى المرأة إذا خرجتْ إلى تلك الأماكن فلا تكن فريسة وضعها الشيطان أمام من يُريد إغواءه؛ فلتخرج بلباسها الكامل وبالشروط الشرعية التي قيدتْ الشريعة خروجها بها ... **والله المُستعان.**

والحمد لله رب العالمين

خيرُ أمَّة أخرجتْ للناس

العناصر:

مقدمة

الأول: مؤهلات وخصائص.

الثاني: ما للمُسلمين في الآخرة؟.

(الموضوع)

لله تبارك وتعالى في خلقه شئون وحِكم لا يعلمها إلا هو سبحانه جلَّ وعزَّ، يُفضل بعض مخلوقاته على بعض، يجعل أسبابا لمسبَّبَات، ومُقدِّماتٍ لنتائج، وحوادثَ في كونه وخلقه ليتعِظ بها مَن يتعظ ويتفكر فيها من يتفكَّر ويعتبر بها من يعتبِر.

فهو سبحانه وتعالى فضَّل بعض النبيين على بعض، وفضَّل بعض الأماكن على بعض، وفضَّل بعض الأيام والليالي على بعض، وفضَّل بعض الشهور على بعض، وكذلك فضل بعض الأمم على بعض؛ فجعل أمَّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خير أمَّة أخرجتْ للناس، وكان لها كذلك يوم القيامة المقامُ المشهودُ الذي يغبطها عليه الأولون والآخرون؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم: (أنَّهُ سمعَ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ في قولِهِ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ قال إنَّكم تُتمُّونَ سَبعينَ أمَّةً، أنتُمْ خَيرُها وأَكْرمُها علَى اللَّهِ) [أخرجه الترمذي في سننه]. فلماذا هذه المكانة وهذه الخيرية؟ وما الذي لهم في الآخرة؟.

الأول: مؤهلات الخيرية.

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران]

فمؤهلات الخيرية كثيرة منها:

- **نبيُّها محمد صلى الله عليه وسلم.** إذْ هو أفضل رسل الله عز وجل على الإطلاق؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام: (فُضِّلْتُ علَى الأنْبِياءِ بسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرْضُ طَهُورًا ومَسْجِدًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كافَّةً، وخُتِمَ بيَ

النَّبِيُّونَ) [أخرجه مُسلم]، وقال: (أنا سَيِّدُ ولَدِ آدَمَ يَومَ القِيامَةِ، وأَوَّلُ مَن يَنْشَقُّ عنْه القَبْرُ، وأَوَّلُ شافِعٍ وأَوَّلُ مُشَفَّعٍ) [أخرجه مُسلم]. وكلُّ الرسل يوم القيامة تتأخر عن الشفاعة العظمى ويتقدم لها نبينُا محمد صلى الله عليه وسلم ـ كما هو معلوم ــ. وهو أكثر الأنبياء تابعا يوم القيامة؛ إذ قال عليه السلام: (ما مِنَ الأنْبِياءِ نَبِيٌّ إلَّا أُعْطِيَ ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه البَشَرُ، وإنَّما كانَ الذي أُوتِيتُ وَحْيًا أوْحاهُ اللَّهُ إلَيَّ، فأرْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ تابِعًا يَومَ القِيامَةِ) [أخرجه البخاري]. ولأجل ذلك وغيره كانت مِنَّةُ الله تعالى علينا عظيمةً ببعثته صلى الله عليه وسلم؛ فقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ فالحمد لله تعالى على مِنَّته.

- **الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر**. من هذه المؤهلات التي ميَّز الله تعالى بها هذه الأمَّة أنها تأمر بامعروف وتنهى عن المُنكر؛ لأنها تُحِب للناس الخير، ولأنها تسعى في نجاتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، ولذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه في تفسيره لآية آل عمران: (قَالَ: خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ، تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ) وفي رواية أخرى عنه: (عَجِبَ اللَّهُ مِن قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ في السَّلاسِلِ) [أخرجه البخاري]، فليس عند المُسلمين ما عند غيرهم من الدعوات العُنصرية المرتبطة بجنس أو دمٍ؛ كما عند اليهود من ادعائهم بأنهم "شعب الله المختار"، وإنما كان هدفهم دعوةَ كلِّ الخلق إلى الإسلام حتى تدين الأرض كلُّها لله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال]. حتى إذا ما دخل الداخلُ في دين الله تعالى أصبح هو ومن نُزلتْ عليهم الرسالةُ أصالةً ـ أي: العرب ـ سواءً، لا فضل لأحدهم على الآخر حينئذ إلا بالتقوى. وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فضائل كثيرة؛ ولكن أذْكُر منها ما يفي بمقصود الموضوع حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ للإسلام صِوًى ومنارًا كمنار الطريقِ، منها: أن تُؤمنَ بالله ولا تشركَ به شيئًا، وإقامةُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وصومُ رمضانَ، وحجُّ البيتِ، **والأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عن المنكر**،...) [الإيمان لأبي عبيد القاسم

بن سلام] والصوَّة والمنارة: ما ارتفع من الأرض وبرز كالعلامة. فهو من العلامات التي يُعرف بها الإسلام.

- **الإيمانُ بالله تعالى.** إيماننا بالله تعالى من المميزات التي كانت سببَ خيرتنا على باقي الأمم؛ وفي ثنايا ذلك تزكيةٌ لما نحن عليه من عقيدة في الله عز وجل، فليس في هذا الإيمان تثليثٌ؛ فلا نقول بقول النصارى "الأب والأبن والروح القدس"، ولا نقول بقول اليهود واصفين ربنا "بالعجز والضعف وتشريع الفواحش أو أنه اتخذ ولدا وسمَّاه عزيرا تعالى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا. بل نصف الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه وعلى ألسنة رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تمثيل ولا تكييف.
- **شريعتُها كاملةٌ تامَّةٌ؛ لا يصلح الزمان والمكان إلا بها.** أستحْضر في هذا المؤهِّل أمنيةً في صورة حسرة؛ إنَّها حسْرةُ مَن فقد تمامَ دينه وكمالَه؛ وهمُ اليهود وكل من تديَّن بغير شريعةِ الإسلام الخاتم؛ فقد قال أحد يهود لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: (يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ في كِتَابِكُمْ تَقْرَؤُونَهَا، لو عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، **لَاتَّخَذْنَا ذلكَ اليومَ عِيدًا**. قالَ: أيُّ آيَةٍ؟ قالَ: {اليومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ علَيْكُم نِعْمَتي ورَضِيتُ لَكُمُ الإسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3] قالَ عُمَرُ: قدْ عَرَفْنَا ذلكَ اليَومَ، والمَكانَ الذي نَزَلَتْ فيه علَى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وهو قَائِمٌ بعَرَفَةَ يَومَ جُمُعَةٍ) [أخرجه البخاري]. وذلك لأنه عَلِم من دِينه وشريعته العيوب والنقائص والتفرُّق والخلل الذي لم يجد مِثلَه في هذه الشريعة الغراء فقال مقالته تلك. ولِكمالها وتمامها لا يصلح الزمان والمكان إلا بها؛ حتى وإن بدا الزمانُ والمكانُ بغيرها جميلان فإنما هو جمال أشبه بالورم الذي يحسبه الرائي شحْمَاً وما هو إلا داءٌ عضال يُوشِك أن يأتي على صاحبه فيطرحه صريعاً.
- **كتابها محفوظ من النقص أو الزيادة.** وهذا المؤهل من أعظم المؤهلات؛ فقلد تولى الله تعالى حفظ كتابه وسنة نبيه عليه السلام فهو القائل: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر] وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى: (وَقالَ: إنَّما بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بكَ، **وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لا يَغْسِلُهُ المَاءُ**، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ) [أخرجه مسلم]. ومن

وسائل حِفظ الله تعالى له؛ أنه تعالى جعله مُيسراً للذكر فقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر]؛ ومن وسائل حفظ الله تعالى له كذلك أنه أمرنا بإبدائه وتعليمه وتعلُّمه لمن أراد الهداية وجعل على ذلك الأجر العظيم في الدنيا والآخرة؛ أمَّا غيرُنا فأخفَوْا كتابهم حتى على أبناء ملَّتهم فجعلوه حِكْرا على نفرٍ قليل منهم حتى ضيعوه؛ قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ **كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ** ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ **نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ**﴾ [المائدة].

- **شريعتها لا إصْرَ فيها ولا انحلال.** فالأمة الإسلامية ذات شريعة سمحة ليس فيها أغلال تُكبِّل أصحابَها فلقد قال الله تعالى عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ **وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ** ۚ﴾، فهذا وصْفه فما أحلّه صلى الله عليه وسلم فيها **فهو الحلال الطيِّبٌ**، وما حرَّمه فيها **فهو الحرام الخبيث**، والآصار والأغلال التي كانت على السابقين قد وَضعها عنّا. وفي شريعتنا نسمع هذه القواعد: (لا ضررَ ولا ضِرارَ)، ونسمعُ: (إذا ضاقَ الأمرُ اتَّسع)، ونسمعُ: (المشقةُ تجلب التيسير). ونسمعُ أفصحَ من هذا كلِّه كلامَ ربنا تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة] وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ [البقرة]، وليس فيها كذلك انحلال بل فيها قواعدُ وأحكامٌ وعقوباتٌ وزواجرُ وتعزيراتٌ؛ فالعاصي فيها له عقوبة بقدر ذنبه وعقوبة يتحمَّلها بدنه أو مالُه. وهذا كلُّه سعياً لأن يكون المجتمع المُسلمُ مكاناً للطُّهْرِ والعفاف.
- **أقلُّ عملاً وأكثر عطاءً.** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عَنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: مَثَلُكُمْ ومَثَلُ أهْلِ الكِتَابَيْنِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ، فَقالَ: مَن يَعْمَلُ لي مِن غُدْوَة إلى نِصْفِ النَّهَارِ علَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ اليَهُودُ، ثُمَّ قالَ: مَن يَعْمَلُ لي مِن نِصْفِ النَّهَارِ إلى صَلَاةِ العَصْرِ علَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ قالَ: مَن يَعْمَلُ لي مِنَ العَصْرِ إلى أنْ تَغِيبَ

الشَّمْسُ علَى قِيرَاطَيْنِ؟ فأنتُمْ هُمْ، فَغَضِبَتِ اليَهُودُ، والنَّصَارَى، فَقالوا: ما لَنَا أكْثَرَ عَمَلًا، وأَقَلَّ عَطَاءً؟ قالَ: هلْ نَقَصْتُكُمْ مِن حَقِّكُمْ؟ قالوا: لَا، قالَ: فَذلكَ، فَضْلِي أُوتِيهِ مَن أشَاءُ) [أخرجه البخاري] فذلك فضل الله تعالى!!.

فأمَّة هذه مؤهلاتها: نبيُّها أفضل الأنبياء وخاتمهم، وإيمانها بالله تعالى أفضل من إيمان غيرها؛ فلا إفراط ولا تفريط. وشريعته كاملة لا إصر فيها ولا انحلال، وكتابُها محفوظ لا تبديل فيه ولا تحريف، شأنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، .. فكيف لا تكون أمَّة بمثل هذه المؤهلات خير الأمم.

الثاني: ما للمُسلمين في الآخرة.

هذه الخيرية السابقة جعلتْ للمسلمين في الآخرة مكانةً عاليةً؛ وكيف لا يكون الأمر كذلك وهم أكرم الأمم على الله تعالى، مما جعل لهم عند الله تعالى في الدار الآخرة هذا الجزاء والذي منه:

- ✓ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بيْنَما رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُضِيفٌ ظَهْرَهُ إلى قُبَّةٍ مِن أدَمٍ يَمانٍ، إذْ قالَ لأصْحابِهِ: أتَرْضَوْنَ أنْ تَكُونُوا رُبُعَ أهْلِ الجَنَّةِ قالوا: بَلَى، قالَ: أفَلَمْ تَرْضَوْا أنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أهْلِ الجَنَّةِ قالوا: بَلَى، قالَ: فَوالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، إنِّي لَأَرْجُو أنْ تَكُونُوا نِصْفَ أهْلِ الجَنَّةِ) [أخرجه البخاري]. وجاء في رواية أخرى عند ابن ماجة أنهم أكثر من النصف؛ ففيها أنهم الثلثان: (أَهْلُ الجنَّةِ عِشرونَ ومائةُ صفٍّ، **ثمانونَ من هذِهِ الأمَّةِ،** وأربَعونَ من سائرِ الأممِ) [ابن ماجة في السنن].
- ✓ **الآخرون الأولون يوم القيامة. وأول الناس دخولاً الجنة.** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نَحْنُ الآخِرُونَ الأوَّلُونَ يَومَ القِيامَةِ، ونَحْنُ أوَّلُ مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ، بَيْدَ أنَّهُمْ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبْلِنا، وأُوتِيناهُ مِن بَعْدِهِمْ، فاخْتَلَفُوا، فَهَدانا اللَّهُ لِما اخْتَلَفُوا فيه مِنَ الحَقِّ، فَهذا يَوْمُهُمُ الذي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَدانا اللَّهُ له، قالَ: يَوْمُ الجُمُعَةِ، فالْيَومَ لَنا، وغَدًا لِلْيَهُودِ، وبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصارَى) [أخرجه مسلم].
- ✓ **الشهادة على الأمم.** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يُدْعَى نُوحٌ يَومَ القِيامَةِ، فيَقولُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ يا رَبِّ، فيَقولُ: هلْ بَلَّغْتَ؟ فيَقولُ: نَعَمْ، فيُقالُ لِأُمَّتِهِ: هلْ بَلَّغَكُمْ؟ فيَقولونَ: ما

أتانا مِن نَذِيرٍ، فيَقولُ: مَن يَشْهَدُ لَكَ؟ فيَقولُ: مُحَمَّدٌ وأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أنَّه قدْ بَلَّغَ: {وَيَكونَ الرَّسُولُ علَيْكُم شَهِيدًا} فَذلكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة] والوَسَطُ: العَدْلُ) [أخرجه البخاري].

- ✓ **لهم فداءٌ من النار**. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ، دَفَعَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ إلى كُلِّ مُسْلِمٍ، يَهُودِيًّا، أوْ نَصْرانِيًّا، فيَقولُ: هذا فِكاكُكَ مِنَ النَّارِ) [أخرجه مسلم]، وفي رواية: (إذا كان يومُ القيامةِ لم يَبقَ مُؤمنٌ إلَّا أُتيَ بيَهوديٍّ أو نصرانيٍّ حتى يُدفَعَ إليه، يُقالُ له: هذا فِداؤكَ مِنَ النَّارِ، قال أبو بُردةَ: فاستَحلَفَني عُمَرُ بنُ عبدِ العَزيزِ باللهِ الذي لا إلهَ إلَّا هو: أسَمِعتَ أبا موسى يَذكُرُه عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ قال: قُلتُ: نَعَمْ، فسرَّ بذلك عُمَرُ)[أخرجه أحمد] وفي أخرى أنه يُدفع رجل من أهل الشرك أو الملل الأخرى [وهي عند أحمد في المسند].

وأخيرا .. قال ابن كثير: «فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾. فَمَنِ اتَّصَفَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ دَخَلَ مَعَهُمْ فِي هَذَا الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَالْمَدْحِ لَهُمْ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: بَلَغَنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] فِي حَجَّةٍ حَجَّهَا رَأَى مِنَ النَّاسِ سُرْعة فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ثُمَّ قَالَ: **مَنْ سَرَّه أَنْ يَكُونَ مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ فَلْيؤدّ شَرَطَ اللَّهِ فِيهَا**. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ».

والحمد لله رب العالمين.

المسئُولية

العناصر:

مقدِّمة.

الأول: نصوص في المسئولية؛ وعموميَّتِها.

الثاني: مسئولية عامة وخاصة.

الثالث: أثر المسئولية في الآخرة.

(الموضوع)

الإنسانُ .. مخلوق كرَّمه الله تعالى على سائر الخلق؛ فقد قال جل ذِكره: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء]، وقال جلَّ ذِكره: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين] فهو مخلوق مُكرَّمٌ؛ فقد جعل الله تعالى له عقلاً؛ وجعله مناطَ تكليفه، وجعله في أحسن تقويم وهيئة، وليس هذا وفقط؛ بل وسخَّر له جميع المخلوقات مِن حوله تيسيرا لأداء مهمَّته في هذه الحياة.

وقضية التكريم هذه لها لازمٌ لابد من لفت الانتباه إليه؛ وهذا اللازم هو "**المسئولية**" وقد جاءت الإشارة إلى هذا الأمر بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار]، وقوله جلَّ ذِكره: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة].

فالربُّ الكريم الذي خلق فسوَّى وعدَّل لا يُغترُّ به، فيومُ الدين آتٍ لا محالة؛ ويُسأل العباد فيه على ما قدَّموا؛ إنْ خيراً فخير وإن شراً فشرٌّ. وكما أنَّك أيها الإنسان كنت نطفة من مني يُمنى؛ من ماء مهين، وبعدها علقة ثمّ إلى أن كان منك الزوجان؛ الذكر والأنثى؛ فهل بعد هذا تظنَّ أنك في هذه الحياة سُدى هملاً بلا أمر أو نهي!!. فلابد من إعداد إجابات وافية لكل ما يُتوقَّع عنه السؤال .. وهذه والله قاصمة الظهر فنسأل الله العفوْ... آمين.

وحتى يتضح الأمر أكثر عن هذه المسئولية فسوف تكون في هذه النقاط التالية:

الأول: نصوص في المسئولية وعُموميتها.

تعددت النصوص الدالة على بداهة هذا الأمر وضرورته؛ فقد قال الله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف] وقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف] وقال: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فإنَّ دِماءَكُمْ وأَمْوالَكُمْ ـ قالَ مُحَمَّدٌ: وأَحْسِبُهُ قالَ ـ وأَعْراضَكُمْ علَيْكُم حَرامٌ، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، وسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ عن أعْمالِكُمْ) [أخرجه البخاري]. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، الإمامُ راعٍ ومَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ راعٍ في أهْلِهِ وهو مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ راعِيَةٌ في بَيْتِ زَوْجِها ومَسْئُولَةٌ عن رَعِيَّتِها، والخادِمُ راعٍ في مالِ سَيِّدِهِ ومَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ قالَ: ـ وحَسِبْتُ أنْ قدْ قالَ ـ والرَّجُلُ راعٍ في مالِ أبِيهِ ومَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، وكُلُّكُمْ راعٍ ومَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ) [أخرجه البخاري].

فهذه النصوص تُجلِّي تلك القضية جلاء حسناً مُحتَّماً؛ فلا فِكاك منه ولا مناص، فالرسُل ومَن أرسِلوا إليهم سيُسألون.

وكلَّما ازددتَّ من مظاهر التكريم؛ كلما ازدادتْ مسئوليتُك. فأنت بغير رعية لن تُسأل عنها، وبغير مال لن تُسأل عنه، وبغير عِلمٍ لن تسأل عنه، وبغير ذريَّة لن تُسأل عنها، فإذا ما اجتمع لك من

مظاهر التكريم هذه أو من غيرها فسوف تسأل عنها؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم: (رُفِعَ القلمُ عن ثلاثةٍ: عن النائمِ حتى يستيقظَ، وعن الصبيِّ حتى يحتلمَ، وعن المجنونِ حتى يعقِلَ) [أخرجه أبو داود في السنن]. فكلما حصَّلتَّ واحدة من هذه الكمالات وُضِع عليك فيها القلمُ. وقد قال صلى الله عليه وسلم: (لا تزول قدما ابنِ آدمَ يومَ القيامةِ من عندِ ربِّه حتى يُسألَ عن خمسٍ: عن عمُره فيما أفناهُ، وعن شبابِه فيما أبلاهُ، وعن مالِه من أين اكتسَبه وفيما أنفقَه، وماذا عمِل فيما علِم) [أخرجه الترمذي في السنن].

الثاني: مسئولية عامة وخاصة.

مِن الناس مَن تكون مسئوليتُه فرديَّةً شخصيةً تتعلق بذاته فقط؛ **وقليل هؤلاء بل نادرون.** فهل يوجد شخص يعيش في هذه الحياة بلا والد أو ولد، يعيش بلا أسرة أو يعيش بلا عمل أو لا يتعامل مع الناس ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق: (كلُّكم راعٍ .. الحديث).

فالمسئولية الخاصة إذا: أقصد بها النواةَ الأولى في المجتمع (الأسرة)؛ فسيُسأل المرء عن أولاده وعن زوجته وعن تربيتهم وتعليمهم وعن أخلاقهم وأعمالهم؛ فقد وصَّى الله تعالى الآباء فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم].

والمسئولية العامة وهي ذات التأثير العام على الأفراد والمجتمعات؛ ومن صورها:

العالِم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يُجَاءُ بالرَّجُلِ يَومَ القِيَامَةِ فيُلْقَى في النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ في النَّارِ، فَيَدُورُ كما يَدُورُ الحِمَارُ برَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عليه فيَقولونَ: أَيْ فُلَانُ، ما شَأْنُكَ؟ أليسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بالمَعروفِ وتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟! قالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بالمَعروفِ ولَا آتِيهِ، وأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وآتِيهِ) [أخرجه البخاري]. وقال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: (مَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ له مِثْلُ أَجْرِ مَن عَمِلَ بهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِن أُجُورِهِمْ شيءٌ،

وَمَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عليه مِثْلُ وِزْرِ مَن عَمِلَ بهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِن أَوْزَارِهِمْ شيءٌ) [أخرجه مُسلم].

فالعالم يُسأل مِن جهاتٍ متعددة: (عن عِلمه وعَمله وقَصده بهذا العلم، وعن مُتَّبعيه على هذا العلم إن كانتْ سنَّة حسنةً أو سيئةً).

الإمام (الراعي). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما مِن رجلٍ **يلي أمرَ عشرةٍ فما فوق ذلك** إلَّا أتَى اللهَ مغلولًا يومَ القيامةِ يدُّه إلى عنقِه فكَّه بِرُّه أو أوْثقه إثمُه؛ أوَّلُها **مَلامةٌ** وأوسطُها **ندامةٌ** وآخِرُها **خِزْيٌ** يومَ القيامةِ) [أخرجه أحمد]. فإذا كان هذا وصف مَن يلي أمْر عشرةٍ فما فوق يوم القيامة!! فما بالنا بمن يلي أمر بلد من البلدان، أو أمر إقليم، أو محافظة، أو مدينة، أو قرية، أو إن شئتَ فقل: أمر جامعة، أو كلية، أو مدرسة، أو معهد، أو ما شابه وهؤلاء كلهم بالملايين أو الآلاف أو المئات .. وقد قال عليه الصلاة والسلام: (إنَّ أحبَّ النَّاسِ إلى اللَّهِ يومَ القيامةِ وأدناهُم منهُ مجلِسًا إمامٌ عادلٌ وأبغَضَ النَّاسِ إلى اللَّهِ وأبعدَهُم منهُ مجلسًا إمامٌ جائرٌ) [سنن الترمذي].

العامل: وهذه الكلمة كلمةٌ عامةٌ واسعةٌ؛ فالعامل هو كلُّ مَن كُلِّف بعمل من الأعمال، فهو مطالب بإحْسان عمله فالله تعالى قال: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة] فإن الله تعالى يرى هذا العمل ويُجازي صاحبَه عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وأَمْوالِكُمْ، ولَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وأَعْمالِكُمْ) [أخرجه مسلم].

فالذين يعملون: في الوعظ والإرشاد الديني، وفي التربية والتعليم، وفي الصحة، وفي الطرق والمواصلات، وفي الزراعة والصناعة .. وفي أيِّ مجالٍ من مجالات العمل؛ لهؤلاء جميعاً أقول: الله ينظر إلى أعمالكم يراها لا تغيب عنه **فأرُوا اللهَ تعالى من أنفسكم وأعمالِكم خيرا.** لا سيَّما هؤلاء الذين يتقاضَوْن أجراً على أعمالهم؛ سواءٌ كان هذا الأجر من الدَّولةِ أو من الأفراد فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ في مَالِ اللَّهِ بغيرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَومَ القِيَامَةِ) [أخرجه

البخاري]. وهذا لأن العمل الذي أنت مُقيم عليه يتعلق بحقوق الآخرين؛ فيزداد الأمر أهمِّيةً إذْ يتعلق صاحب الحقِّ بحقِّه الذي استخلفك الله عليه، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من وَلَّاه اللهُ عزَّ وجَلَّ شيئًا مِن أمرِ المُسلِمينَ فاحتجَبَ دونَ حاجتِهم وخَلَّتِهم وفَقْرِهم احتَجَب اللهُ عنه دون حاجتِه وخَلَّتِه وفَقْرِه) [أخرجه أبو داود].

القاضي (والمُفتي): القاضي والمُفتي لهما عند الله تعالى مقامٌ عظيم؛ فكلٌّ منهما يُسأل؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: (مَن وَلِيَ القَضاءَ فقد ذُبِحَ بغيرِ سِكِّينٍ) [أبو داود في السنن]. وقال أيضاً: (القضاةُ ثلاثةٌ: واحدٌ في الجنَّةِ، واثنان في النَّارِ؛ فأما الذي في الجنَّةِ، فرجلٌ عرف الحقَّ فقضى به. ورجل عرَف الحقَّ، فجارَ في الحُكمِ، فهو في النَّارِ، ورجلٌ قضى للناسِ على جهلٍ فهو في النَّارِ) [أبو داود في السنن]. وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لو يعلم الناس ما في القضاء ما قضوا في ثمن بعرة! ولكن لا بد للناس من القضاء، ومن إمرةٍ؛ برَّةٍ أو فاجرة». وكذلك المُفتي: الذي يُفتي الناس في دينهم وأعراضهم وأموالهم. كيف حال هؤلاء أمام الله عز وجل إذا ما سألهم عن فتاويهم وأقضياتهم.

وكل من تصدَّى لأمر هو فيه قدوةٌ لغيره سيسأل عن من أضلهم؛ وقد قال الله تعالى لأمَّهات المؤمنين: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ۝٣٠ ۞وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾ [الأحزاب] فلما كانت مكانتُهنَّ رفيعةً كانت عقوبتُهن مناسبةً لتلك المكانة؛ فهنَّ قدوة لغيرهنَّ من النساء. ومن هذا القبيل قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ أُمَّتي مُعافًى إلَّا المُجاهِرِينَ، وإنَّ مِنَ المُجاهَرَةِ أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وقدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عليه، فَيَقُولَ: يا فُلانُ، عَمِلْتُ البارِحَةَ كَذا وكَذا، وقدْ باتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، ويُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عنْه) [أخرجه البخاري] فلوقَاحته وجُرأته وقِلَّةِ حيائِه وإشاعتِه المنكرَ بين الناس كان هذا جزاءَه. وقد قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن

لَّا تَعۡلَمُونَ ۝٣٨ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ [الأعراف] فكان هذا الضّعفُ نظيرَ الاقتداء بهم في الإضلال.

الثالث: أثر المسئولية في الآخرة.

مما لا شك فيه .. أن للمسئولية شأناً عظيما في الآخرة، فإذا ما حافظ الإنسان على مظاهر التكريم التي استخلفَه الله تعالى عليها تبوَّأ؛ المكانة العظمى عند الله تعالى يوم القيامة، فالعامل والعالم، والقاضي والمفتي، والوالد، والمرأة والخادم في مال سيده .. وكلُّ مسئولٍ أدَّى ما عليه أخذ الأجر العظيم؛ والذي منه:

قول النبي صلى الله عليه وسلم: (العَبْدُ إذا نَصَحَ سَيِّدَهُ، وأَحْسَنَ عِبادَةَ رَبِّهِ، **كانَ له أجْرُهُ مَرَّتَيْنِ)** [أخرجه البخاري]، ومنه قوله: (إنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ علَى مَنابِرَ مِن نُورٍ، عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ عزَّ وجلَّ ـ وكِلْتا يَدَيْهِ يَمِينٌ ـ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِمْ وما وَلُوا) [أخرجه مسلم]؛ ومنه قوله: (.. وإنَّ العالِمَ يستغفِرُ له مَن في السَّمواتِ ومَن في الأرضِ والحِيتانُ في الماءِ وفَضْلُ العالِمِ على العابِدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ إنَّ العلماءَ ورَثةُ الأنبياءِ إنَّ الأنبياءَ لَمْ يُورِثوا دينارًا ولا دِرهمًا وأورَثوا العِلْمَ فمَن أخَذه أخَذ بحظٍّ وافرٍ) [أخرجه أبو داود]. ويكفي عن هذا كلِّه مضاعفةُ الله تبارك وتعالى الحسنات التي يعملها هؤلاء؛ في الحديث: (إذا أسلم الكافرُ فحسُنَ إسلامُه كتب اللهُ له كل حسنةٍ كان زلفَها، ومحَى عنه كلَّ سيئةٍ كان زلفَها، وكان عملُه بعدُ الحسنةُ بعشرِ أمثالِها إلى سبعمائةِ ضعفٍ، والسيئةُ بمثلِها إلَّا أنْ يتجاوزَ اللهُ) [أخرجه النسائي]. وانظر في هذه الرواية وإلى اشتراط حسن الإسلام فيها.

والحمد لله رب العالمين.

حق المُسلم على المُسلم

العناصر:

المقدِّمة.

الأول: إيجابياتٌ واجبة مع المسلمين.

الثاني: سلبياتٌ لا تجوز مع المسلمين.

(الموضوع)

"المُسلم أخو المُسلم" هكذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وقد قال الله تعالى في أفصح كلامٍ وأوْضحِه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات]. وكذلك قال الرسول عليه الصلاة والسلام ممثلاً هذا الإخاء فقال: (مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى) [أخرجه البخاري]. وقال أيضاً: (المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كالْبُنْيانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا. ثُمَّ شَبَّكَ بيْنَ أصابِعِهِ) [أخرجه البخاري]. فهي أخوة إسلامية متينة أشبه ما تكون بعقد مُبرم بين أطراف متعددة؛ ومُحاطٌ بسياج منيع مَن دخل فيه أصبح له وعليه أمور لابد من مُراعاتها، وعقدُ الإخاء له متطلبات تتمثل في حقوقٍ للأفراد وواجباتٍ؛ عليها ولها، وقد جعلت هذه المُتطلبات في العناصر التالية:

الأول: إيجابياتٌ واجبة مع المسلمين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حَقُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وعِيَادَةُ المَرِيضِ، واتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وإجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وتَشْمِيتُ العَاطِسِ) [أخرجه البخاري]، وفي رواية: (وإذا اسْتَنْصَحَكَ فانْصَحْ له) [أخرجها مسلم]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) [أخرجه البخاري]. فقد اشتملت هذه الآثار على حقوق بين المُسلمين واجبة لا يجوز التفريط فيها بأي سبيل.

وهذه الحقوق:

أولها: **ردُّ السلام.** فالردُّ واجبٌ على المسلم إذا ما سلَّم عليه أخوه. وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء]، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسم: (لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتَّى تَحابُّوا، أوَلا أدُلُّكُمْ علَى شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ) [أخرجه مسلم]، وقال أيضاً: (أنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ الإسْلَامِ خَيْرٌ؟ قالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وتَقْرَأُ السَّلَامَ علَى مَن عَرَفْتَ ومَن لَمْ تَعْرِفْ) [أخرجه البخاري]. وليحذر المُسلم من أن لا يكون مُفْشيا للسلام إلا مع إخوانه فقط؛ لا سيَّما والبلدُ بلدٌ مُسلمٌ؛ فمن علامات الساعة الصغرى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أنَّ بينَ يدَيِ السَّاعةِ تسليمَ الخاصَّةِ**، وفُشوَّ التِّجارةِ، حتى تُعينَ المرأةُ زَوجَها على التِّجارةِ، وقَطعَ الأَرحامِ، وشَهادةَ الزُّورِ، وكِتمانَ شَهادةِ الحقِّ، وظُهورَ القَلمِ) [أخرجه أحمد في المسند].

ثانيها: **عيادة المريض.** وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن عادَ مَرِيضًا، لَمْ يَزَلْ في خُرْفَةِ الجَنَّةِ حتَّى يَرْجِعَ) [أخرجه مسلم].ومعناه: أنه لم يزلْ يجني من ثمار الجنة مُدَّة دوامه عنده زائرا. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم مُسْتفهماً: (من أصبح منكم اليومَ صائمًا؟، فقال أبو بكرٍ: أنا. فقال: من أطعم منكم اليومَ مِسكينًا؟ فقال أبو بكرٍ: أنا. فقال: من تبِع منكم اليومَ جِنازةً؟ فقال أبو بكرٍ: أنا. قال: من عاد منكم اليومَ مريضًا؟ قال أبو بكرٍ: أنا. فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ما اجتمَعتْ هذه الخِصالُ قطُّ في رجلٍ إلَّا دخل الجنَّةَ) [أخرجه مسلم]، فهذه الأعمال سبب لدخول الجنة شريطةَ أن تجتمع لصاحبها فيه. وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: (إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يقولُ يَومَ القِيامَةِ: يا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قالَ: يا رَبِّ، كيفَ أعُودُكَ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟! قالَ: أَمَا عَلِمْتَ أنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قالَ: يا رَبِّ، وكيفَ أُطْعِمُكَ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟! قالَ: أَمَا عَلِمْتَ أنَّه اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لوْ أطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذلكَ عِندِي، يا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قالَ: يا رَبِّ، كيفَ أسْقِيكَ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟! قالَ: اسْتَسْقاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ

تَسْقِهِ، أَمَا إنَّكَ لو سَقَيْتَهُ وجَدْتَ ذلكَ عِندِي) [أخرجه مُسلم] فمن يعود مريضا يجد الثواب الجزيل والأجر العظيم عند الله تعالى.

ثالثها: **اتباع الجنائز (وإذا ماتَ فاتَّبِعْهُ).** فمن حق المُسلم على أخيه المسلم أنه إذا مات أن يتَّبِع جِنازته. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَن شَهِدَ الجَنازَةَ حتَّى يُصَلِّيَ، فَلَهُ قِيراطٌ، ومَن شَهِدَ حتَّى تُدْفَنَ كانَ له قِيراطانِ، قيلَ: وما القِيراطانِ؟ قالَ: مِثْلُ الجَبَلَيْنِ العَظِيمَيْنِ) [أخرجه البخاري]. وفي رواية عند مُسلم: (كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَن صَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَ، كانَ له مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُحُدٍ).

رابعها: **إجابة الدعوة.** وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أَجِيبُوا هذِه الدَّعْوَةَ إذا دُعِيتُمْ لها). "وكانَ عبدُ اللَّهِ يَأْتي الدَّعْوَةَ في العُرْسِ وغَيْرِ العُرْسِ وهو صائِمٌ". [أخرجه البخاري] وقال: (إذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فإنْ كانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وإنْ كانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ) [أخرجه مسلم] ومعنى فليُصلِّ: أي "يدعوا لهم"، وقوله: (فُكُّوا العانِيَ، يَعْنِي: الأسِيرَ، وأَطْعِمُوا الجائِعَ، وعُودُوا المَرِيضَ) [أخرجه البخاري].

خامسها: **تشميت العاطس.** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العُطاسَ ويَكْرَهُ التَّثاؤُبَ، فإذا عَطَسَ أحَدُكُمْ وحَمِدَ اللَّهَ، **كانَ حَقًّا علَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ** أنْ يَقُولَ له: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وأَمَّا التَّثاؤُبُ: فإنَّما هو مِنَ الشَّيْطانِ، فإذا تَثاءَبَ أحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ ما اسْتَطاعَ، فإنَّ أحَدَكُمْ إذا تَثاءَبَ ضَحِكَ منه الشَّيْطانُ) [أخرجه البخاري]، وإذا لم يحمد الله تعالى فلا نُشمِّته؛ فعن أبي بردة بن نيار قال: (دَخَلْتُ علَى أَبِي مُوسَى وَهو في بَيْتِ بنْتِ الفَضْلِ بنِ عَبَّاسٍ، **فَعَطَسْتُ فَلَمْ يُشَمِّتْنِي، وَعَطَسَتْ فَشَمَّتَهَا**، فَرَجَعْتُ إلى أُمِّي فأخْبَرْتُهَا، فَلَمَّا جَاءَهَا قالَتْ: عَطَسَ عِنْدَكَ ابْنِي فَلَمْ تُشَمِّتْهُ، وَعَطَسَتْ فَشَمَّتَّهَا، فَقالَ: إنَّ ابْنَكِ عَطَسَ، فَلَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فَلَمْ أُشَمِّتْهُ، وَعَطَسَتْ، فَحَمِدَتِ اللَّهَ فَشَمَّتُّهَا، سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: إذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَشَمِّتُوهُ، فإنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فلا تُشَمِّتُوهُ) وكان لأبي موسى رضي الله عنه زوجتان. [أخرجه مُسلم]. ولأجل فضل الدعاء

بالرحمة لمن حمِد اللهَ عند عُطاسه: (كانت اليهودُ تَعاطسُ عند النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رجاءَ أن يقولَ لها: يرحمُكُم اللهُ فكان يقولُ: يهديكُم اللهُ ويصلحُ بالَكم) [أخرجه أبو داود].

سادسها: **إذا استنصحك فانصح له.** النصيحة في الإسلام لها مقامٌ عظيم، ولعِظَمِها كانت محلَّ اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذْ كانت حياتُه صلى الله عليه وسلم كلُّها تجسيد لهذا الأمر العظيم، فهو القائل: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنا: لِمَنْ؟ قالَ: لِلَّهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ) [أخرجه مُسلم]، وقد كان عليه الصلاة والسلام يأخذ البيعة من أصحابه عليها؛ فهذا جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه يقول: (بَايَعْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ علَى إقَامِ الصَّلَاةِ، وإيتَاءِ الزَّكَاةِ، والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ) [أخرجه البخاري].

وإذا كان هذا هو أمرها عموماً فكيف إذا ما طُلِبتْ منك لأخيك وقت حاجته؛ فسألك إياها مُسترشداً أو مُستفهما فتكون حينئذ من أوجب الواجبات التي تؤدِّي إلى توثيق العلاقة الإيمانية والأخوة الإسلامية؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (حَقُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ سِتٌّ قيلَ: ما هُنَّ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: .. **وإذا اسْتَنْصَحَكَ فانْصَحْ له**) [أخرجه مسلم].

ومما يُذكر في هذا المقام؛ أن الصحابي الجليل الذي روى حديث النصيحة هذا (والنصح لكل مُسلم) قد طبّق الحديث تطبيقا بديعاً؛ إذْ أنه: «وَقَفَ فِي نَاحِيَةِ السُّوقِ، فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ تَمُرُّ عَلَيْهِ، فَمَرَّ بِهِ فَرَسٌ فَأَعْجَبَهُ، فَقَالَ: لِمَوْلَاهُ انْطَلِقْ فَاشْتَرِ ذَلِكَ الْفَرَسَ، فَانْطَلَقَ مَوْلَاهُ، فَأَعْطَى صَاحِبَهُ بِهِ ثَلَاثَمِائَةِ دِرْهَمٍ، فَأَبَى صَاحِبُهُ أَنْ يَبِيعَهُ فَمَاكَسَهُ، فَأَبَى صَاحِبُهُ أَنْ يَبِيعَهُ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ أَنْ تَنْطَلِقَ إِلَى صَاحِبٍ لَنَا نَاحِيَةَ السُّوقِ؟ قَالَ: لَا أُبَالِي فَانْطَلَقَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ: أَنِّي أَعْطَيْتُ هَذَا بِفَرَسِهِ ثَلَاثَمِائَةِ دِرْهَمٍ فَأَبَى، وَذَكَرَ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ صَاحِبُ الْفَرَسِ: صَدَقَ أَصْلَحَكَ اللهُ فَتَرَى ذَلِكَ ثَمَنًا، قَالَ: لَا فَرَسُكَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ تَبِيعُهُ بِخَمْسِمِئةٍ حَتَّى بَلَغَ سَبْعَمِائَةِ دِرْهَمٍ أَوْ ثَمَانَمِئةٍ، فَلَمَّا أَنْ ذَهَبَ الرَّجُلُ أَقْبَلَ عَلَى مَوْلَاهُ، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ انْطَلَقْتَ لِتَبْتَاعَ لِي دَابَّةً، فَأَعْجَبَتْنِي دَابَّةُ رَجُلٍ، فَأَرْسَلْتُكَ تَشْتَرِيهَا، فَجِئْتَ بِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقُودُهُ **وَهُوَ يَقُولُ: مَا تَرَى مَا تَرَى**، وَقَدْ «بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَلَى النُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»» (أخرجه الطبراني في المعجم الكبير). فقد استنصحه؛ فنصح له ولم يُبال بالخسارة المالية التي تلحق به. رضي الله عنه.

سابعها: **وهو عام (يحبُّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه)**. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) [أخرجه البخاري]. فالمُسلم من علامات كمال إيمانه أنه يُحبُّ لأخيه ما يُحبُّه لنفسه. وهذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم؛ فالمسلمُ يُحبُّ لنفسه جلب المنافع ويُحبُّ كذلك دفع المفاسد عنها وهكذا يجب أن يكون مع إخوانه[1].

وهذه الواجبات السبع؛ من شأنها أن تجعل الشأنَ العامَّ للمسلمين شأناً عاليا مُتآخيا مترابطاً لا غبش فيه ولا دَخَل. إذْ إن عيادة المريض وتشميت العاطس وإفشاء السلام واتباع الجنائز .. أمورٌ عامَّة ظاهرة وشأنها في المجتمع أن تصنع رأياً عاماً يسرُّ الموحِّدين ويغيظ الظالمين.

الثاني: سلبياتٌ لا تجوز مع المسلمين.

السلبيات التي لا تجوز بين المُسلمين كثيرة جداً؛ ولكنى أكتفي بذكر أمورٍ ظاهرة، من شأنها أن تُعكِّر صفوَ المجتمع المُسلم في صورته العامَّة ومنها:

---

(1) ـ وقد اقتصرت على ذِكر هذه الواجبات السبع؛ ولا يعني هذا أن الواجبات المتعلقة بهذا الموضوع هي فقط بل هي أكثر من ذلك؛ فقد قال سلطان العلماء العِز بن عبد السلام: «.. وَمِنْهَا: حُسْنُ الصُّحْبَةِ وَكَرَمُ الْعِشْرَةِ، وَكَفُّ الْأَذَى وَبَذْلُ النَّدَى، وَإِكْرَامُ الضِّيفَانِ وَالْإِحْسَانُ إلَى الْجِيرَانِ، وَصِلَةُ الْأَرْحَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَمِنْهَا الْعَدْلُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَالْإِحْسَانُ وَالْإِجْمَالُ، وَمِنْهَا الْوَفَاءُ بِالْعُقُودِ وَالْعُهُودِ، وَإِنْجَازُ الْوُعُودِ، وَإِكْرَامُ الْوُفُودِ، وَمِنْهَا الْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ إذَا اقْتَتَلُوا وَاخْتَلَفُوا وَامْتَنَعُوا مِنْ الْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ، أَوْ بَغَوْا عَلَى الْأَئِمَّةِ أَوْ اجْتَرَءُوا عَلَى الْأَئِمَّةِ. وَمِنْهَا إرْشَادُ الْحَيَارَى، وَتَزْوِيجُ الْأَيَامَى وَوُدُّ الْأَصْدِقَاءِ، وَإِكْرَامُ الْأَرِقَّاءِ وَالْبَشَاشَةُ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَمِنْهَا أَنْ يُحْسِنَ إلَى مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَبَلَغَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَصِلَ مَنْ قَطَعَهُ، وَيُعْطِيَ مَنْ حَرَمَهُ، وَيَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُحْسِنَ إلَى مَنْ أَسَاءَ إلَيْهِ، وَمِنْهَا أَنْ يُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ كَتَعْظِيمِ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِكْرَامِ الْأَتْقِيَاءِ، وَاحْتِرَامِ الْأَوْلِيَاءِ، وَتَوْقِيرِ الْعُلَمَاءِ، وَرَحْمَةِ الضُّعَفَاءِ، وَمِنْهَا أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَأَنْ لَا يَبِيعَ عَلَى بَيْعِهِ ..» وعدَّها بعض العلماء من كلامه رحمه الله تعالى فجاوزت السبعين حقّاً بين المكلفين؛ يُنظر: عناية السنة النبوية بحقوق الإنسان د: حكمت بشير ياسين. جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود. ص: (628) . نقلاً عن قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لا تَحاسَدُوا، ولا تَناجَشُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ علَى بَيْعِ بَعْضٍ**، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا. المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، **لا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ**. التَّقْوَى هاهُنا. ويُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. **بحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ**. كُلُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ حَرامٌ؛ دَمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ) [أخرجه مُسلم]. وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه: (.. **ولا يُسْلِمُهُ** ..) [أخرجه مُسلم]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً: (.. **ولَا يَبِيعُ الرَّجُلُ علَى بَيْعِ أخِيهِ، ولَا يَخْطُبُ علَى خِطْبَةِ أخِيهِ**، ولَا تَسْأَلُ المَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَكْفَأَ ما في إنَائِهَا) [أخرجه البخاري][1]. وقال أيضاً: (**إيَّاكُمْ والظَّنَّ**، فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَديثِ، **ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا**، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللَّهِ إخْوانًا). [أخرجه البخاري]. ومن هذه السلبيات الشائعة:

الأول: **لا تحاسدوا**. وقد قال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق] وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ولا يجتمعانِ في قلبِ عبدٍ الإيمانُ والحسدُ) [أخرجه النسائي]. وقد سمَّى النبي صلى الله عليه وسلم الحسد قتلاً؛ فقد: (مَرَّ عامِرُ بنُ ربيعةَ بسهلِ بنِ حَنِيفٍ وهو يغتسِلُ، فقال: لم أَرَ كاليومِ ولا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ. فما لَبِثَ أنْ لُبِطَ به، فأُتِيَ به النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقيل له: أدرِكْ سهلًا صريعًا. قال: مَن تتَّهِمونَ به؟ قالوا: عامرَ بنَ ربيعةَ. قال: **على ماذا يقتُلُ أحدُكم أخاه؟!** إذا رأى أحدُكم مِن أخيه ما يُعْجِبُه، فلْيَدْعُ له بالبركةِ. ثمَّ دعا بماءٍ، فأمَرَ عامرًا أنْ يتوضَّأَ، فغسَلَ وجْهَه ويدَيْه إلى المرفقينِ ورُكبتَيْه وداخلةَ إزارِه، وأمَرَ أنْ يَصُبَّ عليه) [أخرجه أحمد وابن ماجة]. وقال معاوية رضي الله عنه: «كلُّ الناس أقدرُ على رضاه إلا حاسدَ نعمة لا يُرضيه إلا زوالها». **وهناك فرق بين العين والحسد:** إذْ كلٌّ منهما يوقِع الضرر بالآخرين ولكن العائن تتكيف نفسه عند مُلاقاة مَن يُريد إضرارَه، أمَّا الحاسد فليس شرطاً أن يرى من يَحسِدُه فقد يحْسِد إنساناً غائبا عنه لا يراه؛ بخلاف العائن. فكلُّ عائنٍ حاسد وليس كلُّ حاسد عائن.

---

(1) قد ذكرتُ أمورا من هذه السلبيات وتركت أُخَر؛ والذي تركته قد تكلمت عنه قبل ذلك في مواضيع مُفردة.

الثاني: **(لا تناجشوا)، (ولا يبع بعضكم على بيع بعض).** وهاتان الخصلتان المذموتان هما في المعاملات المادية كالبيع والشراء.

فالنجش: أن يزيد في السلعة مَنْ لا يُريد شراءَها. ولا يفعلْه إلا أنه يُريد إما نفع البائع أو ظُلْمَ المُشتري.

وأمَّا (ولا يبع بعضكم على بيع بعض). وهذا صوره كثيرة جداً؛ فكم من صفقة تمَّتْ ثم انفصمت عُراها بإغراء البائع أو المشتري بثمن أعلى مما اشتراها أو باعها به، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يَبِعْ حاضِرٌ لِبادٍ، **دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقِ اللَّهُ بَعْضَهُمْ مِن بَعْضٍ)** [أخرجه مُسلم].

الثالث: **لا تباغضوا ولا تدابروا.** وهذا نهيٌّ شديد عن هاتين الخصلتين؛ التباغض والتدابر، فالتباغض أمرٌ يسعى الشيطان لإيقاعه بين المُسلمين بكل سبيل؛ فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الشَّيْطانَ قدْ أيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ في جَزِيرَةِ العَرَبِ، ولَكِنْ في التَّحْرِيشِ بيْنَهُمْ) [أخرجه مُسلم]؛ فإنْ كان قد يئس من أن يكون معبودا فلم ييأس من أن يوقع بينهم الخلافات والمشاحنات. وكذلك: **(ولا تدابروا).** فلا يُولِّي أحدُكم دُبره لصاحبه في المجالس، أو لا يختلفون في الأقوال والنقاشات التي تكون بينهم جدالاً ومِراءً. وإلا ففي التقاطع والتدابر فساد ذات البين وما أخطرَها من بليَّة يُصاب بها المجتمع.

الرابع: **ولا يخذلُه ولا يُسْلِمه.** فالمُسلم عليه أن ينصر أخاه المُسلم؛ لا أن يخذله أو يُسْلِمه لعدوه ولا يكون عونا للشيطان أو الأعداء على أخيه. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (انْصُرْ أخاكَ ظالِمًا أوْ مَظْلُومًا. فقالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللَّهِ، أنْصُرُهُ إذا كانَ مَظْلُومًا، أفَرَأَيْتَ إذا كانَ ظالِمًا، كيفَ أنْصُرُهُ؟ قالَ: تَحْجُزُهُ ـ أوْ تَمْنَعُهُ ـ مِنَ الظُّلْمِ؛ فإنَّ ذلكَ نَصْرُهُ) [أخرجه البخاري]. وقد جاء في الحديث الضعيف: **(ما منَ امرئٍ يخذلُ امرأً مسلِمًا** في موضعٍ تُنتَهَكُ فيهِ حرمتُهُ ويُنتَقَصُ فيهِ من عِرضِهِ **إلَّا خذلَهُ اللَّهُ في موطنٍ يحبُّ فيهِ نصرتَهُ** وما منَ امرئٍ ينصرُ مسلمًا في موضعٍ يُنتَقَصُ فيهِ من

عرضِهِ ويُنتَهَكُ فيهِ من حرمتِهِ إلَّا نصرَهُ اللَّهُ في موطنٍ يحبُّ نصرتَهُ) [أخرجه أبو داود]. والجزاء من جنس العمل. ويزداد الأمر أهمِّية إذا ما استنصرك أخوك أي طلب منك النصرة؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال].

الخامس: **ولا يحقره** (بحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ). فلا يليق بالمسلم أن يزدري أخاه أو ينتقصه أو يلمِزه أو يهمِزه؛ فهذا من أخلاق الكافرين؛ وقد قال الله تعالى عن قوم نوح: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾ [هود] وقد قال نوح عليه السلام لهم ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ﴾ [هود] قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ﴾ [الحجرات]، وهذا الازدرا والاحتقار من علامات الكِبر التي قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ قالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يَكونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ونَعْلُهُ حَسَنَةً، قالَ: إنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ) [أخرجه مُسلم]. وإلا فقد يكون الشخص الذي تزدريه أو تحتقره خيراً عند الله تعالى من كثير مِمَّن تراهم؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذه المقارنات عن شخص لا يُسمع لكلامه ولا تُقبل شفاعته ولا يُنكح إذا ما قورن بالآخرين في مكانتهم بين الناس: (هذا خَيْرٌ مِن مِلْءِ الأرْضِ مِثْلَ هذا) [أخرجه البخاري].

وانظر هذه الكلمة: (بحسب امرئ من الشر)!! يكفيك شراً وإثما وذنبا احتقارُك لأخيك ..!!

السادس: **(ولَا يَخْطُبُ علَى خِطْبَةِ أخِيهِ، ولَا تَسْأَلُ المَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَكْفَأَ ما في إنَائِهَا)**. كم من البيوت هُدِّمتْ وقُطِّعت أواصل المحبة بين أفرادها بسبب هذا الأمر؛ فهذه امرأة تُريد لأختها المُسلمة أن تفارق زوجها وأن تفارق بيتها!! لماذا؟ حسدا وبُغضا وكُرها. فلربَّما رأتْ من حُسن العِشرة بين أفراد هذا البيت ما لم تجده عندها فأسرعتْ في التفريق بينهم!!. وهذا رجل أراد أن يُفسد على

أخيه خِطبته فسعى في الإيقاع بين أفراد الأسرتيْن، أو تقدَّم هو بجاهه وسلطانه ونفوذه كي يخطب امرأة مخطوبة لأخيه المسلم!!.

السابع: **ولا تحسسوا ولا تجسسوا.** قد ذكر ابن كثير في تفسيره؛ قول الأوزاعيِّ: «التَّجَسُّسُ: الْبَحْثُ عَنِ الشَّيْءِ. وَالتَّحَسُّسُ: الِاسْتِمَاعُ إِلَى حَدِيثِ الْقَوْمِ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أَوْ يَتَسَمَّعُ عَلَى أَبْوَابِهِمْ. وَالتَّدَابُرُ: الصَّرْم».

وقد: (صعد رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم المنبر فنادَى بصوتٍ رفيعٍ فقال يا معشرَ من أسلمَ بلسانهِ ولم يُفضِ الإيمانُ إلى قلبهِ، لا تُؤذُوا المسلمينَ ولا تُعيِّروهُم ولا تَتَّبعوا عوراتهِم، فإنه من يتبِعْ عورةَ أخيهِ المسلمِ تتبعَ اللهُ عورتَهُ، ومن يتبعِ اللهُ عورتهُ يفضحْه ولو في جوفِ رحلهِ) [أخرجه الترمذي]. وقد جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال فلان تقطر لحيته خمرا ـ وهذا دليل على شُربها ـ فقال له رضي الله عنه: (إنا قد نُهينا عن التجسُّسِ، ولكن إن يَظهرْ لنا شيءٌ نأخذُ به) [أخرجه أبو داود] وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ومَنِ اسْتَمع إلى حَديثِ قَوْمٍ وهُمْ له كارِهُونَ، أوْ يَفِرُّونَ منه؛ صُبَّ في أُذُنِهِ الآنُكُ يَومَ القِيامَةِ) [أخرجه البخاري] فالرصاص يُصب في أذنه جزاء وِفاقا.

والحمد لله ربِّ العالمين[1].

(1) ـ في كلِّ خصلة من هذه الخِصال (أيجابيات أو السلبيات) تَكمُن تفاصيل كثيرة؛ فكل واحدة منها تسع مقاما أو تصنيفا مُفردا لها؛ ولكني آثرت إبرازها بهذه الصورة لأنه في كثير من الأحيان تُذْهِب التفاصيلُ رونقَ الكلامِ وعذوبتَه، ومقام والوعظ ليس كمقام التصنيف أو المحاضرات العلمية الأكاديمية... والله أعلم.

ما تصلح به الدنيا

العناصر:

المُقدِّمة.

الأول: بناء الدولة .. وسيلة وليس غاية.

الثاني: القواعد العامة للبناء.

الثالث: القواعد الخاصة والشخصية للأفراد.

الموضوع

من المواضيع التي لها أثر كبير في النقاشات والحوارات هذا الموضوع؛ إذْ ما من مُسلمٍ لا يُريد لبلده ووطنه الخيرَ ـ لا سيما ونحن في هذه الأزمان ـ؛ ولكن كم من مُريدٍ للخير لا يبلغه!! أو كم مِن مُريد للخير قد أخطأ طريقَه فتاهَ في صحراء من التِّيهِ؛ شعُر بذلك أو لم يشعُر.

وقبل أن أدخُل في خِضمِّ هذا الموضوع أَذْكُر نُقطتين أساسيتين؛ هما بمثابة توصيفٍ لحالٍ نعيشُه ومدخلٍ للقائنا كذلك.

الأولى: طبيعة الدين والمجتمع الذي نعيش فيه. فالناظر في الخطاب الإلهي يرى أمراً واضحاً؛ وهو التنبيه على خصوصية المنهج وخصوصية الانتماء إليه؛ فقد قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٩ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية] وقال تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ۝٦٧ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٦٨ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الحج]؛ فدينُنَا ومنهجُنا وطريقتنا؛ كل هذه الأمور تختلف في طبيعتها عن

الآخرين مما يترتَّبُ عليه أحكامٌ وتفاصيلُ وقوانينُ تنبثق من هذه الشريعة لأبنائها ولا تصلح لغيرهم إلا إذا انضمُّوا تحت لوائها. وكذلك للعرب طبيعة تخصهم فما يصلح لغيرهم لا يصلح لهم؛ فقد وصفهم ابن خلودن بأوصاف منها: « العرب لا يحصل لهم الحكم والملك **إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين** ... والسبب أنهم **أصعب الأمم انقياداً بسبب الغلظة والأنفة وبُعدُ الهمَّة والمنافسة في الرياسة وقلما تجتمع أهواؤهم.** فإذا كان الحكم بالدين أو الولاية ذهب عنهم خلق الكبر والمنافسة فسهل انقيادهم واجتماعهم ... فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يدعوهم للقيام بأمر الله ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق يتم اجتماعهم ويحصل لهم الغلبة والملك» فلنا طبيعة مختلفةٌ دينا وجِبلةً وخلقةً ومكاناً.

الثانية: **تعدُّدُ قِراءاتِ النَّص المقدس لدى المُسلمين أدَّى إلى اختلاف تلك العوامل.** وهذه النُّقطة أدَّتْ إلى تباين الرؤى واختلاف وجهات النظر؛ فهذا يقرأ القرآن والسنة وفي ظنه أنه يُطبقها كما كان النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، والآخر يقرأهما كذلك ويرى ما لا يراه الآخر ومع ذلك يدعي ما يدَّعيه، وثالثٌ ورابع وخامس.. كلٌّ له وجْهته وطريقته التي يفهم بها كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم. وهذا الاختلاف بين أشخاصٍ هدفهم ومرجعيتهم واحدة؛ ولكن اختلفتْ وسائلهم.

ناهيك عن تلك الأطياف التي ليس لها مرجعية دينية أصلاً؛ وجعلتِ الظروفُ المعاصرةُ لهم رأْياً ومنزلةً ليستْ بالهينة بل لها ثِقل وأيُّ ثِقل!! وترى هي الأخرى رؤيةً أو رؤىً لا تتوافق مع تلك الرؤى المُنبثقة من المرجعية الدينية.

فلا شكَّ حينئذٍ من الاختلافات الشديدة حول هذه الموضوع المحوري والمهمِّ. وهذا مما يجعل الحديث عنه ضرورة مُلحَّة. فأقول وبالله تعالى التوفيق.

الأول: بناء الدولة .. وسيلة وليس غاية.

تلك هي نقطة البدء .. فهل نسعى لبناء دولةٍ قويةِ الأركانِ، شامخة البناءِ، عظيمةِ الجاه والسلطان، مرهوبةِ الجنابِ، .. وفقط؟ أم هل نسعى لبناء دولة فيها العلماء الأفذاذ في كلِّ فنٍ، وفيها

الاختراعات والابتكارات، وفيها التقدُّم والرُّقيُ، وفيها التحضُّر والثقافة والفنون، وفيها ما يُبهر العيون ويَخطف القلوب الألباب .. هل هذا ما نسعى إليه وفقط؟. هل نسعى في هذا البناء لكي يكون الإنسان مُسخَّراً لخدمة ما حوله بناءً وتشييداً أم نسعى لكي يكون هذا البناء كلُّه مسخراً لهذا الإنسان؟!!.

فإذا كانت الدولةُ وسيلةً .. فلأيِّ غاية تكون؟، وإذا كانت غاية فماذا بعد هذه الغاية؟ فهل نحن فيها مخلَّدون أم هل نحن نُعمِّرُ ونُعمِّرُ ونُعمِّرُ ونُعمِّرُ .. وفقط؟ أم بعد الموت سنسأل عن تعميرٍ وبناءٍ وتشييدٍ خلا عن قصْدٍ وغاية؛ فالنبي عليه وسلم يقول: (إنما الأعمال بالنيات)؟ .

فلننظُر .. لماذا هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من بلده؟ ولماذا جهَّز الجيوشَ وخاض هو وأصحابُه من بعدِه الغزواتِ والمعاركَ؟ هل لكي يُعمِّرَ قطعةً من الأرض يُقيم عليها الأبنيةَ والقصورَ والأسوارَ كما كانت الدول المجاورة له أم ماذا؟ لا شك بأنه لم يفعل ذلك لأجل هذا، وإنما لأجل ما ذكره الله تعالى بقول: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج] فينبغي أن نضع هذا في حُسباننا أن بناء الدولة في الإسلام إنما هو وسيلة لإقامة دين الله عز وجل في الأرض.

ولعلَّ في آيةِ الأنفال التي يأمرُ اللهُ تعالى فيها المؤمنين بإعداد العدَّة ـ وهي الوسيلة ـ ملْمَحاً إلى هذه الغاية التي تترتَّب عليها؛ فقد قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾. فليس المقصود هو العُدّة أو التعمير المجرَّدُ فحسْب؛ بل لأجل إرهاب أعداء الله تعالى الذين هم أعداؤنا.

وإذا ما كان الأمر كذلك فهناك قواعد عامة للبناء وأخرى خاصة بالأشخاص والأفراد. وهاك هي:

الثاني: القواعد العامة للبناء.

أبدأ هذه القواعدَ بِذِكْرِ مَقالةٍ للإمام الماورديِّ الشافعي رحمه الله تعالى؛ إذْ يقول فيها: «اعْلَمْ أَنَّ مَا بِهِ تَصْلُحُ الدُّنْيَا حَتَّى تَصِيرَ أَحْوَالُهَا مُنْتَظِمَةً، وَأُمُورُهَا مُلْتَئِمَةً، سِتَّةُ أَشْيَاءَ هِيَ قَوَاعِدُهَا، وَإِنْ تَفَرَّعَتْ، وَهِيَ: دِينٌ مُتَّبَعٌ وَسُلْطَانٌ قَاهِرٌ وَعَدْلٌ شَامِلٌ وَأَمْنٌ عَامٌّ وَخِصْبٌ دَائِمٌ وَأَمَلٌ فَسِيحٌ» فـ:

أولاً: دِينٌ مُتَّبَعٌ. فأيُّ بناء للدولة بعيد عن الدِّين أو يقوم على إقصاء الدين فهو إلى زوال وأمره إلى اضمحلال؛ فقد قال الله تعالى في مُحكم كتابه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [النور] فالتمكين والاستخلاف في الأرض واستبدال الخوف بالأمن؛ هذا كلُّه مشروط بأمور: (تحقيق الإيمان الذي يتبعه عملُ الصالحات؛ والذي يتمثل في العبودية وتوحيد الله عز وجل وعدم الإشراك به). ولقد قال ابن كثير رحمه الله تعالى كلاما مُهمًّا وفي آخره: «فَالصَّحَابَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لَمَّا كَانُوا أَقْوَمَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِأَوَامِرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَطْوَعَهُمْ لِلَّهِ ـ كَانَ نَصْرُهُمْ بِحَسَبِهِمْ، وَأَظْهَرُوا كَلِمَةَ اللَّهِ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، وَأَيَّدَهُمْ تَأْيِيدًا عَظِيمًا، وَتَحَكَّمُوا فِي سَائِرِ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ. **وَلَمَّا قَصَّرَ النَّاسُ بَعْدَهُمْ فِي بَعْضِ الْأَوَامِرِ، نَقَصَ ظُهُورُهُمْ بِحَسَبِهِمْ**». فما علينا إلا أن نعبد الله تعالى بما أُمرنا مُتَّخذين مع ذلك الأسباب المُتاحة لنا، ولا نظنُّ الكافرين مُعجزين في الأرض فمهما أوتوا من قوة فمآلُهم بئس المآلُ.

ولأجل رُكنية هذا الأمر في بناء الدُّول؛ لم يُخْلِ اللهُ تعالى منه أمَّةً من الأمم فقد قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فاطر].

ثانياً: سُلْطَانٌ قويٌّ[1]. قال الماورديُّ عن هذه القاعدة: «سُلْطَانٌ قَاهِرٌ تَتَأَلَّفُ مِنْ رَهْبَتِهِ الْأَهْوَاءُ الْمُخْتَلِفَةُ، وَتَجْتَمِعُ لِهَيْبَتِهِ الْقُلُوبُ الْمُتَفَرِّقَةُ، وَتَكُفُّ بِسَطْوَتِهِ الْأَيْدِي الْمُتَغَالِبَةُ، وَتَمْتَنِعُ مِنْ خَوْفِهِ النُّفُوسُ الْعَادِيَةُ؛ **لِأَنَّ فِي طِبَاعِ النَّاسِ مِنْ حُبِّ الْمُغَالَبَةِ عَلَى مَا آثَرُوهُ وَالْقَهْرِ لِمَنْ عَانَدُوهُ، مَا لَا يَنْكَفُّونَ عَنْهُ إِلَّا بِمَانِعٍ قَوِيٍّ، وَرَادِعٍ مَلِيٍّ**».

فإذا ما كان السلطان قويًّا مرهوبَ الجنابِ؛ انضبطتْ به الأحوال واستقامت له الأمور، وهكذا كان المسلمون في دُوَلهم القوية على مدى التاريخ، كان حُكَّامها فيها أقوياء فليسوا بالضعفاء وليسوا بالعَجَزَة في اتخاذ القرارات.

فهذا أبو بكر الصدِّق رضي الله تعالى عنه الحليمُ البكَّاءُ كانتْ قوتُه معروفةً مشهورةً؛ فيَقِفُ في خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وفي سقيفة بني ساعدة وفي بعث أسامة رضي الله عنه وفي حروب المرتدين وقبل ذلك في صلح الحديبية **مواقفَ يعجزُ عنها أفذاذ الصحابة وأقوياؤهم** أمثال عمر رضي الله تبارك وتعالى عن الجميع. وهكذا كان عمر وعثمان وعلي في خلافتهم رضي الله تعالى عنهم جميعاً. فقد جمعوا بين القوة والدين والسيرة الحسنة والأخلاق الفاضلة. وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذرٍّ: (يا أبا ذَرٍّ، **إنِّي أراك ضعيفًا** وإنِّي أحِبُّ لك ما أحِبُّ لنفسي، فلا تَأَمَّرَنَّ على اثنَينِ، ولا تَوَلَّيَنَّ مالَ يَتيمٍ) [أخرجه مُسلم وأبو داود واللفظ له] فلا يليق بالإمارة والولاية إلا من كان قوياً، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يولِّي خالد بن الوليد في معارك كثيرة لقوته وشدَّته ويُقدِّمه على كثير من الصحابة وفيهم من هو أفضل منه في أبواب أخر.

وكذلك القويُّ ولو كان في بعض أخلاقه وعبادته ضعفٌ: فقوتُه تكون للأمَّة وأمَّا ضعفُ عبادته فيكون على نفسه؛ فقد سئل الإمام أحمد مسألة فيها: «من نولي القيادة، الفاجرَ القوي أم التقي الضعيف؟ فقال: أما الفاجر القوي، فقوته للأمَّة وفُجوره على نفسه، وأما التقي الضعيف فتقواه لنفسه

---

(1) ـ أجد في لفظة القهر التي استخدمها الإمامُ الماوردي معنى من المعاني التي لا يجوز وصف الحاكم المسلم بها؛ لذلك عدلت عنه إلى لفظة "القوي" ولورودها في النصوص الشرعية.

وضعفه على الأمة»، وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هذا الدِّينَ بالرَّجُلِ الفَاجِرِ) [أخرجه البخاري]،

ثالثاً: وَعَدْلٌ شَامِلٌ. فلابد من العدل الشامل الظاهر الذي «يَدْعُو إِلَى الْأُلْفَةِ، وَيَبْعَثُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَتَتَعَمَّرُ بِهِ الْبِلَادُ، وَتَنْمُو بِهِ الْأَمْوَالُ، وَيَكْثُرُ مَعَهُ النَّسْلُ، وَيَأْمَنُ بِهِ السُّلْطَانُ. فَقَدْ قَالَ الْمَرْزُبَانُ لِعُمَرَ، حِينَ رَآهُ وَقَدْ نَامَ مُتَبَذِّلًا: عَدَلْت فَأَمِنْت فَنِمْت. وَلَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعُ فِي خَرَابِ الْأَرْضِ وَلَا أَفْسَدُ لِضَمَائِرِ الْخَلْقِ مِنْ الْجَوْرِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ يَقِفُ عَلَى حَدٍّ وَلَا يَنْتَهِي إلَى غَايَةٍ» قاله الماورديُّ.

وقد أمر الله تعالى بالعدل في كثير من المواطن من كتابه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ في ظِلِّهِ، يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إمَامٌ عَادِلٌ، ..) [أخرجه البخاري] وقد جاء في سبب هلاك الأمم السابقة ما نصُّه في قصة المرأة المخزومية التي سرقتْ: (إنَّما أهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أنَّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أقَامُوا عليه الحَدَّ، وايْمُ اللَّهِ لو أنَّ فَاطِمَةَ بنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا) [أخرجه البخاري]، وقد خاف النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في آخر زمانها: (النجومُ، وتكذيبٌ بالقدرِ، وحَيْفُ السلطانِ) [صحيح الجامع الألباني]. وفي آخر حديثنا عن هذا الركن الركين الذي به صلاح الدنيا وقِوامها أذْكُر دعاءَ النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ يقول فيه: (اللَّهُمَّ مَن وَلِيَ مِن أَمْرِ أُمَّتي شيئًا فَشَقَّ عليهم؛ فَاشْقُقْ عليه، وَمَن وَلِيَ مِن أَمْرِ أُمَّتي شيئًا فَرَفَقَ بهِمْ؛ فَارْفُقْ بهِ) [أخرجه مسلم]. و(بالعدل قامت السماوات والأرض) [أخرجه أحمد في المسند وله قصة].

رابعاً وخامساً: وَأَمْنٌ عَامٌّ وَخِصْبٌ دَائِمٌ. فلابد في بناء الدُّوَل واستقرار أحولها من هذين الأمرين معاً الأمن العام والخِصب الدائم؛ وإلا .. فكثير مِن الناس مَن إذا أصابهم الضرُّ والفزعُ والخوفُ وقِلةُ الرزق وسوءُ المعيشة؛ تتهدَّم أحوالهم وتنقلب حياتُهم وتنْتكس؛ فينتشر الجوع والفقر والمرض ومِنْ ثمَّ يكون الجهل والكسلْ، فبعد البناء والعتمير يكون الخراب والتدمير وبعد الأمن يكون الخوف والفزع. وقد امتنَّ الله سبحانه وتعالى على قريشٍ فقال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢

فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤﴾ [قريش] وقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [النحل]. فالأمن والاطمئنان مع الرزق الوفير من أعظم المظاهر الدالة على الاستقرار.

وقد قال الماوردي رحمه الله تعالى: «وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ إلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: لَا تَسْتَقْضِيَنَّ **إلَّا ذَا حَسَبٍ وَمَالٍ**، فَإِنَّ ذَا الْحَسَبِ يَخَافُ الْعَوَاقِبَ وَذَا الْمَالِ لَا يَرْغَبُ فِي مَالِ غَيْرِهِ. وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إنِّي وَجَدْت خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي التُّقَى وَالْغِنَى، وَشَرَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي الْفُجُورِ وَالْفَقْرِ. وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

وَلَمْ أَرَ بَعْدَ الدِّينِ خَيْرًا مِنْ الْغِنَى ... وَلَمْ أَرَ بَعْدَ الْكُفْرِ شَرًّا مِنْ الْفَقْرِ»

سادساً: وَأَمَلٌ فَسِيحٌ. ذكر ابنُ حجر العسقلاني في الفتح معنىً من المعاني اللطيفة في الأمل؛ فقال: «وقال ابن الجوزي: الأمل مذموم للناس إلا للعلماء فلولا أملُهم لما صنفوا ولا ألفوا، وقال غيره: الأملُ مطبوع في جميع بني آدم كما سيأتي في الحديث الذي في الباب بعده (لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين حب الدنيا وطول الأمل)، **وفي الأمل سرٌّ لطيف؛ لأنه لولا الأمل ما تهنَّى أحدٌ بعيش ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدنيا**، وإنَّما المذموم منه الاسترسال فيه وعدم الاستعداد لأمر الآخرة فمن سلم من ذلك لم يكلف بإزالته له» فلولا وجود الأمل لمَا طاب للإنسان أن يشرع في عملٍ من الأعمال. ومن الأمل المحمود العاقبة قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقَّاص: (إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ ذُرِّيَّتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِن أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ ... قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، أُخَلَّفُ بَعْدَ أصْحَابِي؟ قَالَ: إنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلًا تَبْتَغِي بهَا وجْهَ اللَّهِ، إلَّا ازْدَدْتَ به دَرَجَةً ورِفْعَةً، **ولَعَلَّكَ تُخَلَّفُ حتَّى يَنْتَفِعَ بكَ أقْوَامٌ، ويُضَرَّ بكَ آخَرُونَ)** [أخرجه البخاري] فهذا يعمل ويكتسب؛ وقد فتح له النبي صلى الله عليه وسلم آفاقا من الأمل وصل إلى ورثته حتى ينتفعون بما خلَّفه لهم من أسباب الحياة؛ وقد أحسن الماوردي في قوله عن هذه القاعدة؛ إذ يقول فيها: «أَمَلٌ

فَسِيحٌ يَبْعَثُ عَلَى اقْتِنَاءِ مَا يَقْصُرُ الْعُمُرُ عَنْ اسْتِيعَابِهِ وَيَبْعَثُ عَلَى اقْتِنَاءِ مَا لَيْسَ يُؤَمَّلُ فِي دَرَكِهِ بِحَيَاةِ أَرْبَابِهِ. **وَلَوْلَا أَنَّ الثَّانِيَ يَرْتَفِقُ بِمَا أَنْشَأَهُ الْأَوَّلُ حَتَّى يَصِيرَ بِهِ مُسْتَغْنِيًا، لَافْتَقَرَ أَهْلُ كُلِّ عَصْرٍ إلَى إنْشَاءِ مَا يَحْتَاجُونَ إلَيْهِ مِنْ مَنَازِلِ السُّكْنَى وَأَرَاضِي الْحَرْثِ**، وَفِي ذَلِكَ مِنْ الْإِعْوَازِ وَتَعَذُّرِ الْإِمْكَانِ مَا لَا خَفَاءَ بِهِ». فمن يبني بيتاً أو مدرسة أو معهداً أو جامعة أو .. ينبغي عليه أن لا يُراعي مدَّةَ حياته فقط بل يتطلَّع إلى نفع الأجيال التي ترتفق وتنتفع بما قام به وهكذا في كل عمل من الأعمال ومع كلِّ جيل من الأجيال.

الثالث: القواعد الخاصة والشخصية للأفراد. ومنها:

أولاً: لا يُؤتَى البناءُ من قِبلك. فكل فرد من الأفراد ينبغي عليه أن يضع نُصب عينيه أنه فرد من مجموع، وأنه على ثغرٍ من ثغور هذا المجموع، فلا يفتح لأعداء الله ورسوله باباً هو عليه حارسٌ أو أمينٌ، وفي قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه؛ وحديثه الذي فيه: (وما يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ علَى مَن شَهِدَ بَدْرًا، فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ؛ فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ) [أخرجه البخاري] ما يدلُّ على هذا المعنى. فهو فرد من مجموع وفعله سيؤثر على جماعته بينما سينفعه هو !!

ثانياً: عدم تقديم المصلحة الشخصية على العامة. وحديث السفينة شاهدٌ على هذه القاعدة؛ وفيه: (مَثَلُ القائِمِ علَى حُدُودِ اللَّهِ والواقِعِ فيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا علَى سَفِينَةٍ، فأصابَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وبَعْضُهُمْ أسْفَلَها، فَكانَ الَّذِينَ في أسْفَلِها إذا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا علَى مَن فَوْقَهُمْ، فقالوا: لو أنَّا خَرَقْنا في نَصِيبِنا خَرْقًا ولَمْ نُؤْذِ مَن فَوْقَنا، فإنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أرادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وإنْ أخَذُوا علَى أيْدِيهِمْ نَجَوْا، ونَجَوْا جَمِيعًا) [أخرجه البخاري]. فلا يليق بالمُسلم أن يستمتع بشيءٍ وفي هذا الشيء هلاكٌ لمجتمعه.

ثالثاً: الألفة والمودة والإخاء بين الأفراد. لأن بهذه الأشياء تنصهرُ الفوارق الشخصية بين الأفراد وتتلاشى؛ فلا يكون التعالى ولا الازدراء. فالكل في حاجة إلى الكل، ولن يستوفي أحدٌ حاجتَه من أخيه إلا بذلك.

وقبل أن أختم هذا الموضوع؛ أقول:

في نموذج الهجرة النبوية إلى المدينة أصدقُ تمثيلٍ لوسائلِ وأساسياتِ البناء، وأظهرُ توضيح لغاياته وأهدافه؛ فينبغي أن ننظر في مُقدِّمات الهجرة وأسبابها وما أدَّت إليه من نتائج. فهذا الموضوع بأسره يُعتبر درسٌ من دروسها.

نفعني الله تعالى وإياكم بما أقول.. والحمد لله رب العالمين.

الأسرة (بيوتُنا)

العناصر:

المقدِّمة.

أولاً: القوامة والمسئولية المشتركة.

ثانياً: حق الزوج على زوجته والزوجة على زوجها.

ثالثاً: مخاطر تُهددُ البيوت.

(الموضوع)

لله عز وجل في خلقه آياتٌ، وهذه الآيات لها حِكمٌ باهرات ودلائل بينات، ومن هذه الآيات آية النكاح الذي به تتكون الأُسَر؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل]، وقال أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء]؛ فهي آية من آياته الباهرات؛ فقد خلق آدم عليه السلام من تراب بغير أبٍ ولا أمٍ، وخلق منه حواء فكانت من أبٍ بلا أمٍّ، وقد خلق عيسى ابن مريم من أمٍ بلا أبٍ، وخلق سائر الخلق من أبٍ وأمٍ، فالله تعالى على كل شيئ قدير.

وقد جعل الله تعالى بعد آدم وحواء كل الخلق من هذه الأسرة البشرية فقال جل ذِكرُه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة].

وقد جعل الله تعالى لطرفيْ هذه الأسرة حقوقاً وواجبات؛ حتى يؤدِّيَ كلُّ واحدٍ منهما مسئوليته التي لا يُقبل منه التهاونُ فيها. فهناك حقوق للزوج وأخرى للزوجة؛ وقبل بيانها لابد من ذِكر أمرٍ هو في غاية الأهمية. وهو العنصر الأول:

أولاً: القوامة والمسئولية المشتركة.

فإذا كان الله تبارك وتعالى قد جعل للرجل حقَّ القَوامة؛ إذْ قال: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ ﴾ [النساء]، ولعلَّ هذه القوامة من مُفردات الدرجة التي جعلها الله تعالى له على زوجته في قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة]. فإذا كان الرجل له على الأسرة هذه المنزلة؛ من أمر الإنفاق والتدبير والرعاية وعلى عاتقه كذلك تقع المسئولية المجتمعية تِجاه أسرته ومنزله، فإذا كان هذا كلُّه فلا يعني أن المرأة بلا مسئولية في هذا البيت أو هذه الأسرة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والأمِيرُ راعٍ، والرَّجُلُ راعٍ علَى أهْلِ بَيْتِهِ، والمَرْأَةُ راعِيَةٌ علَى بَيْتِ زَوْجِها ووَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ) [أخرجه البخاري]، ولكن سؤال الرجلِ على أهله عامٌّ، وسؤال المرأة خاصٌّ، خاص بما يتناسب مع إمكانياتها التي وضعها الذي جعله الله تعالى فيها. ومِثال ذلك رئيس الدولة يُسأل عن دولته بأفرادها ومؤسساتها عموما؛ ولا يعني هذا عدمَ مسئولية الأفراد كلٍّ عن عمله وما أنيط به.

فالقوامة وإن كانت تكليفاً من الله تعالى للرجل ودرجةً زائدةً له على المرأة وصورةً من صور الكمال له؛ فهذا لا يعني أن المرأة بلا مسئولية. ولذلك كان عليها واجبات كما أنَّ لها حقوقاً وهذ هو المراد من هذا اللقاء.

ثانياً: حق الزوج على زوجته والزوجة على زوجها[(1)].

(1) ـ رجعت في غالب هذه الحقوق إلى كتاب: صحيح فقه السنة؛ لأبي مالك كمال بن السيد سالم ج3، ص: (192).

مسألة الحقوق الزوجية من المسائل التي جاءت النصوص الشرعية مُصرِّحة بوجودها وبأهميتها وعدمِ التهاوُن فيها؛ ومن هذه النصوص قول النبي صلى الله عليه وسلم: (فإنِّي لو كُنتُ آمرًا أحدًا أن يسجُدَ لغيرِ اللَّهِ لأمَرتُ المرأةَ أن تسجُدَ لزوجِها والَّذي نَفسُ محمَّدٍ بيدِهِ لا تؤدِّي المرأةُ **حقَّ ربِّها حتَّى تؤدِّيَ حقَّ زوجِها)** [أخرجه ابن ماجة في السنن]، وكذلك عنْ حُصَينِ بنِ مِحصَنٍ، قالَ: (حدَّثَتْني عَمَّتي، قالتْ: أَتيتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في بعضِ الحاجةِ، فقالَ: أيْ هذه، أذاتُ بَعْلٍ أنتِ؟ قلتُ: نَعَمْ، قالَ: كيف أنتِ له؟ قالتْ: ما آلوهُ إلَّا ما عَجَزْتُ عنه، قالَ: فأين أنتِ منه؛ فإنَّما هو جَنَّتُكِ ونارُكِ؟) [المستدرك على الصحيحين]، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: (فإنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، **وإنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا،** وإنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا) [أخرجه البخاري]. فقد الحق لأحدهما على الآخر مُصرحاً به.

أ ـ **حقُّ الزوج على زوجته.** يظهر هذا الحقُّ في أمور؛ منها:

- **الطاعة في المعروف.** فطاعة الزج من موجبات الجنة؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام: (إذا صلَّتِ المرأةُ خَمسَها، وصامَت شَهْرَها، وحفِظَت فرجَها، **وأطاعَتْ زوجَها** قيلَ لَها: ادخلي الجنَّةَ من أيِّ أبوابِ الجنَّةِ شئتِ) [أخرجه أحمد] وقال أيضاً: (خَيْرُ النساء التي تَسُرُّهُ إذا نظرَ، وتُطِيعُهُ إذا أمرَ، ولا تُخَالِفُهُ في نفسِها ولا مالِها بِما يَكْرَهُ) [أخرجه النسائي] فإن أمرها أن لا تخرج من البيت إلا بإذنه فعلتْ؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾؛ فإن خرجتْ من البيت بغير إذنه فهي ناشزة عاصية لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ومستحقَّة للعقوبة، وكذلك إذا دعاها إلى الفراش امتثلتْ وإلا فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا دَعا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إلى فِراشِهِ، فأبَتْ أنْ تَجِيءَ، لَعَنَتْها المَلائِكَةُ حتَّى تُصْبِحَ) [أخرجه البخاري]، وإذا أمرها أن لايدخل أحدٌ البيتَ إلا بإذنه ممن لا يرضى دخولَهم بيته أطاعتْه في أمره؛ فقد قال رسول الله صى الله عليه وسلم: (فَاتَّقُوا اللَّهَ في النِّسَاءِ؛ فإنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عليهنَّ أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ) [أخرجه مسلم]. وقال أيضاً: (لا تأذَنُ المرأةُ في بيتِ زوجِها وهو شاهدٌ إلَّا بإذنِه) [ابن حبان في صحيحه].

- **أن تُعينَه على أمر دينه.** فهذا أفضل ما يكنزه المرء في بيته؛ إذْ أنَّه: (لما نَزَلَتْ: وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ. قال: كنا مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في بَعْضِ أسفارِه، فقال بعضُ أصحابِه: أُنْزِلَت في الذهبِ والفِضَّةِ لو عَلِمْنا أَيُّ المالِ خيرٌ فنتخذَه. فقال: أَفْضَلُه لسانٌ ذاكِرٌ، وقلبٌ شاكِرٌ، **وزوجةٌ مؤمنةٌ تُعِينُه على إيمانِه)** [سنن الترمذي]
- **أن تقوم بخدمته وخِدمة أولاده.** فقد كانتْ فاطمةُ بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها تخدم زوجها حتى اشتكت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقى في يدها من الرحى [أخرجه البخاري]، وكذلك كانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما تقوم بخدمة زوجها الزبير ابن العوام رضي الله عنه؛ وكان له فرسٌ تسوسه وكانت تحْتَشُّ له وتنقل النوى على رأسها من أرضٍ له على بُعد ثلثي فرسخ (أكثر من ثلاثة آلاف متر)!!. [الخبر أخرجه البخاري].
- **أن لا تُنفق من ماله إلا بإذنه.** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تنفقُ امرأةٌ شيئا من بيتِ زوجها إلا بإذنِ زوجها قيل: يا رسولَ اللهِ ولا الطّعامُ؟ قال: ذلكَ أفضلُ أموالنا) [سنن الترمذي].
- **أن تشكر له ولا تجحد فضله.** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أرَ مَنْظَرًا كَاليَومِ قَطُّ أفْظَعَ، ورَأَيْتُ أكْثَرَ أهْلِهَا النِّسَاءَ قالوا: بمَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: بكُفْرِهِنَّ قيلَ: يَكْفُرْنَ باللَّهِ؟ قالَ: يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، ويَكْفُرْنَ الإحْسَانَ، لو أحْسَنْتَ إلى إحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شيئًا، قالَتْ: ما رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ) [أخرجه البخاري]. وفي الحديث الآخر: (لا يَنظُرُ اللهُ إلى امرأةٍ لا تَشكُرُ لزَوْجِها وهي لا تَسْتغنِي عنْ زوْجِها) [أخرجه النسائي في الكبرى]. وكذلك عليها أن ترضى باليسير معه ولا تُكلِّفه فوق طاقته.
- **أن تحفظه في عرضها وأولاده وماله. فقد قال الله تعالى:** ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء]؛ قال الطبري عن هذه الآية: «حافظات لأنفسهن عند غيبة أزواجهن عنهن، في فروجهن وأموالهم، وللواجب عليهن من حق الله في ذلك وغيره»؛ وقد سبق أن الصالح هو القائم بحق الله تعالى وحق العباد عليه، وقد: (سُئِلَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ عن خَيرِ النِّساءِ، فقال: التي تُطيعُ إذا أَمَر، وتَسُرُّ إذا نَظَر، تحفَظُه في **نَفْسِها ومالِه)** [أخرجه النسائي]، وقد قال عليه

السلام: (خَيْرُ نِساءٍ رَكِبْنَ الإبِلَ صالِحُ نِساءِ قُرَيْشٍ، **أحْناهُ علَى ولَدٍ في صِغَرِهِ، وأَرْعاهُ علَى زَوْجٍ في ذاتِ يَدِهِ)** [أخرجه البخاري].

- **وأن لا تمُنَّ عليه إذا أنفقت من مالها عليه وعلى أولاده، وأن لا تفعل ما يؤذيه أو يُغضبه؛** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تُؤْذِي امرأةٌ زَوْجَها في الدنيا، إلَّا قالتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ العِينِ: لا تُؤْذِيهِ قاتَلَكِ اللهِ، فإنَّما هو عندَكَ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أنْ يُفارِقَكِ إلَيْنا) [سنن الترمذي].

وغير ذلك .. والله أعلم.

ب ـ **حقُّ الزوجة على زوجها.** وهذا الحق هو الآخر يظهر في أمور؛ منها:

- **حُسْن العِشرةِ مع الزوجةِ والتلطُّفْ بها، وغض الطرف عن بعض أخطائها ما لم يكن فيه إخلال بشرع الله عز وجل.** فقد قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خَيرُكم خَيرُكم لأهلِه، وأنا خَيرُكم لأهلي) [أخرجه الترمذي]، وإذا ما كرِه الرجل خُلقاً من زوجته فليصبر ولا يكن في معاشرته لها سيءَ الخُلق؛ لقول النبي صلى الله علسه وسلم: (لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ، أَوْ قالَ: غَيْرَهُ) [أخرجه مسلم]
- **النفقة والكسوة والسكنى بالمعروف.** وفي ذلك آيات وأحاديث وآثار كثيرة منها؛ قول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع: (فَاتَّقُوا اللَّهَ في النِّسَاءِ؛ فإنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عليهنَّ أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فإنْ فَعَلْنَ ذلكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غيرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ علَيْكُم رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بالمَعروفِ) [أخرجه مُسلم]. والنفقة بالمعروف وبما يُناسب حالَ الزوج إعسارا ويساراً، وقد قال الله تعالى: ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ﴾ [الطلاق]. وقيل: (يا رسولَ اللهِ، ما حَقُّ زوجةِ أحَدِنا عليه؟ قال: أن تُطعِمَها إذا طَعِمْتَ، وتكسُوَها إذا اكتَسَيَت أو اكتسَبْتَ، ولا تَضرِبِ الوَجهَ، ولا تُقَبِّحْ، ولا تهجُرْ إلَّا في البيتِ) [أخرجه أبو داود].

- **أن يسمُر مع زوجته يُحدِّثها ويستمع إلى حديثها.** فقد استمع النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها وهي تقصُّ عليه حديثاً لإحدى عشرة امرأة تعاهدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً. [أخرجه البخاري ومسلم].
- **يُعلِّمْها أمور دينها.** فقد قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم]، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رحِمَ اللَّهُ رجلًا قامَ منَ اللَّيلِ فصلَّى وأيقظَ امرأتَهُ فصلَّت فإن أبَت نضحَ في وجهِها الماءَ رحِمَ اللَّهُ امرأةً قامَت منَ اللَّيلِ فَصلَّت وأيقَظَت زَوجَها فإن أبَى نضَحَت في وجهِهِ الماءَ) [أخرجه أبو داود].
- **أن لا يؤذيها بضربها ولا بهجرها إلا بالمعروف شرعاً؛ وإذا هجر فلا يكون إلا بالبيت.** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنه صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن حقّ الزوجةِ على الزوج، فقال: أن تُطعمها إذا طَعِمتْ، وتكسُوها إذا اكْتَسيتَ ولا تُقبّحْ ولا تَهْجُرْ إلا في البيتِ) [سبق]، وقال: (لا يَجْلِدُ أحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ، ثُمَّ يُجامِعُها في آخِرِ اليَومِ) [أخرجه البخاري]. وقالت عائشة رضي الله عنها: (ما ضَرَبَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ شيئًا قَطُّ بيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا؛ إلَّا أَنْ يُجَاهِدَ في سَبيلِ اللهِ، وَما نِيلَ منه شَيءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِن صَاحِبِهِ؛ إلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيءٌ مِن مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) [أخرجه مُسلم]. وهذا لا ينافي الإذن في ضربهن إذا نشزن ولكنه بشروط. ليس هذا مجالُها.
- **أن يُحسِنَ الظنِّ بها.** فلا يتخونُها ولا يتجسس عليها؛ فقد قال الله تعالى في شأن حادثة الإفك: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾ [النور]، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أطالَ أحَدُكُمُ الغَيْبَةَ فلا يَطْرُقْ أهْلَهُ لَيْلًا) [أخرجه البخاري]، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: (أنَّ نَفَرًا مِن بَنِي هَاشِمٍ دَخَلُوا علَى أسْماءَ بنْتِ عُمَيْسٍ، فَدَخَلَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ـ وهي تَحْتَهُ يومَئذٍ ـ فَرَآهُمْ، فكَرِهَ ذلكَ، فذَكَرَ ذلكَ

لرَسولِ اللهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، وقالَ: لَمْ أَرَ إلَّا خَيْرًا، فقالَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: إنَّ اللَّهَ قدْ بَرَّأَهَا مِن ذلكَ، ثُمَّ قامَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ علَى المِنْبَرِ فقالَ: لا يَدْخُلَنَّ رَجُلٌ بَعْدَ يَومِي هذا علَى مُغِيبَةٍ، إلَّا ومعَه رَجُلٌ أوِ اثْنَانِ) [أخرجه مُسلم]. ومع ذلك فليأخذ العبد من سُبُلِ الحيطة والحذر في حماية أهله والحفاظ عليهم ولا يُغالي أو يُفرِّط في هذا الشأن فكما قِيل: (كلُّ فضيلةٍ بين رذيلتيْن).

- **وغيرها.**

وختاماً لهذه الحقوق .. أقول: لا يُنظر إليها أو إلى مَن هو الأحقُّ بالشيء دون الآخر إلا عند التنازع ـ غالباً ـ؛ إذِ الحياةُ الزوجيةُ مبنيةٌ على التسامح والمودة والرحمة، فلو تراضيا على أمر ليستْ فيه مخالفة شرعية **فالأمر لهما**؛ كأن يُشاركها في عملها أو تُشاركه في عمله في حدود المعروف فلا بأس بذلك دون أن نقول هذا حقه أو هذا حقُّكِ!!.

ثالثاً: مخاطر تُهددُ البيوت.

إن الناظر في نصوص القرآن والسنَّة يجد اهتماما بالغاً بالأسرة، ويجد الخوفَ عليها وعلى استمرارها ظاهراً واضحاً؛ فمثلاً:

1 ـ تسمية العقد الذي جمع بين أطراف هذه الأسرة بالميثاق الغليظ فقال جلَّ ذِكره: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء].

2 ـ وكذلك الخوف عليها من بداية التكوين وحتى الانفصال ـ إن قدَّر الله ذلك ـ. ففي أول الزواج يقول الله تعالى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ** أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء]، وبعد الزواج نجد الخوف من حالة النشوز وكيفيةَ العلاج له؛ فمن الزوجة إذا نشزت قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ** بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء] وإذا نشز الزوج نجد: ﴿**وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا** نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء]، وعند التفريق بينهما يأتي

الخوف كذلك عليها فيقول الله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا **إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا** يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة]. فاستعمالُ مادة الخوف واضحاً جدا مع هذا الكيان العظيم.

3 ـ للسِّحْر آثار كبيرة وكثيرة ـ فهو يؤثر ولكنه بإذن الله تعالى ـ؛ ومع ذلك لم يُذكر من آثاره في آية سورة البقرة إلا التفريق بين الزوجين؛ وهذا دليل على خطورة أمره؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ** وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾، ويؤكد هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ إبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ علَى الماءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَراياهُ، **فأدْناهُمْ منه مَنْزِلَةً أعْظَمُهُمْ فِتْنَةً**، يَجِيءُ أحَدُهُمْ فيَقولُ: فَعَلْتُ كَذا وكَذا، فيَقولُ: ما صَنَعْتَ شيئًا، قالَ ثُمَّ يَجِيءُ أحَدُهُمْ فيَقولُ: **ما تَرَكْتُهُ حتَّى فَرَّقْتُ بيْنَهُ وبيْنَ امْرَأَتِهِ**، قالَ: فيُدْنِيهِ منه ويقولُ: نِعْمَ أنْتَ) [أخرجه مُسلم].

ولأجل هذا الاهتمام بهذه الأسرة وبهذه النواة التي يتكون المجتمع منها؛ كانت هناك أمورٌ يُخاف على الأسرة من أن تُصاب بها أو يُمَسَّ سياجُها بها لأن في تعرضها لهذه الأخطار تقويضاً لها وهدماً، من هذه الأمور؛ ما يلي:

- **الطلاق**. وإن كان الطلاق جائزا لا محذور فيه، ولكنه لابد وأن يكون بعد تروٍّ وتأنٍّ؛ إذ هو انقطاع حبلٍ لميثاق غليظ ترتَّب عليه بنيان أُسرة من الأسر، وكان الأولاد وكانت المودَّة والتواصل والتراحم بين العائلات.. هذا كلُّه ينفض بهذا الطلاق. فلا يكون سببه على أهون الأسباب، ولا يكون كذلك بسبب الأوهام الظنون الكاذبة؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أيما امرأةٍ سألت زوجها طلاقًا من غير بأسٍ، فحرامٌ عليها رائحةُ الجنةِ) [أخرجه الترمذي في السنن]. فيجب على المرأة أن تحرص على الحياة معه.

- **المرأة المترجِّلة (استبدال الأدوار).** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لعن رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ المُترجِّلاتِ من النساءِ والمُخنَّثين من الرجالِ وقال: أخرجوهم من بيوتكم قال: فأخرج رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فلانًا وأخرج عمرُ فلانًا) [أحمد في مسنده]. فإذا ما تخلى الرجل عن رجولته والمرأة عن أنوثتها وأصبحت الأدوار في البيت مقلوبةً؛ فهذا كفيل بخراب البيوت فالله تعالى قال في تعليل جعل القوامة للرجل: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ وهناك كاتبة أمريكية (لورا دويل) أحبَّتْ أن تخوض تجربةً تُخالف فيها فطرتَها ـ كأنثى ـ فتقمَّصت دور الرجال تماماً في بيتها؛ وفي خِتمام تجربتها خرجت بهذه النتيجة وهي عنوان لكتابٍ لها: "المرأة المستسلمة" فسرُّ سعادة المرأة في استسلامها لزوجها وانطوائها تحت سلطانه.
- **المعاصي والمنكرات.** فلا بد وأن يكون البيت محلّاً لطاعة الله عز وجل؛ وليس محلاً للشيطان فلا يكون فيه (الأغاني والأفلام والمسلسلات، والموسيقى ..) فهذه الأمور وغيرها كفيلة بإفساد البيوت وجعل المعيشة فيها ضنكاً؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ [طه].
- **الإرهاق المادِّي (التعلُّق بالفردوس الأرضي).** كثيراتٌ هنَّ الزوجات اللاتي تستهويهنَّ زينةُ الحياة الدنيا، وتتعلق قلوبهن بمطالبها الضروريات والحاجيات والتحسينات والرفاهيات ..؛ وتريد بذلك أن تصنع لها فِردوسا في الدنيا تعيش فيه وإنما هو في الآخرة؛ ولأجل ذلك يُرهقنَ أزواجهنَّ بما يُردن منها، فيعيش الرجل في حياته تلك تعيساً حزينا بائسا فلا راحة له بأهله ولا بماله بل ولا راحة لجسده كذلك، فلم يكف زوجتَه رغباتِها ولم تقنع هي الأخرى بما أنعم الله عليهم؛ وقد قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ [التغابن].
- **تخبيبُ المرأة على زوجها.** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس منَّا من خبَّب امرأةً على زوجِها) [أخرجه أبو داود]. ومعنى تخبيب المرأة: «أفْسَدَها وخَدَعَها بحيثُ يُزَيِّنُ لها عَداوةَ الزَّوْجِ بذِكْرِ مَساوِئِه أو يَذْكُرُ محاسَن رجُلٍ أجنَبِيٍّ عنها فتُقارِنُه بزَوْجِها، أو يُحسِّن إليها الطَّلاقَ؛ ليتَزَوَّجَها أو يُزَوِّجَها لغَيْرِه». فلا يُذكر أمام الرجل أو المرأة محاسن الأجانب من الجانبين، ومن

ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تُباشِرِ المَرْأَةُ المَرْأَةَ، فَتَنْعَتَها لِزَوْجِها كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْها) [أخرجه البخاري]. وهذا الفعل ليس خاصا بالنساء بل والرجال كذلك. وقد يكون هذا التخبيب من أمِّ الزوجة أو خالتها أو عمتها أو أختها أو صديقاتها أو جاراتها، أو الإعلام الفاسد أو.. .

- **إفشاء الأسرار المنزلية.** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ مِن أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَومَ القِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إلى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا) [أخرجه مُسلم] وهو من الأمانات فقد قال عليه الصلاة والسلام: (إنَّ مِن أَعْظَمِ الأمَانَةِ عِنْدَ اللهِ يَومَ القِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إلى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا) [أخرجه مسلم].

وأخيراً:

وصف الله تعالى كلاً من الزوج والزوجة؛ فقال: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة]، وجعل من حِكم الزواج تحقيقَ المودةِ والسكنِ فقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم] فإذا ما فقد أحد الزوجين السكنَ أو المودةَ في أسْرته بحث عنهما في مكان آخر، وإذا ما فقد أحدهما كذلك ما يستر به عورته ويقيه حرَّ الحياة ولهيبها أو يقيه برودة المشاعر بحث عن سكن آخر يقوم بتلك الوظائف التي فقدها في مسكنه ..!!

والحمد لله رب العالمين

من نواقض الإيمان(1)

العناصر:

(الموضوع)

المقدّمة:

كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مَن يسألُ عن الشرِّ حتى لا يقع فيه؛ فعن حُذيفة ابن اليمان رضي الله عنه قال: (كانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وكُنْتُ أسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّا كُنَّا في جَاهِلِيَّةٍ وشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بهذا الخَيْرِ، فَهلْ بَعْدَ هذا الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قالَ: نَعَمْ قُلتُ: وهلْ بَعْدَ ذلكَ الشَّرِّ مِن خَيْرٍ؟ قالَ: نَعَمْ، وفيهِ دَخَنٌ قُلتُ: وما دَخَنُهُ؟ قالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بغيرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ منهمْ وتُنْكِرُ قُلتُ: فَهلْ بَعْدَ ذلكَ الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ علَى أبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَن أجَابَهُمْ إلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، قالَ: هُمْ مِن جِلْدَتِنَا، ويَتَكَلَّمُونَ بأَلْسِنَتِنَا قُلتُ: فَما تَأْمُرُنِي إنْ أدْرَكَنِي ذلكَ؟ قالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وإمَامَهُمْ قُلتُ: فإنْ لَمْ يَكُنْ لهمْ جَمَاعَةٌ ولَا إمَامٌ؟ قالَ: فَاعْتَزِلْ تِلكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، ولو أنْ تَعَضَّ بأَصْلِ شَجَرَةٍ، حتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وأَنْتَ علَى ذلكَ) [أخرجه البخاري]، ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه: (لا يبيعُ في سوقِنا هذا إلَّا مَن تفقَّهَ في الدِّينِ) [سنن الترمذي]. فالواجب على المُسلم أن يعلم من أمور دِينه ما يقِيه الوقوعَ في الفتن ـ هذه واحدة؛ وأخرى ـ وأن يكون على عِلمٍ بالأخطاء والآثام التي قد تواجهه في هذه الحياة حتى لا يقع فيها؛ وبخاصَّةٍ إذا ما علم أن الشيطان قد قال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [الحجر] فقد يُزيِّن لك الشيطان شراً وأنتَ تظنه خيراً والنصوص في هذا المعنى كثيرة؛ أمثال: ﴿وَزَيَّنَ

(1) ـ هذه الخطبة مُستفادة من كُتبٍ؛ **أولها:** (نواقض الإيمان القولية والعملية، د: عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف)، **ثانيها:** (المسلك الرشيد شرح كتاب التوحيد د/ سلطان العميري)، **وثالثها:** (نواقض الإيمان الاعتقادية د/ محمد بن عبد الله الوَهيبي).

لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ [النمل] وقوله: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام] ورُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضا: (إنما تُنقَضُ عُرى الإسلام عُروة عُروة؛ إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية). وقيل "من يجهلِ القُبحَ لا يستحسن الحَسَنَا".

ولأجل هذا أحببتُ أن أتكلم عن بعض نواقض الإيمان التي من شأنها أن تجعل المرء بعيدا كلَّ البُعد عن الدين وإن كان بين الناس معدودا من أهله!!، أو ليُعرف بها من هو من أهل الدِّين ومن ليس من أهله؛ فأقول وبالله تعالى التوفيق، منها:

الأول: الإشراك بالله تعالى في: (أسمائه وصفاته وألوهيته).

قال الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (سَأَلْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ الذَّنْبِ أعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قالَ: أنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وهو خَلَقَكَ. قُلتُ: إنَّ ذلكَ لَعَظِيمٌ، قُلتُ: ثُمَّ أيُّ؟ قالَ: وأَنْ تَقْتُلَ ولَدَكَ تَخافُ أنْ يَطْعَمَ معكَ. قُلتُ: ثُمَّ أيُّ؟ قالَ: أنْ تُزانِيَ حَلِيلَةَ جارِكَ). [أخرجه البخاري]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَما هُنَّ؟ قالَ: **الشِّرْكُ باللَّهِ**، ..) [أخرجه البخاري] وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: (جاءَ أعْرابِيٌّ إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، ما الكَبائِرُ؟ قالَ: الإشْراكُ باللَّهِ. قالَ: ثُمَّ ماذا؟ قالَ: ثُمَّ عُقُوقُ الوالِدَيْنِ. قالَ: ثُمَّ ماذا؟ قالَ: اليَمِينُ الغَمُوسُ. قُلتُ: وما اليَمِينُ الغَمُوسُ؟ قالَ: الذي يَقْتَطِعُ مالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هو فيها كاذِبٌ) [أخرجه البخاري].

ولمَّا كان الإشراك بالله أكبرَ الكبائر كان عذابُه أعظمَ العذاب؛ وعقوبتُه أشدَّ العقوبات؛ منها:

1 ـ لا يغفره الله تبارك وتعالى فقد قال جلَّ ذكره: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء].

2 ـ **هو سبب في حبوط الأعمال.** قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [الحجرات].

3 ـ **المنع من قبول أي عملٍ صالح:** ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان]. وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم قولُه في ابن جُدعان كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ابنُ جُدْعانَ كانَ في الجاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، ويُطْعِمُ المِسْكِينَ، فَهلْ ذاكَ نافِعُهُ؟ قالَ: لا يَنْفَعُهُ، إنَّه لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتي يَومَ الدِّينِ). [أخرجه مُسلم].

4 ـ **تحريم الزواج من المُسلمة.** فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة].

5 ـ **المنع من الأحكام المتعلقة بموتى المُسلمين** فلا يُدفن في قبورهم، ولا يُصلى عليه، ولا يُدعى له بالمغفرة والرحمة، ولا يثبت التوارث بينه وبين أهله المسلمين، .. وغير ذلك.

6 ـ **الخلود في النار.** فقد قال جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [المائدة].

فإذا كان الإشراك بالله تعالى بهذه الشناعة، فما هو حتى نحذره أو نُحذِّر منه؟، قيل هو: «جعل شيءٍ من خصائص الله تعالى لغير الله تعالى، أو إشراك غيره في شيءٍ من متعلقات خصائصه وأحكامها».

فالألوهية والعبودية لا تكون إلا لله تعالى وصرفها لغير الله تعالى شرك. فالدعاء والاستغاثة والذبح والخوف والمحبة والتوكل أمور لا يجوز صرفها لغير الله تعالى صرفاً يجعل المخلوق مساوياً للخالق جل وعلا.

وأسماؤه وصفاته كذلك سبحانه وتعالى لا يُشاركه في كمالها أحد فهو سبحانه وتعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى]. فهو سبحانه لا يشغله سمعٌ عن سمعٍ ولا تُغلِّطه المسائل ولا يتبرَّمُ بإلحاح الملحِّين عليه في سؤاله سبحانه وتعالى. فليس كمثله شيء في سمعه ولا بصره ولا قوته ولا قدرته ولا كلامه ولا أوصافه سبحانه وتعالى. وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف]؛ فلا يجوز أن نُسمِّيَ أحداً باسم من أسمائه تعالى، أو نُسمِّي الله تعالى بما لا يليق به، أو نصفه تعالى بوصف لا يليق به تعالى كوصف أخبث الخلق ـ اليهود ـ ربَّهم بأنه فقير وهم أغنياء، ولا أن نُشبِّه صفاتِ المخلوقين بصفاته أو نُشبَّه صفاته تعالى بصفات خلقه.

وربوبيتُه سبحانه وتعالى كذلك لا يُشاركه فيها أحدٌ؛ فهو الذي يُدبِّر الأمر، وهو الذي ينفع ويضر، وهو الذي يرزق، وهو الذي يحيي ويميت لأنه الخالق وما سواه مخلوق، وهو الذي يُعِز ويُذل، وهو الذي يُجير ولا يُجار عليه، وهو الذي بيده مقاليد كل شيءٍ سبحانه وتعالى. وغير ذلك من أفعاله جلَّ وعلا. وهو سبحانه وتعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن] وقد قال سبحانه عن تفرُّده في التدبير والتصريف ونفي الشريك له والظهير؛ فقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ]. فمَن جعل شيئاً من هذه الأفعال ومن هذه الخصائص لغير الله تعالى فقد وقع في الشرك.

ومن خصائصه كذلك أن التحاكمَ أو التحليل أو التحريم لا يكون إلا له تعالى؛ فقد قال جلَّ ذِكْره: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل]، وقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس]، ومن ادَّعى لشخص أن له الحقَّ في التحليل والتحريم فهذا افتراءٌ عليه سبحانه وتعالى. وهذا شرك بالله العظيم.

الثاني: الاستهزاء بالدين (وبغض وكراهية ما جاء به الشرع الشريف).

من الأمور التي تؤدي بصاحبها إلى الخروج من الدين الاستهزاءُ به أو بشيءٍ من تعاليمه وتشريعاته أو بحملته لأجل أنهم يحملونه؛ لأن هذا دليل صريح على ما في القلب من العداوة والبغضاء والحقد لهذا الدين. وقد قال الله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ٦٤ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة].

وقال أيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد] وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ٢٦ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ٢٧ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد].

فالذين يخوضون في آيات الله تعالى ويستهزئون بها؛ هؤلاء قد حكم الله تعالى عليهم بالكفر، وكذلك الذين كرهوا ما أنزل الله تعالى وكرهوا رِضوانه ومغفرته؛ فأحبط أعمالهم، وكذلك الذين قالوا طائعين منقادين لِمن كره ما أنزل الله تعالى "سنطيعكم في بعض الأمر".

ولأجل ذلك كان من شروط الإسلام لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم أن يكون التسليم تسليما ظاهريا وباطنياً فإن الله تعالى قال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ فلابد من التحاكم الظاهري مع انشراح الصدر بذلك الحكم، الذي يتبعه التسليمُ التامُّ لهذا الحكم الإلهي.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء]، فالذي يستهزأُ بآيات الله تعالى هو كافر بها، ومَنْ يجلس معه ويرضى فعلَه إنما هو منافق، والله تعالى يجمع بينهم يوم القيامة في النار خالدين فيها؛ وهذا الحكم قد سبق في كتاب الله تعالى كما هو واضح في الآية وهذا في قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام].

فإيَّاك ثم إياك أن تستهزأ؛ (همزاً أو لمزا أو اشمئزازاً، أو نفوراً أو تنفيراً أو تحقيراً ...) بمَن يستمسك بشعار من شعارات الدين؛ حتى وإن كان صغيراً عندك ـ فهو عند الله عظيم ـ فهذا مؤذِّنٌ، وآخر يستعمل السواك، وآخر قد شمَّر إزارَه فلم يُسبله، وآخر قد أطلق لحيته مُستمسكاً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يطوف بالكعبة، أو يسعى بين الصفا والمروة، وهذا يتردد على المساجد مُحافظاً على صلواته، وهذا يُمسك بيده مُصحفاً تاليا له متعلما أو مُعلماً أو مُفسِّراً، أو مَن يُعلِّمُ سنَّة النبي صلى الله عليه وسلم فيُبيِّنُ صحيحَها من ضعيفها وسقيمها، .. فإياك ثم إياك أن تسخر من هؤلاء، أو أن تُشارك من يقوم بذلك وإن كنت صامتاً!!.

ومن صور الاستهزاء أيضا سبُّ الله تعالى أو سبُّ النبي صلى الله عليه وسلم أو سبُّ الدين. فإن أساس الدين قائمٌ على تعظيمِ الله تعالى وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم؛ وقد قال نوح عليه

السلام لقومه مُنكراً عليهم: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح]، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يُسْأَل بوجهِ اللهِ إلا الجنَّةَ) [أخرجه أبو داود ـ وفيه مقال].

ولذلك فقد أجمع المسلمون على أن من سبَّ الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافرٌ وإن كان مُقِرّاً بما أنزل الله تعالى!! سواء في ذلك من علِم الحُرمة أو لم يعلمها، مُستحلاً لذلك أم لا، مازحا أم جاداً، وهو بذلك حلال الدم.

فإن في هذا سُخرية واستهزاء بالله تعالى وتنقيص وانتقاص من قدره تبارك وتعالى، وهو إيذاء لله تعالى وصاحبه موعود بالعذاب المهين في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب]. ويكفي في ذلك أن الله تعالى نهى المُسلمين أن يسبُّوا آلهة المُشركين؛ كي لا يقع المشكون في سبِّ الله تعالى فمحذور السبِّ أغلظ من محظور كفرهم؛ فقال جل ذِكره: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام].

وقد قال الرازي: «إنَّ الاستِهْزاءَ بالدِّينِ ـ كيف كان ـ كُفرٌ باللهِ؛ وذلك لأنَّ الاستِهْزاءَ يدُلُّ على الاستخفافِ، والعُمدةُ الكبرى في الإيمانِ تعظيمُ اللهِ تعالى بأقصى الإمكانِ، والجمعُ بَيْنَهما مُحالٌ»

الثالث: إنكار أو جحود ما عُلِم من الدين بالضرورة.

فهناك أمور قد استفاضت شهرتُها وزاعتْ؛ حتى استوى في العلم بها الخاصةُ والعامةُ فأصبحت معلومة عِلماً ضرورياً لا يسع بالغاً غير مغلوب على عقله جهلها؛ مثل الصلوات الخمس ومثل صيام شهر رمضان وفرض الزكوات .. وتحريم الإشراك بالله تعالى، والقتل والخمر والزنا.

ويستوي كذلك مع هذه الأمور: إنكار أو جحود ما جاء الشرع الشريف بإثباته كالذين يُنكرون الغيبيات التي جاء الشرع بإثباتها؛ أمثال: (الجنة والنار، والملائكة والجن، والقيامة وما يُلاقيه المُسلم

وغيره في القبور، ..) وكذلك ما أخبر به الوحي الشريف عن أنباء السابقين كموسى وعيسى وإبراهيم وباقي الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وكذلك يدخل في هذا الأمر الأشخاصُ الذين يعلمون تحريمَ أو تحليلَ أمرٍ من الأمور ومع ذلك لا يعترفون بهذا الحكم؛ فيُصرِّحون أنهم لا يقبلونه؛ فيقولون **لا نقبل بقوامة الرجل على المرأة، ولا نقبل بعدم المُساواة بين الذكر والأنثى، وكالذين يقولون لا نقبل بقطع الأيدي في السرقة أو بالرجم لِمن زنى أو الجلد أو هذه العقوبات التي جاءت صريحة في الوحي الشريف .. والقائمة تطول.**

وهذا الأمر من أخطر الأمور فقد يجحد الشخص شيئا واحدا أو يردُّ شيئا واحداً فقط من شرع الله عز وجل فيكون به كافراً بالله تعالى حتى وإن كان مقيما على باقي الشرائع مُحافظاً عليها!!. «فلو أنَّ رجلًا آمن بجميعِ ما جاءت به الرُّسُلُ إلَّا شيئًا واحدًا، كان برَدِّ ذلك الشَّيءِ كافرًا عند جميعِ العُلَماءِ» فلو أن الرجل آمن بكل الأنبياء ولم يؤمن بنبيٍّ واحدٍ كان كافراً بالله العظيم. وهكذا في الإيمان بالكتب المنزلة، وبالملائكة. وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل].

الرابع: النفاق الاعتقادي.

النفاق هو إظهار القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد. والنفاق ـ عند أكثر أهل العلم ـ نفاقان: **أولهما** الاعتقادي وهو المُخرج من الملة، و**ثانيهما**: العملي وهو دون الأول، والنفاق الاعتقادي؛ هو: أن يُظهر للمسلمين أو يُظهر الإيمان بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر وهو يُبطن الكفر والانسلاخ من الدين؛ ويتنقَّص من المؤمنين ويُظاهر كذلك المُشركين على المُسلمين. وهذا هو النفاق الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن الآيات الدالة على كُفرهم؛ قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ

نَصِيرًا﴾ [النساء]، وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة]، وقال جل ثناؤه عنهم: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ﴾ [التوبة]. ولأجل ذلك كذَّبهم الله تعالى في قولهم ونُطقهم الشهادة فقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون].

وصور النفاق الاعتقادي كثيرة؛ منها: «تكذيبُ الرَّسولِ، أو تكذيبُ بَعْضِ ما جاء به الرَّسولُ، أو بُغضُ الرَّسولِ، أو بُغْضُ ما جاء به الرَّسولُ، أو المسرَّةُ بانخفاضِ دينِ الرَّسولِ، أو الكراهِيَةُ لانتصارِ دين الرَّسولِ. فهذه الأنواعُ السِّتَّةُ صاحِبُها من أهلِ الدَّركِ الأسفَلِ مِن النَّارِ». وكذلك اعتقاد عدم وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم، أو عدم تصديقه فيما أخبر عليه الصلاة والسلام كلها من علامات المنافقين الظاهرة.

وأكثر صور هذا النفاق وُرودا في القرآن الكريم؛ صوره في حق الرسول صلى الله عليه وسلم، أمثال:

ــ **الذين يلمزون النبي صلى الله عليه وسلم ويَعيبونه**؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة].

ــ **المَسرَّة والفرحُ بانفخاض دين الرسول صلى الله عليه وسلم.** قال الله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة]. فإذا أصابت النبيَّ صلى الله عليه وسلم مُصيبةٌ فرحوا بذلك فرحاً شديداً. وفي آية أخرى يقول الله تعالى:

﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آل عمران].

وأما النفاق العملي الذي هو دون هذا الأكبر فمنه ما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ومَن كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حتَّى يَدَعَهَا: إذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وإذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذَا خَاصَمَ فَجَرَ) [أخرجه البخاري] ومعنى قوله: (كان منافقاً خالصاً: أي فيه شبهٌ شديد بالمنافقين فإن الذي يأتي مثل هذه الأعمال إنما شابههم في التناقض الحاصل بين بواطنهم وظواهرهم؛ وليس هو من الخالدين في النار بهذا النفاق العملي الذي هو دون النفاق العقدي) كما قال شُرَّاح الحديث.

الخامس: مُظاهرة المُشركين على المسلمين.

معاونة المُشركين على المُسلمين مظهر من مظاهر الكفر؛ ولو كان عنده إيمان بالله تعالى وبما أُنزل على النبي صلى الله عليه وسلم؛ ما فعل ذلك ولا خطر بباله أصلاً، فقد قال الله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة] وقال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آل عمران].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء]؛ قال ابن كثير رحمه الله تعالى عن هذه الآية: «عَامَّةً فِي كُلِّ مَنْ أَقَامَ بَيْنَ ظَهَرَانَي الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَلَيْسَ مُتَمَكِّنًا مِنْ إِقَامَةِ الدِّينِ، فَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُرْتَكِبٌ حَرَامًا بِالْإِجْمَاعِ» وهذه الآية نزلت في قوم جلسوا بمكةَ وفيها الكعبة وبيت الله الحرام!! ومع ذلك كان هذا حكمهم.

وفي تفسيرها جاء: (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَسْلَمُوا، وَكَانُوا يَسْتَخِفُونَ بِالْإِسْلَامِ، فَأَخْرَجَهُمُ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَهُمْ، فَأُصِيبَ بَعْضُهُمْ بِفِعْلِ بَعْضٍ قَالَ الْمُسْلِمُونَ: كَانَ أَصْحَابُنَا هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ وَأُكْرِهُوا، فاستَغْفَروا لَهُمْ، فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُم﴾ إِلَى آخَرِ الْآيَةِ).

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: (أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو يُبايِعُ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، ابسطْ يدَك حتى أبايعَك، واشترِطْ عليَّ، فأنت أعلمُ. قال: أبايعُك على أن تعبَدَ اللهَ، وتُقيمَ الصلاةَ، وتُؤتِيَ الزكاةَ، وتُناصِحَ المسلمين، وتُفارِقَ المشركين) [أخرجه النسائي] فلابد للمسلم من مفارقة المُشرك في كل شيء من خصائص دينه؛ فلا يُقيم بين أظهرهم (وهذه مفارقة حِسِّيَّة)، وكذلك **لا يتجنَّس بجنسيتهم، ولا يُفضل هديهم وطريقتهم على هدي المُسلمين**، وكذلك لا يكون عونا لهم على إخوانه المسلمين ففي هذا خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين؛ وقد أقرَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم عُمرَ رضي الله عنه على قوله لحاطب بن أبي بلتعة قبل أن يستفصل من حاطب رضي الله عنه ـ حين أرسل كتاباً إلى قريش يُخبرهم بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ: (فقالَ عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّهِ، قدْ خانَ اللَّهَ ورَسوله والمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ما حَمَلَكَ علَى ما صَنَعْتَ قالَ حاطِبٌ: واللَّهِ ما بي أنْ لا أكُونَ مُؤْمِنًا باللَّهِ ورَسولِهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، أرَدْتُ أنْ يَكونَ لي عِنْدَ القَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بها عن أهْلِي ومالِي، وليسَ أحَدٌ مِن أصْحابِكَ إلَّا له هُناكَ مِن عَشِيرَتِهِ مَن يَدْفَعُ اللَّهُ به عن أهْلِهِ ومالِهِ، فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: صَدَقَ ولا تَقُولوا له إلَّا خَيْرًا ..) [أخرجه البخاري] ولابد كذلك من مفارقتهم معنوياً فلا يُحبهم ولا يتولاهم ولا يتودد إليهم ولا يمدحهم بما فيه مذمَة للمسلمين وغير ذلك.

السادس: السِّحر والشعوذة، وإيتيان الكهان والدَّجالين.

وهذا من الأمور التي قد تكون سببا في خروج الإنسان من عقد الإيمان؛ أن يتعلم السِّحر أو يُعلمه أو يعتقد في الدجالين والكُهان ويصدقهم في أقوالهم، وأن يعتقد فيهم النفع والضر بغير إذن الله تعالى وغير ذلك من هذه المعاني الموجبة لصحبها كُفراً، فقد قال الله تعالى عن اليهود الذين ادَّعَوا

أن سليمان عليه السلام كان يُثبِّتُ مُلكه بهذا السِّحر؛ فنفى الله تعالى أن يكون كذلك وإنما كان رسولا نبيا مَلِكاً ولم يكن كافراً؛ فقال جلَّ ذِكره: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌۚ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة]، فليسوا بمؤمنين وليس لهم في الآخرة من خلاق، وليس هذا وفقط بل ولا يظفر الساحر بمطلوب أين كان!! فقال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه]، وكذلك هو من المُفسدين؛ وقد قال الله عنهم: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس]، وقد أمرنا الله تعالى بالاستعاذة من شر النفاثات في العُقد؛ فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: (الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) [أخرجه البخاري].

وجاء عند النسائي ـ وفيه مقال ـ قول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ) [أخرجه النسائي]. وجاء عند البزار وغيره: (ليس منا من تطير أو تُطير له، ولا تكهن ولا تكهن له أو سحر أو سحر له)

وجاء أيضا: (عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً») [أخرجه مُسلم] وإذا كان هذا فيمن أتى عرافاً ليسأله فما هو حال العرَّاف نفسه الذي اتخذ هذه العِرافة عملاً له!!.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا: (ثلاثةٌ لا يدخلون الجنَّةَ: مُدمنُ الخمرِ، وقاطعُ الرَّحِمِ، ومُصدِّقٌ بالسِّحرِ) [أخرجه أحمد]، و عنده أيضا ـ وفيه ضعف ـ (كان لِداودَ نَبيٍّ اللهِ عليه السَّلامُ من اللَّيلِ ساعةٌ يُوقِظُ فيها أهْلَه، فيقولُ: يا آلَ داودَ، قُوموا فصَلُّوا؛ فإنَّ هذه ساعةٌ يَسْتَجيبُ اللهُ فيها الدُّعاءَ، إلَّا لساحِرٍ أو عشَّارٍ).

ولمّا كان السِّحر بهذه المثابة **كان حدُّه عند أكثر العلماء القتل**؛ فقد جاء ذلك عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقد جاء قتله عن: (عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وحفصة بنت عمر، وعبد الله بن عمر وجندب بن عبد الله ..) رضي الله عنهم جميعاً.

وحكم الساحر الكفر ـ على تفصيل في المسألة بين العلماء ـ؛ فإن كان في سحره ما يقتضي الكفر كفر كتعظيم الجن والكواكب، وإن كان فيه غير ذلك من التخييلات والاستعانة بخواص بعض المواد فهو حرام حرمة شديدة ولا يصل بصاحبه إلى الكفر. .. وقد قيل نظماً:

وَالسِّــحْرُ حَقٌّ وَلَهُ تَأْثِــيرُ ... لَكِنْ بِمَــا قَدَّرَهُ الْقَدِيــرُ

أَعْنِي بِذَا التَّقْدِيرِ مَا قَدْ قَدَّرَهْ ... فِي الْكَوْنِ لَا فِي الشِّرْعَةِ الْمُطَهَّرَهْ

وَاحْكُمْ عَلَى السَّاحِرِ بِالتَّكْفِيرِ ... وَحَدُّهُ الْقَتْلُ بِلَا نَكِيرِ

كَمَا أَتَى فِي السُّنَّةِ الْمُصَرِّحَهْ ... مِمَّا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ

عَنْ جُنْدُبٍ وَهَكَذَا فِي أَثَرِ ... أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ رُوِيَ عَنْ عُمَرِ

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ عِنْدَ مَالِكِ ... مَا فِيهِ أَقْوَى مُرْشِدٍ لِلسَّالِكِ.

وأخيراً.. أقول: كم من قتيلٍ قُتِل بسبب سِحرٍ، وكم من امرأة تركتْ زوجها بسببه، وكم من ولدٍ فُرِّق بينه وبين أبويْه بسبب ذلك .. **فلا حول ولا قوة إلا بالله.**

الشهود على العبيد

العناصر:

المقدمة.

من هم الشهود على العبيد يوم القيامة؟

(الموضوع)

مواقفُ يومِ القيامة شأنها عظيم، ويكفي في وصفه ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم]؛ فهو يوم الحسرات والزفرات. وفي هذا اليوم نبأ عظيم؛ وهو ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا **فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟** أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة]، فإذا ما تخيَّل المرءُ أعمالاً عمِلَها وقد مضتْ عليها السنون ثم السنون ونسيها.. ولكن الله تبارك وتعالى لم ينسها فهو على كل شيءٍ شهيد. إذا ما تخيل المرء ذلك وكان له قلب يعقل به؛ انفطر وتصدَّع. ومن أهوال هذا اليوم قضية هي من أعظم القضايا؛ ألا وهي:

قضية الشهود على العبيد يوم القيامة؛ فهي من أخطر القضايا التي ينبغي أن يقف معها المُسلم؛ لا سيما وأنَّ من طبعه ومن جِبلته وتركيبه النسيان، فهو مخلوق ينسى ويجحد ما قام به وما صدر عنه من أفعال وأقوال؛ ويشهد لذلك ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ» مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَرَأَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَنْ هَذَا؟ **فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الْأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، يُقَالُ لَهُ دَاوُدُ، فَقَالَ: رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمُرَهُ؟ قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَيْ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمُرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا قُضِيَ عُمُرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ: أَوَلَمْ يَبْقَ**

مِنْ عُمُرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَوَلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ؟ قَالَ: فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ آدَمُ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ) [أخرجه الترمذي]. فالجحود والنسيان والخطيئة من شأن الإنسان.

ولعلَّه ولأجل ذلك كان توثيق الدُّيون عندنا في الشريعة خوف جحودها ونُكرانها؛ فإما أن تكون بالكتابة أو بالشهود، أو بالضمان أو بالرهن؛ (وهي أبواب معروفة في الفقه الإسلامي ولها أحكامها).

وأمَّا الشهود على الخلق يوم القيامة فقد جاء مُصرحاً بذكرهم في القرآن الكريم؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر]، فهناك شهود يقومون يشهدون على العبد في هذه الحالات وفي هذه المواقف الصعبة.

وممن جاء التصريح بشهادتهم على العبد يوم القيامة:

- **الله تبارك وتعالى.** شهادة الله تبارك وتعالى على الخلق معلومة معروفة لا يُنكرها إلا مَن جَهِل عظمته سبحانه وتعالى وقيوميتَه على خلقه؛ فهو سبحانه وتعالى الشهيد على أعمال العباد وأقوالهم وقلوبهم بل وعلى سرائرهم لا يخفى عليه منها شيءٌ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء] بل هي شهادة وكفى بها: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء]، وقال أيضاً: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء] وكيف لا تكون كذلك!! فهي أكبر الشهادات؛ فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةًۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۚ﴾ [الأنعام]. وقد قال الله تعالى عن نفسه أيضا: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس] فعندما يبدأ الإنسان في العمل

ويفيض فيه؛ فإن الله تعالى شهيد عليه. وهذا لأنه لا يغيب عن خلقه فلا تأخذه سِنة ولا نوم وقد قال: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍۢ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف] وقد قال نافياً أن يكون شيئٌ من مخلوقاته حاجباً له عن خلقه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون]، فلا تحجب السماواتُ السبعُ الطباق خلقَه عنه وكذلك الأرض والبحار والأنهار .. لا تَحجب عن الله تعالى ما فيها من الحيوانات.

- **الملائكة الكرام.** فالملائكة لهم شهادة على الخلق؛ فقد قال الله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء]، ومما يدل كذلك على شهادتهم: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق] ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق] فمَلكٌ يسوقه وآخر يشهد عليه بما عمِل ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ [ق] والقرين هنا هو الملك الكاتب الشهيد. وقال أيضاً: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الأنفطار]، وقال تبارك وتعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف]. ويدلُّ عليه أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يَتَعاقَبُونَ فِيكُمْ: مَلائِكَةٌ باللَّيْلِ ومَلائِكَةٌ بالنَّهارِ، ويَجْتَمِعُونَ في صَلاةِ العَصْرِ وصَلاةِ الفَجْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ باتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وهو أعْلَمُ بكُمْ، فيَقولُ: كيفَ تَرَكْتُمْ عِبادِي؟ فيَقولونَ: تَرَكْناهُمْ وهُمْ يُصَلُّونَ، وأَتَيْناهُمْ وهُمْ يُصَلُّونَ) [أخرجه البخاري].
- **شهادة الرسل على أقوامهم.** فالنبي صلى الله عليه وسلم شهيد على أمَّته: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النحل] وقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ **وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ** وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾ [الحج] وقال أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ **شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ **وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا** عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل] فكُلُّ أمَّة يشهد

عليها رسولها الذي أُرسل إليهم. وكذلك رسولنا عليه الصلاة والسلام الذي أرسله الله إلينا. وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الزمر] فالرسل تأتي يوم القيامة والشهداء يشهدون على العباد؛ فإن الله تعالى يسأل الأنبياء يوم القيامة عن تبليغهم وعن إجابة أقوامهم لهم: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة].

- **شهادة الأعضاء على صاحبها.** ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٢ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت] وقال أيضا: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور] وقال سبحانه: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٦٣ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٦٤ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [يس] فأعضاء الإنسان وأركانه وجوارحه تشهد عليه يوم القيامة: (السمع والبصر والجلود والأيدي والأرجل)؛ فيُختم على فمه وتتكلم هذه الأعضاء التي كان يجرح بها ويخدش بها دِينَه؛ وقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (كُنَّا عِنْدَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَضَحِكَ، فَقالَ: هلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: مِن مُخَاطَبَةِ العَبْدِ رَبَّهُ؛ يقولُ: يا رَبِّ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قالَ: يقولُ: بَلَى، قالَ: فيَقولُ: فإنِّي لا أُجِيزُ علَى نَفْسِي إلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قالَ: فيَقولُ: **كَفَى بنَفْسِكَ اليومَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الكَاتِبِينَ شُهُودًا**، قالَ: فيُخْتَمُ علَى فِيهِ، فيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قالَ: فَتَنْطِقُ بأَعْمَالِهِ، قالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بيْنَهُ وبيْنَ الكَلَامِ، قالَ: فيَقولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا؛ فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ) [أخرجه مسلم]. وقد قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ

فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء].

- **شهادة الأرض.** قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة] فـ: «في ذلك اليوم العظيم تخبر الأرض بما عمل عليها من خير وشرّ» وقد: (قرأ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم (يومئذ تحدث أخبارها) قال: أتدرون ما أخبارُها؟ قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ, قال فإن أخبارَها أن تشهدَ على كلِّ عبدٍ أو أمةٍ بما عَمِلَ على ظهرِها، أن تقولَ عمل كذا وكذا يومَ كذا وكذا، قال: فهذا أخبارُها، فهذا أمرُها فهذه أخبارُها) [أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح]؛ فالعاقل كلَّ العقل مَن جعل مِن الأرض التي يمشي عليها شاهدا له يوم القيامة؛ يُقيم عليها الصلوات، ينهى ويأمر، يُعلِّم ويُذكِّر، يمشي عليها في الطاعات، ويُفرج عليها الكربات؛ وبالجملة: فليُكن عليها مُباركاً أينما كان.
- **شهادة المال على صاحبه.** فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المال: (وإنَّ هذا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنِعْمَ صَاحِبُ المُسْلِمِ ما أعْطَى منه المِسْكِينَ واليَتِيمَ وابْنَ السَّبِيلِ ـ أوْ كما قَالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ـ وإنَّه مَن يَأْخُذْهُ بغيرِ حَقِّهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ ولَا يَشْبَعُ، **ويَكونُ شَهِيدًا عليه يومَ القِيَامَةِ)** [أخرجه البخاري]؛ فتخيل معي .. هذا المال ستسأل عنه.. وليس هذا فقط .. ويكون شاهدا عليك إن لم تؤدِّ حق الله تعالى فيه!!.
- **شهادة الأمة الإسلامية على الأمم.** ﴿وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَجِيءُ نُوحٌ وأُمَّتُهُ، فيَقولُ اللَّهُ تَعالَى: هلْ بَلَّغْتَ؟ فيَقولُ: نَعَمْ أيْ رَبِّ، فيَقولُ لِأُمَّتِهِ: هلْ بَلَّغَكُمْ؟ فيَقولونَ: لا ما جاءَنا مِن نَبِيٍّ، فيَقولُ لِنُوحٍ: مَن يَشْهَدُ لَكَ؟ فيَقولُ: مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أنَّه قدْ بَلَّغَ، وهو قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ:

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة: 143]. والوَسَطُ: العَدْلُ) [أخرجه البخاري]. وإذا كان هذا عن نوح عليه السلام فقد جاء عن غيره من الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (يجيءُ النَّبيُّ ومعَهُ الرَّجُلانِ، ويجيءُ النَّبيُّ ومعَهُ الثَّلاثةُ وأَكْثرُ من ذلِكَ، وأقلُّ، فيقالُ لَهُ: هل بلَّغتَ قومَكَ؟ فيقولُ: نعَم، فيُدعَى قومُهُ، فيقالُ: هل بلَّغَكُم؟ فيقولونَ: لا، فيقالُ: مَن يشهدُ لَكَ؟ فيقولُ: محمَّدٌ وأُمَّتُهُ، فتُدعَى أُمَّةُ محمَّدٍ، فيقالُ: هل بلَّغَ هذا؟ فيقولونَ: نعَم، فيقولُ: وما عِلمُكُم بذلِكَ؟ فيقولونَ: أخبرَنا نبيُّنا بذلِكَ أنَّ الرُّسلَ قد بلَّغوا فَصدَّقناهُ، قالَ: فذلِكُم قولُهُ تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [أخرجه ابن ماجة في السنن].

- **شهداء في الدنيا ينفعون في الآخرة.** فعن: (أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَجَبَتْ". ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: "وَجَبَتْ" فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: "هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شهداء الله في الأرض") [أخرجه البخاري]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنِّي أراكَ تُحِبُّ الغَنَمَ والبادِيَةَ، فإذا كُنْتَ في غَنَمِكَ وبادِيَتِكَ، فأذَّنْتَ بالصَّلاةِ، فارْفَعْ صَوْتَكَ بالنِّداءِ، فإنَّه لا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ جِنٌّ ولا إنْسٌ ولا شيءٌ إلَّا شَهِدَ له يَومَ القِيامَةِ) [أخرجه البخاري] وفي بعض الروايات (ولا حجرٌ ولا شيءٌ..).

فنسأل الله تعالى أن يسترنا في الدنيا والآخرة

والحمد لله رب العالمين.

ذكر الله تعالى

العناصر.

أولاً: أهمية ذِكْر الله تعالى.

ثانياً: عطايا ومنح للذاكرين.

ثالثاً: عقوباتُ المُعرضين عن ذِكْر الله تعالى.

الموضوع

ذِكرُ الله تعالى من أهمِّ العبادات وأجلِ القربات ؛ فهو نِعم الزاد إلى يوم المعاد، وهو المِعراج الذي يُصْعَد عليه إلى مرضاة رب العباد، وكذلك هو الوسيلة التي يُعان بها العبد على ما فُرِض عليه من الواجبات. فالذكر له عند الله تعالى المقام الأسْمى والمكانة العُظمى[1]. وسوف يظهر هذا وغيره في ثنايا هذا اللقاء:

أولاً: أهمية ذِكْر الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة] وقال تعالى عن أوصاف أولي العقول والألباب: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران] وقال سبحانه أيضاً: ﴿وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب]. ثم إنَّ الله تعالى أمرنا به؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب]، وهو سبيل لا طمئنان القلوبِ من خوفها وقلقها؛ فقد قال جلَّ ذِكره: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ **أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ**﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المُكثرين

---

(1) وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى عن الذكر أكثر من ستين فائدة؛ في كتابه الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص: (94) وما بعدها. طبعة المجمع.

منه: (.. سَبَقَ المُفَرِّدُونَ، قالوا: وَما المُفَرِّدُونَ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ) [أخرجه مُسلم]. فأصحابه هم السابقون.

كما أن الذِكر يقوم مقام النوافل، ومقامَ الفرائض التي يعجز عنها الإنسان؛ فقد: (جاءَ الفُقَراءُ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقالوا: ذَهَبَ أهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأمْوالِ بالدَّرَجاتِ العُلا، والنَّعِيمِ المُقِيمِ يُصَلُّونَ كما نُصَلِّي، ويَصُومُونَ كما نَصُومُ، ولَهُمْ فَضْلٌ مِن أمْوالٍ يَحُجُّونَ بها، ويَعْتَمِرُونَ، ويُجاهِدُونَ، ويَتَصَدَّقُونَ، قالَ: ألا أُحَدِّثُكُمْ إنْ أخَذْتُمْ أدْرَكْتُمْ مَن سَبَقَكُمْ ولَمْ يُدْرِكْكُمْ أحَدٌ بَعْدَكُمْ، وكُنْتُمْ خَيْرَ مَن أنتُمْ بيْنَ ظَهْرانَيْهِ إلَّا مَن عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وتَحْمَدُونَ وتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وثَلاثِينَ، فاخْتَلَفْنا بيْنَنا، فقالَ بَعْضُنا: نُسَبِّحُ ثَلاثًا وثَلاثِينَ، ونَحْمَدُ ثَلاثًا وثَلاثِينَ، ونُكَبِّرُ أرْبَعًا وثَلاثِينَ، فَرَجَعْتُ إلَيْهِ، فقالَ: تَقُولُ: سُبْحانَ اللَّهِ، والحَمْدُ لِلَّهِ، واللَّهُ أكْبَرُ، حتَّى يَكونَ منهنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاثًا وثَلاثِينَ) [أخرجه البخاري].

وكما أن المُسلم في حاجة مُستمرة إلى الدعاء وفي حاجة أشد إلى استجابة دعائه كذلك؛ فباب الذِّكر هو أوسع الأبواب لتحقيق الدعاء فقد قال صلى الله عليه وسلم: (ثلاثةٌ لا يرُدُّ اللهُ دعاءَهم: الذاكرُ اللهَ كثيرًا، ودعوةُ المظلومِ، والإمامُ المُقسِطُ) [أخرجه أبو داود]. ففي ذِكر الله تعالى فلاحٌ في الدنيا والآخرة، وفيه استجابة لأمر الله تعالى، كما أنَّ فيه براءة من النفاق، وكما أنَّه يُعدُّ مُكمِّلا لما فات من الطاعات بسبب العجز المادي أو الجسدي عنها.. وغير ذلك مما ظهر من أهميته.

ثانياً: عطايا ومنح للذاكرين.

1 ـ الله تعالى يَذْكرُ من يذكرُه ويُصلي عليه. فقد قال الله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة]. وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: (أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ بشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإنْ أتانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) [أخرجه البخاري]، فالله تعالى مع مَن ذكره (وتلك معيةٌ خاصةٌ)، وهو كذلك يَذكر من ذكره. في نفسه سبحانه وتعالى، أو في ملأ خير من الملإ الذي ذكره فيه على حسْب حالِ الذاكر في ذِكره، وقال الله تعالى أيضاً: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ

وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت]، وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيرها: (ذكر الله إياكم أكبرُ من ذكركم إياه)!! أي إذا ذكرتموه. ـ وهناك تفسير آخر ـ. وكيف لا يكون ذِكر الله تعالى لك كذلك وهو الكبيرُ المتعالُ مالكُ الملكُ.

2 ــ أنَّ الله تعالى يُباهي بالذاكرين ملائكتَه. فقد (خَرَجَ مُعَاوِيَةُ علَى حَلْقَةٍ في المَسْجِدِ، فَقالَ: ما أَجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، قالَ: آللَّهِ ما أَجْلَسَكُمْ إلَّا ذَاكَ؟ قالوا: وَاللَّهِ ما أَجْلَسَنَا إلَّا ذَاكَ، قالَ: أَمَا إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَما كانَ أَحَدٌ بمَنْزِلَتي مِن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ **أَقَلَّ عنْه حَدِيثًا مِنِّي!!**، وإنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ خَرَجَ علَى حَلْقَةٍ مِن أَصْحَابِهِ، فَقالَ: ما أَجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ علَى ما هَدَانَا لِلإِسْلَامِ، وَمَنَّ به عَلَيْنَا، قالَ: آللَّهِ ما أَجْلَسَكُمْ إلَّا ذَاكَ؟ قالوا: وَاللَّهِ ما أَجْلَسَنَا إلَّا ذَاكَ، قالَ: أَمَا إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، **وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فأخْبَرَنِي أنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بكُمُ المَلَائِكَةَ**) [أخرجه مُسلم]

3 ــ الذَاكرُ حيٌّ يعيش بين الأموات. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ والذي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ) [صحيح البخاري] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ البَيْتِ الذي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، والْبَيْتِ الذي لا يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الحَيِّ والْمَيِّتِ) [أخرجه مُسلم] فهذا هو حال الأبدان وحال البيوت إذا ما خلتْ عن ذِكر الله تعالى. فالذّاكرون أحياءٌ وغيرهم أمواتٌ. وانظر كذلك إلى أثر إقامة الذِكر والعبادة على البيوت في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تَجْعَلُوا **بُيُوتَكُمْ مَقابِرَ**، إنَّ الشَّيْطانَ يَنْفِرُ مِنَ البَيْتِ الذي تُقْرَأُ فيه سُورَةُ البَقَرَةِ) [أخرجه مُسلم] وكذلك قوله: (لا تَجعَلوا بُيوتَكم قُبورًا، ولا تَجعَلوا قَبْري عيدًا، وصلُّوا علَيَّ؛ فإنَّ صلاتَكم تبلُغُني حيثُ كنتم) [أخرجه أبو داود]. وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (اجْعَلُوا في بُيُوتِكُمْ مِن صَلَاتِكُمْ ولَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا) [أخرجه البخاري]. والقبور هي مساكن الموتى.

4 ــ في حِصنٍ من الشيطان. فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ اللَّهَ أمرَ يحيى بنَ زَكَريَّا بخمسِ كلماتٍ أن يعملَ بِها ، ويأمرَ بني إسرائيل أن يعمَلوا بِها.. ــ وكان من هذه الكلمات الخمس ــ وآمُركم أن تَذكُروا اللهَ؛ فإنَّ مَثلَ ذلك كمَثلِ رجلٍ خرَج العدوُّ في أثَرِه سِراعًا حتَّى إذا أتى على حِصنٍ حَصينٍ، فأحرَز نفسَه منهم، كذلك العبدُ لا يُحرِزُ نفسَه مِن الشَّيطانِ إلَّا بذِكْرِ اللهِ ..) [أخرجه

الترمذي في السنن]، وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (وَكَّلَنِي رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بحِفْظِ زَكاةِ رَمَضانَ، فأتانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعامِ فأخَذْتُهُ، فَقُلتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقَصَّ الحَدِيثَ، فقالَ: إذا أوَيْتَ إلى فِراشِكَ فاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، **لَنْ يَزالَ معكَ مِنَ اللَّهِ حافِظٌ، ولا يَقْرَبُكَ شيطانٌ حتَّى تُصْبِحَ**، وقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: صَدَقَكَ وهو كَذُوبٌ، ذاكَ شيطانٌ) [أخرجه مُسلم]. وعن أبي هريرة أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وله ضُرَاطٌ، حتَّى لا يَسْمع التَّأْذِينَ، فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أقْبَلَ، حتَّى إذَا ثُوِّبَ بالصَّلَاةِ أدْبَرَ، حتَّى إذَا قَضَى التَّثْوِيبَ أقْبَلَ، ..) [أخرجه البخاري]. فمَن أراد أن يتحصن من الشيطان فعليه بهذا الباب؛ لا سيما الأذكار الموظفة في اليوم والليلة كأذكار الصباح والمساء، وعقِب الصلوات والمساء والقيام من النوم .. وغيرها.

5 ـ أن الله تعالى يُعينُ الذاكرين على عبادتهم وعلى أعمالهم الدنيوية. فقد روي: (أَنَّ رجلًا قال يا رسولَ اللهِ إنَّ شرائعَ الإسلامِ قد كثُرت عليَّ فأخبِرني بشيءٍ أتشبَّثُ به قال: لا يزالُ لسانُك رطبًا من ذكرِ اللهِ) [سنن الترمذي]. ولعلَّ هذا هو السِّر في جمع الله تعالى بين إقامة الصلاة وثِقلها على المنافقين وقِلَّة ذكره تعالى منهم؛ حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء] وقد قال صحَّ؛ (أنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ اشْتَكَتْ ما تَلْقَى مِنَ الرَّحَى ممَّا تَطْحَنُ، فَبَلَغَهَا أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أُتِيَ بسَبْيٍ، فأتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَلَمْ تُوَافِقْهُ، فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ، فَجَاءَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَذَكَرَتْ ذلكَ عَائِشَةُ له، فأتَانَا، وقدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ، فَقالَ: علَى مَكَانِكُمَا. حتَّى وجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ علَى صَدْرِي، فَقالَ: أَلَا أدُلُّكُما علَى خَيْرٍ ممَّا سَأَلْتُمَاهُ، إذَا أخَذْتُما مَضَاجِعَكُما فَكَبِّرَا اللَّهَ أرْبَعًا وثَلَاثِينَ، واحْمَدَا ثَلَاثًا وثَلَاثِينَ، وسَبِّحَا ثَلَاثًا وثَلَاثِينَ، فإنَّ ذلكَ خَيْرٌ لَكُما ممَّا سَأَلْتُمَاهُ) [أخرجه البخاري]. فالذِّكْر يعينه على أعماله الدينية والدنيوية.

6 ـ الله تعالى يُظلُّه يوم القيامة؛ يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه. فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ، يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: .. ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ..) [أخرجه البخاري]، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ

ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الأنفال] فالمؤمنون حقاً: هم الذين وجلتْ قلوبُهم عند ذِكر الله تعالى.

7 ــ أنه مُذْهِبٌ للسيئات ومُكَفِرٌ لها؛ إذِ الحسناتُ يُذهبن السيئات. فمن أراد أن يكون كثير الحسنات ماحياً لسيئاته فعليه أن يُكثر من ذِكر الله تعالى إذْ فيه زيادة الحسنات التي هي ماحية للسيئات، فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود]. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اتَّقِ اللهَ حيثما كُنْتَ، وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حسَنٍ، وإذا عمِلْتَ سيِّئةً، فاعمَلْ حَسَنةً تَمْحُها) [أخرجه الترمذي] فقراءة القرآن والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة عى النبي صلى الله عليه وسلم .. وغير ذلك من أنواع الذكر التي وعد الله تعالى عليها بالحسنات الكثيرة والمضاعفة كلها تُكفِّر السيئات؛ مثل: (مَن قال: سُبْحانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ، في يَومٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ **حُطَّتْ خَطاياهُ** وإنْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ) [أخرجه البخاري] وفي الصحيح أيضا: (مَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ، وَهو علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، في يَومٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ كَانَتْ له عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ له مِائَةُ حَسَنَةٍ، **وَمُحِيَتْ عنْه مِائَةُ سَيِّئَةٍ،** وَكَانَتْ له حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يومَهُ ذلكَ حتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ ممَّا جَاءَ به، إلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِن ذلكَ، وَمَن قالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، في يَومٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ **حُطَّتْ خَطَايَاهُ** ولو كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ) [أخرجه مسلم] وعنده أيضاً من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (كُنَّا عِنْدَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَومٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِن جُلَسَائِهِ: كيفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قالَ: يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فيُكْتَبُ له أَلْفُ حَسَنَةٍ، **أَوْ يُحَطُّ عنْه أَلْفُ خَطِيئَةٍ)**. وغير ذلك.

8 ــ أن مَجلِس الذكر تحفُّه الملائكة وتغشاه الرحمة وتتنزل عليه السكينة. فقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (وَما اجْتَمع قَوْمٌ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بيْنَهُمْ؛ إلَّا نَزَلَتْ عليهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَن عِنْدَهُ، وَمَن بَطَّأَ به عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ به نَسَبُهُ) [أخرجه مُسلم]، وجاء أيضاً عن البراء بن عازب رضي الله عنه:

(بيْنَما رَجُلٌ مِن أصْحَابِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَقْرَأُ وفَرَسٌ له مَرْبُوطٌ في الدَّارِ، فَجَعَلَ يَنْفِرُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ فَنَظَرَ فَلَمْ يَرَ شيئًا، وجَعَلَ يَنْفِرُ، فَلَمَّا أصْبَحَ ذَكَرَ ذلكَ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بالقُرْآنِ) [أخرجه البخاري] وفي شرحه: «إنَّ هذه السَّحابةَ كان فيها المَلائكةُ وعليهمُ السَّكينةُ نزَلوا يَستَمِعونَ للقُرْآنِ؛ وقيلَ: إنَّ السَّكينةَ شَيءٌ مِن مَخْلوقاتِ اللهِ تعالَى فيه طُمأْنينةٌ، ورَحمةٌ، ومعَه مَلائكةٌ يَستَمِعونَ القُرآنَ؛ ولذلك نفَرَتِ الدَّابَّةُ لمَّا رَأتْهم». وجاء عند البيهقي: (إذا قامَ أحدُكُمْ يصلِّي مِنَ الليلِ، فَلْيَسْتَكْ، فإنَّ أحدَكُمْ إذا قرأَ في صلاتِهِ، وضعَ مَلَكٌ فَاهُ على فيهِ، و لا يخرجُ من فيهِ شيءٌ إلَّا دخلَ فَمَ المَلَكِ) [البيهقي في شعب الإيمان].

9 ـ **أنه غِراس الجنة**. وهذه من العطايا التي تجعل المُسلم يُسارع في تكثير غِراسه في جنات تجري من تحتها الأنهار أُكلها دائم وظلها؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَن قال سُبحانَ اللهِ العظيمِ وبحَمدِه غُرِسَتْ له نخلةٌ في الجنةِ) [أخرجه الترمذي] وعنده أيضا: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لقيتُ إبراهيمَ ليلةَ أسريَ بي فقالَ يا محمَّدُ أقرِئ أمَّتَكَ منِّي السَّلامَ وأخبرْهم أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربةِ عذبةُ الماءِ وأنَّها قِيعانٌ وأنَّ غِراسَها سبحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ ولا إلهَ إلَّا اللَّهُ واللَّهُ أكبرُ)[أخرجه الترمذي] وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه: (أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مرَّ به وهو يغرِسُ غرسًا فقال يا أبا هريرةَ ما الَّذي تغرِسُ قلتُ غِراسًا قال ألا أدلُّك على غراسٍ خيرٍ من هذا سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبرُ تُغرَسُ لك بكلِّ واحدةٍ شجرةٌ في الجنَّةِ) [أخرجه ابن ماجة في السنن].

10 ـ **شُرِعتْ العِبادات تحقيقاً لإقامة ذِكر الله.** فقد قال الله تعالى عن **الصلاة:** ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه]؛ بل إن الله تعالى سمَّى الصلاة في القرآن ذِكرا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ [الجمعة] والمراد به صلاة الجمعة، وفي **الحج** جاء ذِكْرُ الله تعالى في مواطن كثيرة من آياته في سورة [البقرة] حيث قال جلَّ ذِكره: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ وقال: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ﴾ وقال أيضا: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ

كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ وبعدها قال في أيَّام منى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ وفي الصيام مَرتعٌ خصْبٌ لِذكر الله تعالى فالصائم يتقلب في كل أحواله بين الذاكرين؛ فعند السحر **ذكرٌ** وعند الفِطر وعند التراويح كذلك بل وقراءة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وغير ذلك.

ثالثاً: عقوباتُ المُعرضين عن الذِّكْر.

1 ــ المعيشة الضنك. فالمعرضون عن ذكر الله تعالى هذا حالهم؛ وإن كانوا في رغَد من العيش وكثرة الأموال إلا أنها معيشة لا تخلوا عن نكدٍ وضِيقٍ؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه] فـ«من تولّى عن ذكري ولم يقبله، ولم يستجب له فإن له معيشة ضيقة في الدنيا وفي البَرْزَخ، ونسوقه إلى المحشر يوم القيامة فاقدَ البصر والحجة». والمقصود بالذِّكر هنا كما قال القرطبي رحمه الله تعالى: «أَيْ دِينِي، وَتِلَاوَةِ كِتَابِي، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ».

2 ــ نسيانُ الله تعالى للعبد. فالذي ينسى ربَّه ولا يجعل ذِكرهَ دَيدَنَه؛ فجزاؤه من جِنس عمله إذِ الله تعالى قال عن المنافين وهذا شأنهم: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ فلمّا نسوا الله تعالى ولم يَذْكروه عاملهم سبحانه وتعالى معاملة من نسيهم فلم يوفقهم ولم يُرشدهم إلى الخير، وليس هذا وفقط بل أنساهم أنفسهم؛ فقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ ومن نسيَ نفسه؛ غفل عن مصالحها فأهلكها وأرداها من حيث لا يشعر.

3 ــ موتُ القلوب. فحياة القلوب بذكر الله تعالى وقساوة القلوب بالغفلة عن ذكره تعالى؛ وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّه لَيُغَانُ علَى قَلْبِي، وإنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ في اليَومِ مِائَةَ مَرَّةٍ) [أخرجه مُسلم]. وقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ جِلَاءً، وَإِنَّ جِلَاءَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» [شعب الإيمان للبيهقي]

4 ــ علامة من علامات النفاق. فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ وقال كعب رضي الله

عنه: (مَن أكثرَ ذكر الله برئ مِن النفاق). ولهذا والله أعلم ختم الله تعالى سورة المنافقين بالتحذير من الانشغال عن ذِكر الله تعالى فقال جل ذِكره: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون].

5 ــ أمره فُرُطا. وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا﴾ ولن تجد وصفاً أبلغ في ضياع الإنسان وهلاكه من هذا (فُرُطا) ـ فكأنه عِقد قد انفرط شمْل خرزاته وحبَّاته ولا سبيل إلى لمِّ شملها ــ؛ فأمره وحاله في ضياع وسفه وسبب هذا كلِّه؛ فإياك ثم إياك أن تطيع من كان حاله كذلك.

وفي آخر هذا الموضوع أحبُّ أن أقول؛ قال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب]، «ولا يتأسّى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من كان يرجو اليوم الآخر، ويعمل له، وذكر الله ذكرًا كثيرًا، وأما الذي لا يرجو اليوم الآخر ولا يذكر الله كثيرًا فإنه لا يتأسّى برسوله صلى الله عليه وسلم» فالأسوةَ الأسوةَ برسول الله صلى الله عليه وسلم في كل أحواله وأفعاله لا أن نفتعل هيئة للذكر أو أذكارًا مُحددة أو شروطاً أو أعداداً؛ لم يأذن بها الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

فرائض الإسلام (غايات ومقاصد)

العناصر:

المقدِّمة.

الغاية الأولى: تحقيق التقوى.

الغاية الثانية: تزكية النفوس وإصلاحها.

الغاية الثالثة: تحقيق التكافل والتراحم.

الغاية الرابعة: تحقيق السُّمُو الأخلاقي.

الغاية الخامسة: تحقيق الرُّشْد العقلي.

(الموضوع)

مما لا شكَّ فيه أن الدين الإسلاميَّ العظيمَ له فرائض وحقوق وواجبات؛ وهذه الواجبات وتلك الفرائض شرَعها الله تعالى وألْزَمَنا بها لتحقيق غايات نبيلةٍ وأهداف سامية، ولابد للمُسلم حينئذٍ أن يسعى في تحقيقها، وإلا كانت عباداتُه التي يتنسَّك بها كالجسد الذي خرجت منه الروح فأصبح جُثةً هامدةً وإن كان في أعيُن الناظرين جميلاً سليما!!.

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من أمثال هؤلاء ونبَّهنا عليهم ففي الأثر الذي فيه خبر الرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم "اتق الله"، فهو: (ناتئُ العينَيْنِ مُشرِفُ الوجنتَيْنِ ناشزُ الوجهِ كثُّ اللِّحيةِ محلوقُ الرَّأسِ مشمَّرُ الإزارِ فقال: يا رسولَ اللهِ **اتَّقِ اللهَ!!** فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أوَلسْتُ بأحقِّ أهلِ الأرضِ أنْ أتَّقيَ اللهَ ثمَّ أدبَر فقام إليه **خالدٌ سيفُ اللهِ** فقال: يا رسولَ اللهِ ألا أضرِبُ عنقَه؟ فقال: لا، إنَّه لعلَّه يُصلِّي. **قال: إنَّه ربِّ مُصلٍّ يقولُ بلسانِه ما ليس في قلبِه** قال: إنِّي لم أومَرْ أنْ أشُقَّ قلوبَ النَّاسِ ولا أشُقَّ بطونَهم) [أخرجه أحمد في المسند] ـ وفي أثر آخر وهو ضعيف ـ: (إنَّ أوَّلَ ما يُرفَعُ من الناسِ الأمانةُ، وآخِرُ ما يَبقَى الصلاةُ، ورُبَّ مُصَلٍّ لا خَيرَ فِيهِ) [ضعيف الجامع ـ الألباني]. وقال عليه الصلاة والسلام عن الصيام والقيام: (ربَّ صائمٍ ليس لَهُ مِنْ صيامِهِ إلَّا الجوعُ، ورُبَّ قائمٍ ليس لَهُ مِنْ قيامِهِ إلَّا السَّهرُ) [أخرجه ابن ماجة في السنن]. وقال أيضاً: (لأعلمنَّ أقوامًا من أمتي يأتون يومَ القيامةِ **بحسناتٍ أمثالِ جبالِ تهامةَ بيضًا فيجعلُها اللهُ عزَّ**

وجلَّ هباءً منثورًا قال ثوبانُ يا رسولَ اللهِ صِفْهم لنا جَلِّهم لنا أن لا نكونَ منهم ونحنُ لا نعلمُ قال أما إنهم **إخوانُكم ومن جِلدتِكم ويأخذون من الليلِ كما تأخذون** ولكنَّهم أقوامٌ إذا خَلَوْا بمحارمِ اللهِ انتهكُوها) [أخرجه ابن ماجة في السنن] .. فهذه عبادات لم تُحقق أهدافها المرجوة منها ولا غاياتِها المنشودة؛ فكانت كأن لم تكن وكانت هباءً.

لذلك كان من الضروريِّ أن ننظر في مقاصد العبادة وغاياتها حتى نكون على بينة من الأمر؛ فلا نُخْدَع بمن يُكثرون عبادتهم التي قد خلتْ عن تحقيق مقاصدها وغاياتها.

من هذه الغايات والمقاصد:

الغاية الأولى: تحقيق التقوى. ـ سبق الحديث عن التقوى بما لا مزيد عليه هنا[1] ـ وهي كما قال طلق بن حبيب: «إذا وقعت الفتن، فأطفئوها بالتقوى، قالوا: وما التقوى؟ قال: هي أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله رجاءَ رحمة الله، والتقوى ترك معاصي الله على نورٍ من الله مخافةَ عذاب الله» وقيل عن أبي هريرة رضي الله عنه في تعريفها حينما سأله رجلٌ عن التقوى فقال له: «هل أخذت طريقًا ذات شوكٍ؟ قال: نعم، قال: فكيف كنت تصنع إذا رأيت الشوك؟ قال: أَعْدِلُ عنها، أو جاوزتها، أو قَصُرت عنها، قال: ذاك التقوى» فمن لم يترك معاصي الله تعالى ابتغاء مرضات الله عز وجل لم يحقق التقوى؛ وإن كان من العبَّاد، ومن لم يعمل بطاعة الله تعالى على نور من الله عز وجل لم يحققها كذلك، ومن لم يُشمِّر عن الشبهات والشهوات حتى لا يقع فيها لم يحقق الغاية من عبادته وإن كان مِن أكثر الناس عبادةً. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الحَلَالُ بَيِّنٌ، والحَرَامُ بَيِّنٌ، وبيْنَهُما مُشَبَّهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، **فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ** اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وعِرْضِهِ، ومَن وقَعَ في الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أنْ يُوَاقِعَهُ ..) [أخرجه البخاري]

وهذه الغاية (تحقيق التقوى)؛ لا تقتصر على مكان أو زمان وإنما هي ملازمة للإنسان في كل أحواله؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: (اتَّقِ اللهَ حيثما كنتَ وأتبِعِ السَّيِّئةَ الحسنةَ تمْحُها وخالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسنٍ) [أخرجه أحمد والترمذي] وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن

---

(1) ـ يُنظر موضوع: (المتقون ـ الوارثون جِنان الخلد) في هذه الكنانة.

قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [النساء]. فهذه التقوى وصية الله تعالى للأولين والآخرين فهي وصية جامعة وفي كل زمان ومكان.

وقد قال الله تعالى عن الصلاة ومُلازمتها للتقوى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه] وعن الحج؛ قال الله تعالى في آياته: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة] وعن العبادة كُلها قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة].

فلابد من أثر يظهر على جوارح العابد إزاء عبادته؛ وإلا فكيف يكون عابداً ومُرتَكِبا للقبائح والرذائل!! هذا في العقول غريبُ.

الغاية الثانية: تزكية النفوس وإصلاحها. تزكية النفوس وتطهيرها من الغايات والمقاصد التي شُرِعت لأجلها العبادات والشرائع؛ بل إن الرُّسل عليهم الصلاة والسلام كلهم جاؤوا بذلك؛ فموسى عليه الصلاة والسلام قال الله عنه: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾ [النازعات] ومحمد صلى الله عليه وسلم قال ربُّه عنه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ [عبس] وقال عنه أيضا ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران] ولأجل هذا كلِّه قال الله عز وجل: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى] وقال: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس]؛ فالعبادة إذا لم تؤثر في نفس صاحبها فتطهرها من الرياء والسمعة والحِقد والحسد والضغينة والكبر وهذه الأمراض التي تُعشش في النفوس؛ فهذه عبادة لم تؤد الغاية المرجوة منها وصاحبها على خطر عظيم.

الغاية الثالثة: تحقيق التكافل والتراحم. وهذا أمر مهمٌّ جداً؛ إذِ العبادات والفرائض الإسلامية هذا من غاياتها ومقاصدها، فالأخوة الإيمانية تستلزمُ التكافلُ والتناصرُ والتعاونُ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ ولَا يُسْلِمُهُ، ومَن كانَ في حَاجَةِ أَخِيهِ كانَ اللَّهُ في حَاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرُبَاتِ يَومِ القِيَامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ) [أخرجه مُسلم]. يُوضِحه كذلك: أن سبب نجاة العبد في الآخرة مرهون بأمرين **أولهما:** حق الله تعالى **وثانيهما:** حق إخوانه من المؤمنين؛ فقد قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون]؛ فإذا كان المصلون ساهين عن صلاتهم مُرائين بها مانعين عن الناس ما يُعينعهم على أمر دنياهم ودينهم **فويلٌ لهم.** وقد تساءل أهل الجنة عن سبب سلوك المجرمين سقر؛ ف: ﴿قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [المدثر] فكان من أسبابه عدم إطعام المسكين، وكيف يكون التكافل إذا مُنِعت الحقوق فلم تصل إلى مُستحقيها؛ وقد جاء أن: (أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: قالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ بصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا في يَدِ سَارِقٍ، فأصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ علَى سَارِقٍ فَقالَ: اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا في يَدَيْ زَانِيَةٍ، فأصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ علَى زَانِيَةٍ، فَقالَ: اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ، علَى زَانِيَةٍ؟ لَأَتَصَدَّقَنَّ بصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا في يَدَيْ غَنِيٍّ، فأصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ علَى غَنِيٍّ، فَقالَ: اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ، علَى سَارِقٍ وعلَى زَانِيَةٍ وعلَى غَنِيٍّ، فَأُتِيَ فقِيلَ له: **أَمَّا صَدَقَتُكَ علَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عن سَرِقَتِهِ، وأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عن زِنَاهَا، وأَمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فيُنْفِقُ ممَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ**) [أخرجه البخاري]. فانظر إلى أثرها وقيمتها في تكافل المجتمع وعلاج أمراضه.

وأمرٌ آخر وهو أن اجتماع المُسلمين في الجمع والجماعات والأعياد، واجتماعهم في فريضة الحج، ومُشاركتهم لبعض في الأفراح والأحزان .. وغيرها من صور اجتماع المسلمين؛ كلُّ هذا يؤدي إلى التكافل والتراحم وإصلاح ذات البين؛ التي عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا أُخبِرُكم بأفضلَ من درجةِ الصيامِ والصلاةِ والصدقةِ؟ قالوا: بلى. قال: صلاحُ ذاتِ البَيْنِ، فإنَّ فسادَ ذاتِ

البَيْنِ هي الحالقةُ) [سنن الترمذي] وكذلك فيها إبعاد الشيطان عن التحريش بينهم، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما مِن ثلاثةٍ في قَريةٍ ولا بَدوٍ ولا تُقامُ فيهمُ الصَّلاةُ إلَّا استَحوذَ عليهِمُ الشَّيطانُ، فعَليكَ بالجَماعةِ فإنَّما يأكلُ الذِّئبُ من الغَنم القاصيةَ) [سنن أبي داود].

الغاية الرابعة: تحقيق السُّمُو الأخلاقي. هذه الغاية لها بالعبادة ارتباطٌ وثيقٌ جدا؛ لأن من لم يكن على أخلاقٍ طيِّبةٍ سامية فقد عرض نفسه للهلاك وإن كان كثير العبادة!! كيف ذلك؟

قال الله تعالى:﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت] فهذا شأن الصلاة، وهو شأن الحج كذلك حيث قال الله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ وعن الصدقة وإبطالها بالمنِّ والأذى يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ﴾ [البقرة]، وعن الصيام يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (وإذَا كانَ يَوْمُ صَوْمِ أحَدِكُمْ **فلا يَرْفُثْ ولَا يَصْخَبْ، فإنْ سَابَّهُ أحَدٌ أوْ قَاتَلَهُ،** فَلْيَقُلْ: إنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِن رِيحِ المِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إذَا أفْطَرَ فَرِحَ، وإذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بصَوْمِهِ) [أخرجه البخاري] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ: إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتي يَأْتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأْتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ) [أخرجه مُسلم]، وكذلك: (قال رجلٌ يا رسولَ اللهِ إنَّ فلانةً تُكثِرُ من صلاتِها وصدقتِها وصيامِها غيرَ أنَّها تُؤذي جيرانَها بلسانِها قال هي في النَّارِ قال يا رسولَ اللهِ فإنَّ فلانةً يَذكرُ من قلَّةِ صيامِها وصلاتِها وأنَّها تتصدَّقُ بالأثوارِ من الأقِطِ ولا تُؤذي جيرانَها قال هي في الجنَّةِ) [أخرجه أحمد] **فالمفاليس في الآخرة معهم حسنات ولكنها لم تنفعهم إذْ ذهبت إلى مَن تعدَّوا عليهم بأخلاقهم السيئة فكان منهم السبُّ والقذف والضرب وسفك الدماء ..** وكذلك المرأة

التي كانت مُكْثرةً للصلاة والصيام والصدقة لم تنفعها هذه العبادات إذْ كانت تؤذي جيرانها بلسانها. فصاحب الأخلاق الحسنة السامية قد حافظ على حسناته أنْ تضيع وقد أحبه الناس لحسن خلقه.

فأين هؤلاء المكثرون للعبادة؛ صلاة وزكاة وصياما وحجا وعُمرة.. ومع ذلك أخلاقهم سيئة.. أين هم من تلك النصوص؟!.

الغاية الخامسة: تحقيق الرُّشْد العقلي. إن تحقيق الرُّشد العقلي من العبادات أمرٌ من الأمور المهمَّة؛ لأن هذا الرُّشد يتبعه سدادٌ في الرأي وقوةٌ ورجاحةٌ في العقل وفي تدبير وتصريف الأمور، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة] فهي غاية من غايات الإيمان والاستجابة لله تعالى أن نكون راشدين، وقد قال الله تعالى عن القرآن: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ﴾ [الجن] وقال تعالى عن قوم وصفهم بمحبَّة الإيمان وكُره الفسوق والعصيان: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ **أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ**﴾ فالراشد: هو مَن أحب الإيمان وكَره الكفر والفسوق والمعاصي. ومن لم يتصف بهذه الصفه فهو السفيه ـ ضد الراشد ـ كما وصف الله تعالى الذين اعترضوا على أحكامه بقوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ﴾ [البقرة]، وقبلها: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ [البقرة]. وتحقيق الرشاد غاية من الغايات النبيلة التي ينبغي على المسلم أن يسعى في تحصيلها لا سيما؛ وقد كان من الدعوات الواردة على لسان أصحاب الكهف: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا **مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا**﴾ [الكهف]، ومن الدعوات المأثورة كذلك ـ وإن كان به ضعف ـ: (إذا كَنَزَ الناسُ الذهَبَ والفِضَّةَ، فاكْنِزوا هؤلاء الكَلِماتِ: **اللَّهمَّ إنِّي أَسألُك الثباتَ في الأمرِ، والعزيمةَ على الرُّشدِ**، وأَسألُك شُكْرَ نِعمتِك، وأَسألُك حُسنَ عِبادتِك، وأَسألُك قَلْبًا سليمًا، وأَسألُك لِسانًا صادقًا، وأَسألُك مِن خَيرِ ما تَعلَمُ، وأَعوذُ بك مِن شَرِّ ما تَعلَمُ، وأَستغفِرُكَ لِما تَعلَمُ؛ إنَّك أنت عَلَّامُ الغُيوبِ) [مُسند أحمد].

ومما يدل على أن العبادة لها أثر كبير في الهداية إلى الرشاد والسداد في الأمور؛ أنَّ صلاة الاستخارة من الأمور المشروعة عندنا وما هي إلا عبادة يُطلب فيها من الله تعالى هِداية العَبد إلى أقوم الطرق وأرشدها؛ فقد قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ في الأُمُورِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ مِنَ القُرْآنِ: إذَا هَمَّ بالأمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يقولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أسْتَخِيرُكَ بعِلْمِكَ، وأَسْتَقْدِرُكَ بقُدْرَتِكَ، وأَسْأَلُكَ مِن فَضْلِكَ العَظِيمِ، فإنَّكَ تَقْدِرُ ولَا أقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولَا أعْلَمُ، وأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمْرَ خَيْرٌ لي في دِينِي ومعاشِي وعَاقِبَةِ أمْرِي ـ أوْ قالَ: في عَاجِلِ أمْرِي وآجِلِهِ ـ فَاقْدُرْهُ لِي، وإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمْرَ شَرٌّ لي في دِينِي ومعاشِي وعَاقِبَةِ أمْرِي ـ أوْ قالَ: في عَاجِلِ أمْرِي وآجِلِهِ ـ فَاصْرِفْهُ عَنِّي واصْرِفْنِي عنْه، واقْدُرْ لي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي به، ويُسَمِّي حَاجَتَهُ) [أخرجه البخاري].

فتلك غايات ينبغي على المُسلم أن يستحضرها في عباداته؛ تكون العبادة مقبولة عند الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

(على خيرٍ تمَّت ... والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات)

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	4
فِكرة هذه الكِنانة	6
مسرد الخطب	8
الفهم عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم	11
بين الوحي والهوى	12
القرآن الكريم	22
السنة النبوية	28
الصحابة رضي الله عنهم	34
التزكية	40
علاقات للمسلم	46
الاستجابة والتسليم	53
العبادة	59
مُحبِطات الأعمال	66
التوحيد	71
الضروريات الخمس	77
الدِّين	78
النفس	86
النسل (العِرض)	93
المال	99
العقل	106

112	**الوارثون جنان الخلد**
113	الإرث الأخروي
119	الصالحون
124	الطيبون
129	المتقون
135	المؤمنون
142	المُعرضون عن اللغو
147	المحافظون على الصلاة
154	الخاشعون في الصلاة
161	المؤدُّون الزكاة
167	رعاية الأمانة
174	مُراعاة العهود
179	الحافظون فروجهم
184	النفس المُسلمة
193	المحسنون
200	الصادقون
206	الشهداء
212	**في الفضاء المجتمعي**
213	أهمية الرأي العام
218	في ترك الفضول
226	خطورة الشائعات
234	الرجولة والشباب

مُختارات ومُلح	241
موازنة بين الدنيا والآخرة	242
الدعاء	247
بر الوالدين	252
الطهارة والنظافة	258
الإدمان والتدخين	264
ضوابط الأسواق	270
خيرُ أمَّة	275
المسئولية	281
حق المسلم على المسلم	287
ما تصلح به الدنيا	296
الأسرة (بيوتنا)	305
من نواقض الإيمان	315
الشهود على العبيد	328
ذكر الله تعالى	334
فرائض الإسلام (مقاصدها)	342
فهرس الموضوعات	349